MASARAT
المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية - مسارات

رؤية نقدية استشرافية

الحراكات الشبابية الفلسطينية

إشراف وتقديم: جميل هلال

رؤية نقدية إستشرافية
«الحراكات الشبابية الفلسطينية»

إشراف وتقديم

جميل هلال

المجموعة البحثية الشبابية

- ابراهيم الشطلي قطاع غزة
- طارق خميس الضفة الغربية
- عايدة الشهابي لبنان
- نجمة علي الاراضي الفلسطينية 1948
- هنادي قواسمي القدس

اكتوبر 2013

HEINRICH BÖLL STIFTUNG تمت طباعة هذا الكتاب بتمويل من مؤسسة هنريش بول الالمانية

ISBN: 978-9950-8511-7-7

فهرست المحتويات

مقدمة 5

نحو شروط مشاركة أوسع للشباب في حركة تحرر الشعب الفلسطيني 7
أ. جميل هلال

حول مفهوم «الشباب» بين الذات والموضوع 9

لماذا هذا الكرّاس؟ 17

قراءات شبابية في خمس حراكات شبابية للفترة (2010 – 2013) 18
– تجربة «شباب التغيير»، في فلسطين المحتلة العام 1948 18
– تجربة بعض المجموعات الشبابية في القدس المحتلة 20
– تجربة الحراكات الشبابية في بقية الضفة الغربية 23
– تجربة الحراك الشبابي في قطاع غزة 28
– تجربة الحراك الشبابي في الشتات (لبنان) 33

الاوراق البحثية المرجعية

الشباب الفلسطيني في إسرائيل: بين العمل الحزبي والحراك المستقل (تجارب من العمل الشبابي) 41
أ. نجمة علي

مراجعة أولية لتجربة الحراك الشبابيّ الفلسطينيّ في القدس 57
أ. هنادي قواسمي

في الإجابة عن سؤال ما الذي حدث للربيع الفلسطيني؟ الحراك الشبابيّ الفلسطيني في الضفة الغربية 73
أ. طارق بلال خميس

الحراك الشباب الفلسطيني في قطاع غزة: ثورة لم تنضج بعد 89
أ. إبراهيم عبد الله الشطلي

الحراكُ الشَّبابيُّ الفلسطينيُّ في لُبنَانَ؛ نحوَ رؤيةٍ إستراتيجيّة 109
أ. عَايدة الشهابي

المراجع والهوامش 124

مقدمة

فـي إطار مشـروع التواصل بين الشبـاب الفلسطيني، نفذ المركـز الفلسطيني لأبحاث السياسـات والدراسات الاستراتيجية – مسارات، بالتعـاون مع مؤسسة «هنريش بول» خلال العـام 2011–2012 العديـد البرامج والأنشطـة والفعاليات ضمـن المرحلتين الاولى والثانية من مشـروع التواصل بين الشباب الفلسطيني، والتي هدفت في مجملها إلـى توفير مساحة معرفية وعلميـة للشباب الفلسطيني من الجنسيـن للتفاعل والتواصل وتبـادل الخبـرات والتجارب في سياق حراكهـم وسعيهم لتطويـر مشاركتهم السياسية والمجتمعية.

نتائـج تقييـم البرامـج والأنشطة التي نفـذت خلال المراحـل السابقة مـن المشروع، والتوصيات التي خلصت إليها خاصـة الورشة الشبابية في اسطنبول خلال آذار 2012، بمشاركـة ممثلي مجموعات شبابيـة من ستة تجمعات فلسطينية فـي الوطن والشتات، أشـارت إلى ضرورة بلـورة وإصدار وثيقة منهجيـة علمية تسعى من جانـب إلى توثيق وتقييم واقع الحراك الشبابي الفلسطينـي وأهدافه وشعاراته ومنطلقاته النظرية والعملية، ومن جانب آخر تقدم رؤية معرفية وعملية وتصورات سياساتية يضعها الشباب أنفسهم، وتسهـم فـي تطويـر رؤيـة وأداء وفعالية هذا الحـراك بمـا ينسجم وخصوصيـة الواقع الفلسطينـي والظـروف الموضوعية التي تحيط بعمـل الحراك الشبابـي الفلسطيني في مختلف التجمعات الفلسطينية.

وثيقة «رؤية نقدية واستشرافية للحراكات الشبابي الفلسطيني»، تمثل مصدرا ومرجعا لرؤية معرفية وسياساتية استراتيجية يمكن أن يتم الرجوع اليها من قبل الباحثين في قضايا الشباب بشـكل عام، والساعين لتطوير دورهم ومشاركتهم السياسيـة بشكل خاص، إضافة إلى ما أتاحتـه مرحلة انتـاج الوثيقة من فرص عملت علـى تعزيز التفاعل والتواصـل بين الشباب الفلسطينـي أنفسهـم، لاسيمـا من خـلال الأنشطة التي نفـذت في سياق إعـداد ومناقشة الوثيقـة، والتي إنخرط فيها شبان وشابات فلسطينيون على أوسع نطاق في أبرز التجمعات الفلسطينية.(الضفة الغربية والقدس، قطاع غزة، أراضي فلسطين 1948، لبنان).

نحو شروط مشاركة أوسع للشباب في حركة تحرر الشعب الفلسطيني

نحو شروط مشاركة أوسع للشباب في حركة تحرر الشعب الفلسطيني

أ. جميل هلال

حول مفهوم «الشباب» بين الذات والموضوع

يشير مـدرك الشباب، بالأساس، إلى فئة عمرية لا إجمـاع تاماً على حدودها، فالبعض يحـدد حدها الأدنى بسن السادسة عشرة، والبعض الآخر يحدده بالثامنة عشرة، ويضع البعض حدها الأعلى سن الخمسـة والعشرين، والتعريف السائد هـم ما بين الخامسة عشـرة والخامسة والعشرين. وتشـكل هذه الفئة العمرية فـي المجتمعات العربية بين ربـع وخمس مجمل عدد السكان. وبلغت الفئـة العمرية (15–29 سنة) في الأراضي الفلسطينية المحتلة العام 1967، حسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، في العام 2012، 29.9% من إجمالي السكان، وهو السن الذي تتم فيه معظم الزيجات (للإناث والذكور) في مجتمع الضفة الغربية وقطاع غزة.[1]

1 وفـق ما أعلن فـي مؤتمر الإعلان عن أرقام وإحصائيات الشباب في فلسطين، الذي نظمه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطينـي ومنتـدى شـارك الشبابي، لمناسبة الاحتفـال بيوم الشباب العالمـي، بمشاركة مستشـار الرئيس لشؤون تكنولوجيـا المعلومـات، ورئيس الجهـاز المركزي للإحصـاء الفلسطيني، ومديـر مؤسسة جـذور للإنماء الصحي والاجتماعـي، والمديـر التنفيذي لمنتدى شـارك الشبابي، في مقر منتـدى شارك الشبابي بـرام الله. وذلك بالشراكة مـع اتحاد الشبـاب الفلسطيني، ومؤسسة جـذور للإنماء الصحـي والاجتماعي،ومؤسسة تعاون لحـل الصراعات، ومركـز شمس، وصحافيون بلا حدود، ومركز تطوير الشباب، وجمعية مردة الخيرية، وشركاء في التنمية المستدامة، ومؤسسة الرؤيا الفلسطينية (انظر/ي: وكالة معا الإخبارية، 15/9/2013:

(http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=512058

ووفـق بيانات الجهاز المركـزي للإحصاء،فإن 92.1% من إجمالي عقود الزواج المسجلة للإناث، كانت في العمر (15–29 سنة) مقابل ما نسبته 80.4% للذكور:

(http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3203).

واعتبر آخرون أن سن الشباب تمتد حتى التاسعة والعشرين، وآخرون حتى سن الخامسة والثلاثين.[2] كمفهوم اجتماعي، تعني مرحلة الشباب مرحلة الانتقال من الطفولة والكبر (وليس مجرد البلوغ)، ويتم تحديدها أحياناً بين الفترة التي ينهي فيها الفرد مرحلة الدراسة الإلزامية ودخوله سوق العمل المأجور (مدفوع الأجر)، لكن ازدياد فرص الدراسة الجامعية وما بعد الجامعية وارتفاع معدلات البطالة تقلص من فائدة هذا التعريف، وإن أبقى الحد الفاصل لمرحلة الشباب بمرحلة الاستقلالية المالية (وربما السكنية) عن جيل الآباء والأمهات، ومرحلة اتخاذ قرارات من الفرد تؤثر على مستقبله، واعتماد خيارات حياتية ذات بعد إستراتيجي.

تجري محاولات، غير ناجحة في رأيي، للجمع بين المفهوم البيولوجي (مرحلة الدخول في النضج الجسدي)، ومفاهيم تأخذ بعين الاعتبار أبعاداً نفسية لهذه المرحلة العمرية (ولوج عالم «الكبار»)،[3] وأبعاداً اجتماعية تتمحور حول الانتهاء من مرحلة الاعتماد على رعاية الآخرين وتولي المسؤولية أمام الآخرين ومسائلاً لهم. لكن هذه كلها تناقش المفهوم خارج سياقه الاجتماعي–الاقتصادي والثقافي والسياسي. ومن هناك، فإن فئة الشباب ليست الفئة الوحيدة التي تلقى اهتماماً خاصاً من مؤسسات مختلفة، فهناك فئات أخرى تلقى لاعتبارات صحية أو اجتماعية أو رعوية، اهتماماً خاصاً؛ كالأطفال تحت سن الخامسة، والمسنين وغيرهم. على كل الأحوال، لا بد من الانتباه إلى القضايا التالية عند مناقشة مفهوم الشباب، بما في ذلك في التجمعات الفلسطينية المختلفة:

أولاً. الشباب ليسوا فئة متجانسة

ليس من المفيد وضع جموع الشباب في سلة واحدة دون الانتباه إلى التمايزات والفروق بينهم من حيث: الفئة العمرية (هناك فرق قد يكون واسعاً من حيث التجربة الحياتية والاجتماعية بين من هم في سن السادسة عشرة أو الثامنة عشرة ومن هم في سن الثانية والعشرين أو الرابعة والعشرين أو التاسعة والعشرين)؛ هناك التباين وفق النوع الاجتماعي

2 يختلف العمر الذي يعتبر الشخص أصبح شاباً، وبالتالي مؤهل كي يعامل معاملة محددة في ظل القانون والمجتمع في جميع أنحاء العالم. عرّف الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، واليونيسكو والجامعة العربية والبنك الدولي الشباب بالفئة العمرية الممتدة بينسن–15 25 عاماً، وميثاق الشباب الأفريقي يحدد فئة الشباب بين عمر 15 و35 عاماً (نظر/ي: http://www.unesco.org/new/en/social–and%20human–sciences/themes/youth/youth–definition./

3 حسب دراسة للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2011)، فإن 40% من الشباب الفلسطيني ذكروا أن أولوياتهم واحتياجاتهم هي لخدمات صحية نفسية مقارنة بنحو 24% الذين حددوها لخدمات صحية جسمية، و19% لخدمات صحية تغذوية (انظر/ي: الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وزارة الصحة الفلسطينية، صندوق الأمم المتحدة للسكان. دراسة حول احتياجات الشباب من الخدمات الصحية الصديقة في الضفة الغربية، 2011، النتائج الأولية، أيار/مايو 2012. الدراسة لا توفر نسباً مقارنة لبقية السكان البالغين، بل تفترض أن للشباب احتياجات تخصهم فقط.

(بيــن الشباب والشابات) وتحديداً فــي مجتمع تهيمن عليه ثقافة ذكورية، وتسوده حالة من التدّين الشعبي من حيث قدرة الشابات على الحركة والمشاركة في نشاطات تتم في الحيــز العام؛ وهناك تمايــزات ناتجة عن الوضع الطبقي (الموقــع في سوق العمل، وفي الملكية، والدخل، ونوع العمــل)، والمستوى التعليمي (بين مستوى أساسي، وجامعي علــى سبيل المثال) والموقع السكنــي (مدينة، مخيم، قرية)؛ وتباينات ناتجة عن التجربة فــي مجال العمــل السياسي والحزبي. وفي الحالة الفلسطينيــة، هناك تباينات ناتجة عن الاختلافات الواسعة بين أوضاع التجمعات الفلسطينية (الأقلية الفلسطينية في إسرائيل، القدس، بقية الضفــة الغربية، قطاع غزة، الأردن، لبنان، سوريــا، دول الخليج، والدول الغربيــة ...). فتبعات ودلالات أن يكون المرء شابــاً أو شابة تتباين من تجمع إلى آخر، وفــي أحيان كثيرة قد يكــون المفهوم يحمل دلالات مهمة، وأحياناً أخرى دون معنى أو دلالــة خاصــة، بل لا يستخدم تعبير شابــة وشاب (بل صغير وكبير، طالــب أو يشتغل أو عاطــل عن العمل ...). كمــا تبرز، وهذا واضح من الأوراق في هــذا الكراس البحثي، الاختلافــات الواسعــة في الانتمــاءات السياسية للشبــاب والشابات، ليــس على صعيد الانتمــاء الحزبي–التنظيمي فحسب، بل من حيث الاختلافــات الواسعة في التوجهات الفكرية والاجتماعية (من إسلامية شديدة التزمت، إلى إسلامية منفتحة، إلى ليبرالية، إلى يسارية على تنويعات كل من هذه).

ثانياً. خلفيات غير بريئة وراء خطاب «الشباب»

من الحكمة التدقيق بدوافع إبراز الشباب كفئة متميزة عن باقي الفئات في المجتمع؛ ففي المجتمعــات الرأسمالية (والمعولمة إلى حد ملموس كما هي المجتمعات التي يقيم فيها الفلسطينيــون) قد نجد أن تمييــز الشباب عن بقية المجتمع، أو التعامل معهم كموضوع فقــط[4] (وليــس كــذات، أي كفئة أو فئات لــكل منها رؤيتهــا واهتماماتهــا وانشغالاتها

4 يبرز ذلك في اللغة التي تستخدم أحياناً من قبل مؤسسات مدنية ودوائر حكومية في الحديث عن الشباب كالحديث عن «تفعيــل دور الشبــاب»، أو «تعزيز دور الشباب في صناعة القرار»، أو في «الحفاظ على نظافة البيئة»، وكأنالشباب فقط معنيون بذلك وليس المجتمع بكل فئاته. كما نجد استطلاعات رأي أو مسوح تخص الشباب دون مقارنة نتائج هذه مع نتائج استطلاعات رأي أو مسوح للمجتمع ككل؛ ففي أحيان كثيرة لا نجد فروقاً بين آراء الشباب وآراء الفئات الأخرى فــي المجتمع، وإن وجدت فهي بحاجة إلى تفسير وإبراز ما تحمله من دلالات اجتماعية وسياساتية وثقافية. فعلى سبيل المثال؛ يبدأ تقديم من وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وكالة الأنباء الفلسطينية، وفا) حول واقع الشباب في الضفة الغربيــة وقطاع غزة لبيانات عن الشباب أصدرها الجهــاز المركزي للإحصاء الفلسطيني كالتالي: «تحتل قضايا الشباب موقعــاً مركزياً على رأس قائمــة أولويات السلطة الوطنية الفلسطينية والمنظمات الإقليميــة والدولية العاملة في فلسطين، حيــث يعكس ذلك اعترافاً بخصوصية القضايا المتعلقة بالشباب، ويعبّر عن مدى تشابك قضاياهم مع مجمل التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها البلاد في إيجاد نظام اجتماعي وسياسي أكثر كفاءة، وتوفير حياة أفضل وبيئــة آمنــة. ولا يُنظر للشباب عموماً باعتبارهم صناع المستقبل فحسب، بل يعــد هذا القطاع فاعلاً اجتماعياً مؤثراً في الحاضر أيضاً». انظر/ي: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3203

المتميـزة ومفرداتها الخاصة التي قد تلتقي، وقد لا تلتقي، مع رؤى فئات شبابية أخرى، ومع اهتمامات وانشغالات فئات اجتماعية غير شبابية)، قد تكون وراءه دوافع ومصالح تسويقيـة (لتسويق أزياء معينة لـدور الأزياء المتنافسة بما فيها الـزيّ الرسمي)، وتسويق أغـان أو موسيقـى معينة أو أفلام سينمائية أو للترويج لسلـع كالسيارات وأجهزة الهاتف النقالةً والدعاية لفضائيات بعينها دون غيرها، أو للترويج لأكلات معينة ...). فالشركات المعنية بالزيّ والموسيقى والأغاني ووسائل الاتصال معنية بتسويق منتجاتها عبر التوجه إلـى فئة عمريـة معينة (تحت يافطة شباب وشابات) تشكل فـي بلادنا نحو أكثر من ربع السكان بهدف توجيهها وتأهيلها استهلاكياً، بل لخلق ذوق خاص، وتحديداً بين فئات مـن (الطبقة الوسطى، أو هي مرشحة لأن تكون كذلـك بحكم مستوى التعليم والعلاقة المتوقعة مع سوق العمل، أو بحكم موقع عائلتها الطبقي وبالتالي قدراتها الاستهلاكية)، وذلك لشراء منتجاتها من الموسيقى أو الأزياء أو الأغاني أو مواد التجميل وآخر منتجات وسائل الاتصـال المحمولة؛ فعلى سبيل المثال، جمـع برنامج «محبوب العرب» الذي تسابـق عليه العديد مـن المغنين الشباب والشابات العرب بيـن التركيز على فئة الشباب (التسابـق على الشهرة والنجومية والدخل العالي المرافق لهـا) والتسويق لأغان وأزياء، والدعايـة لمنتجـات أخرى (أكلة دجاج «كنتاكي»، ولشـركات طيران معينة على سبيل المثـال) على حلقات البرنامـج الطويلة. كما شكل ترويجاً للفضائيـة الراعية للبرنامج، واستخدم من قبل بنوك وشركات اتصالات للدعاية. كما تلقى البرنامج والقائمون عليه دعماً من بنوك وسياسيين ورجال أعمال جرياً وراء الشهرة والتودد لجمهور الشباب.

مـا سبق لا ينفي وجود اهتمامـات معني بها الشباب أكثر من غيرهم من الفئات العمرية، بحكم العمر وبحكم المتغيرات التي تدخل على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فقـد تشمل هذه الاهتمامات العمرية مـا يجري في الحقل الرياضي (سواء بالمشاركة أو في المشاهدة، من ألعاب كرة القدم والسباحة والركض وغيرها)، وما يجري في الحقل الثقافـي (على صعيد الأغاني الجديدة والفنون التشكيلية والمسرحية والتراثية وغيرها)، والحقـل التعليمي (الجامعـي وسهوله الانتساب للجامعـات والمعاهد بشكل خاص). لكن فرص المشاركة المباشـرة في هذه الحقول يخضع لما يتوفر من إمكانيات وموارد مخصصة لها في المجتمع بتنويعاته السكانية والطبقية والثقافية وغيرها.

مـا يسترعي الانتباه أن نسبة عالية من الزواج تتسـم، فلسطينياً، في سن الشباب، إذ تفيد بيانـات الجهاز المركزي للإحصـاء الفلسطيني أن الأسـرة الفلسطينية تتشكل في وقت مبكـر (مقارنة بمجتمعات أخـرى)، وتشير بيانات الزواج والطـلاق للعام 2011، بما يخصـ الأراضـي الفلسطينية المحتلة العـام 1967 إلى أن 92.3% مـن إجمالي عقود الـزواج المسجلة للإناث كانت في الفئة العمريـة (15 – 29 سنة)، وما نسبته 81.0%

للذكـور. كما تشير بيانات الجهاز المركزي للإحصـاء الفلسطيني إلى أن 44.8% من الشبـاب (15–29 سنة)، ملتحقون بالتعليم بواقـع 84.9% في الفئة العمرية (15–17 سنـة)، و50.8% للفئـة العمريـة (18–22 سنة) و11.9% في الفئـة العمرية (23–29 سنـة).[5] ولهذا تداعيات على مستويات عـدة، منها؛ القدرة وأولوية الإنفاق على التعليم (بمراحلـه المختلفة)، وتأمين فرص عمل لمن ينتهون من الدراسة بعد المرحلة الأساسية والمراحـل الأخرى، وبخاصـة خريجي الجامعات، حيث يعاني هـؤلاء من نسبة بطالة عاليـة جـداً، إضافة إلى توفيـر سكن ملائم للأسـر الشابة وحضانـات للأطفال ما دون الخامسة، دون إرهاق هذه الأسر بما هو فوق طاقتها.

كما قد يكون وراء إبراز اهتمام خاص بفئة عمرية معنية من المجتمع كشباب، اعتبارات استقطابيـة لتنظيم سياسي أو لحركـة اجتماعية معينة أو لناد رياضي (كرة قدم، وغيرها). كمـا قد يكون المحرك اعتبارات تجنيدية (استقطـاب عناصر جديدة لجيش نظامي، أو لحركة سرية مسلحة، أو لحركة مقاومة أو تحرر وطني).

هنـاك اعتبار آخـر يتعلق بالتعليم (الثانـوي والجامعي والمهني)، حيـث يكون الاهتمام مـن قبل المؤسسات التعليمية (كالمعاهد والجامعـات) التي تتنافس على كسب الطلبة، وتحديداً من المتفوقين في الامتحانات التأهيلية، للانتساب لها. وفي الواقع، فإن شريحة الطلبـة هي الفئة الأوضـح كفئة شبابية واضحة السمات وأماكـن التواجد والاهتمامات والمطالـب (من حيث الأقساط الجامعية، وتوفيـر المنح للطلبة ذوي الدخل المحدود، وتوفيـر المكتبات الضرورية والمرافـق الخاصة للطلبة (من سكـن، وملاعب، وأماكن للتجمـع والحـوار، ... الـخ)، وربط التخصصـات بحاجات المجتمـع وفرص العمل بعـد التخرج، وغير ذلـك. والجامعات، باتحاداتها ومجالسهـا الطلابية هي في العادة الأكثر تنظيميا لفئات شبابية،[6] وهي التي توفر للشباب، بسبب مكانة الجامعة وحرمتها، وبحكم الفرص للنقاش والحوار الحر والتحرر (لمعظم الطلبة) من أعباء اقتصاد السوق. كمـا أن الجامعة هي مكان يوفر للطلبـة فرصة الحصول على رأسمـال تعليمي (ثقافي) يؤهلهم لعضوية الطبقة الوسطى بشرائحها المختلفة، خلافاً للفئات الأخرى من الشباب الذيـن لا تتاح لهم فرص التعليم الجامعي. هـذا الاعتبار مهم لأن امتلاك رأسمال ثقافي (يتطلب الحصول عليه أكثر من 13 سنة تعليمية)، دون الحصول على عمل وفق المؤهل

5 وقائـع المؤتمـر الخاص بالإعلان عـن أرقـام وإحصائيات الشبـاب في فلسطيـن، الذي نظمهالجهـاز المركزي للإحصـاء الفلسطيني ومنتدى شارك الشبابـي، بمناسبة الاحتفال بيوم الشباب العالمي (وكالـة معا الإخبارية، بتاريخ (15/9/2013: http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=512058

6 ظهـرت هـذه القدرة التنظيميـة للطلبة في المواجهات التي تمت بين مجلس طلبة جامعـة بيرزيت وإدارة الجامعة في أيلول 2013 على ضوء لجوء الجامعة لرفع الأقساط بسبب الأزمة المالية التي تمر بها. دون التقليل من دور التنظيمات السياسية الداعمة للكتل الطلابية.

الأكاديمي والتخصصي يعكس مشكلات في النظام الاقتصادي–الاجتماعي، قد ينتج عنها حالات من الانتفاض والاحتجاج إن استفحلت كما حصل عندما تحولت النشاطات الاحتجاجية للشباب إلى انتفاضات شعبية في عدد من الدول العربية في العام 2011. وهي بلدان (كما هو الحال في الضفة الغربية وقطاع غزة) تتمايز، عن بلدان كثيرة أخرى في العالم، من حيث اتسامها بنسب عالية من البطالة (وتحديداً بين الشباب بمن فيهم الخريجون).

لقد أشارت بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني للربع الأول للعام 2013، إلى معدلات بطالة عالية بين الشباب (ما بين 15–29 سنة) بلغت 37.0%، وكان أعلى معدل للبطالة بين الأفراد في الفئة العمرية (20–24 سنة)، 41.1%، مقابل 40.6% بين الأفراد (15–19 سنة)؛ و31.8% بين الأفراد (25–29 سنة). كما تركزت البطالة بين الشباب الذين أنهوا 13 سنة دراسية فأكثر بواقع 45.7%. وفي العام 2011 (حيث تتوفر آخر المعطيات)، بلغت نسبة الفقر بين الشباب (15–29 سنة) 27.4% وفقاً لأنماط الاستهلاك الشهري الحقيقي (بواقع 19.2% في الضفة الغربية، و40.9% في قطاع غزة)، مقارنة مع معدل الفقر بين السكان الذي بلغت نسبته 25.8% (بواقع 17.8% في الضفة الغربية، و38.8% في قطاع غزة). وأشارت مسوح العنف في المجتمع الفلسطيني للعام 2011 إلى أن 20.8% من الشباب (18–29 سنة) قد تعرضوا لشكل واحد على الأقل من أشكال العنف (19.4% للذكور، مقابل 33.2% للإناث)، ولهذا دلالة مهمة على واقع المرأة بشكل عام، بما في ذلك المرأة الشابة.[7]

ثالثاً. الشباب ليسوا فئة «متخارجة» عن المجتمع

من الخطأ التعامل مع الشباب كشريحة متخارجة عن مجتمعاتها، فالشباب مكون من تركيبة مجتمعية وسياسية واقتصادية وتاريخية، وقضاياهم جزء من قضايا المجتمع، والعكس، إلى درجة كبيرة، صحيح أيضاً. فحالات الفقر والبطالة، كما أشرت أعلاه، حالات تشمل الشباب كما الفئات الأخرى من المجتمع، وأسبابهما أسباب بنيوية؛ أي تخص البنية الاقتصادية–الاجتماعية–السياسية. ما ينبغي أن يرعاه الانتباه هو المشكلات التي تواجه قطاعات من الشباب وحاجتهم إلى سياسات تعالج هذه المشكلات؛ فعلى سبيل المثال هناك مشكلات تخص طلاب الجامعات (الأقساط الجامعية، مشكلات توفير سكن بإيجارات تمكن معظم الطلبة من تحملها، البطالة بعد التخرج، ...)، ومشكلات تخص شح المرافق للنشاطات الشبابية (كالنوادي الرياضية، والمسابح، والمسارح، ودور

7 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ومنتدى شارك الشبابي، مرجع سابق.

السينمـا، وفرص العمل التطوعي). وهناك مشكلات تتصل بإشراك الشباب والشابات في مواقع صنع القرار في المؤسسات المختلفة في المجتمع، بما في ذلك في الهيئات القيادية في الأحـزاب والمنظمـات الأهلية والنقابـات المهنيـة والاتحادات القطاعيـة (كالعمال والمـرأة)، استنـاداً بالأساس إلى حاجة هـذه المؤسسات إلـى الاغتناء بـآراء وتوجهات واهتمامـات الفئات المختلفة من الشبـاب والشابات في مواقعهـم وتجمعاتهم المختلفة حول ما يواجهون من مشكلات ومعيقات، وما يرونه ملائماً ومناسباً من برامج وحلول.[8]

رابعا، المأزق الراهن مأزق وطني عام

من الواضح أن المأزق الفلسطيني بتعبيراته المختلفة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليميـة والثقافيـة) مأزق وطني عـام. ومن الصحيح القول إن تعبيـرات هذا المأزق العـام تتضـح في أوضـاع وقضايا وتحديات تتبايـن وفق واقع كل مكـون من مكونات الشعب الفلسطيني داخل فلسطين التاريخية وخارجها. كما أن هذه الأوضاع والقضايا والتحديات، علـى الرغم مما هو مشترك بينها، تتباين وفق الفئات الاجتماعية والسكنية والعمرية. وفي الشرط الفلسطيني، يصعب جداً تجاهل تأثير الحقول السياسية الدولانية (مـن الدولـة) المتعـددة التي تقيم فـي مجـال تأثيرها المباشـر التجمعـات الفلسطينية المختلفة، على مقدرة هذه التجمعات على التعبير بحرية كاملة ودون تبعات عن قضاياها وطموحاتها وتطلعاتها (الوطنية والاجتماعية والثقافية)، وقدرتها على التنظيم دفاعاً عن حقوقهـا ومن أجل تطلعاتها، كما تؤثر على المساحة المتاحـة لها لتنشئة أجيال جديدة على قيـم وطنية ديمقراطية (بالمفهـوم العميق للديمقراطية كتجسيـد وقيم وممارسات التحـرر والمسـاواة والحرية والعدالـة الاجتماعيـة)، وعلى مدى قدرتهـا واستعدادها لمناهضة القهر والظلم والاستغلال والسيطرة الخارجية والداخلية.

خامساً. مفهوم «صراع أجيال» تبسيط وتسطيح للواقع

دفعـت الحـراكات الشبابية التـي شهدها العالم العربـي خلال السنـوات الأخيرة (منذ 2010 وحتى 2013)، ونجاح هذه في تفجير انتفاضات شعبية واسعة النطاق –قادت إلـى إسقاط رؤسـاء لأنظمة مستبدة، وتوليد آليات وسيـرورات تغيير سياسي واقتصادي واجتماعـي مـا زالت في دور التفاعـل والتفاعل المضاد– إلى تنامي ميـل إلى تبسيط ما يجـري، وتفسير دور الشبـاب باعتباره تعبيراً عن الصراع بيـن الأجيال، بدلاً من تناوله

8 كمحاولة لمناقشة واقع الشباب الفلسطيني في بعض التجمعات، انظر/ي: منتدى شارك الشبابي، تقرير واقع الشباب الفلسطيني 2013 «المستقبل يقرع الأبواب»، رام الله، 2013:
(http://www.sharek.ps/new/sharek_report_2013_arabic.pdf).

باعتباره صراعاً بين قوى اجتماعية وسياسية تتباين فيما بينها من حيث السلطة والثروة وفرص الحياة. أي تختفي المصالح واعتبارات السيطرة ويصبح العمر المحدد للصراع. ولذا يتم تجاهل حقيقة أن الأبناء (الجيل الجديد) من ورثة الأنظمة الاستبدادية لم يتميزوا في سياساتهم وسلوكهم عن آبائهم.

سادسا. تجاهل دور القوى السياسية المنظمة والمراهنة على وسائل الاتصال الاجتماعي

ويبدو أن الاستخدام المتزايد –وتحديداً من قبل الفئات الشابة، لكن ليس من قبلها فقط– لوسائل الاتصال الاجتماعي، وتزايد عدد ودور الفضائيات المتجاوز للحدود والقوميات والطبقات والإثنيات والأجيال، أدَّيا إلى تبني نظرية مفادها أن أدوات توليد الثورات لم تعد كما كانت (الأحزاب السياسية، والحركات الاجتماعية، والاتحادات القطاعية والنقابات العمالية والمهنية ومجموعات الضغط والاحتجاج)، بل باتت تتمركز في وسائل الاتصال الاجتماعي، وفي انتشار الفضائيات المسيطر عليها من قبل أفراد أو مشيخات أو عائلات. صحيح أن مجموعات عديدة ظهرت عبر «الفيسبوك» ترفع شعارات من نوع «الشعب يريد ...»، وتملأ كل منها الفراغ الذي تريده، وتنتظر، بقدرة قادر، أن يتحقق ما تريد، لكن شيئاً مما تريده لا يحدث على أرض الواقع، وإن حدث فله محركات موجودة ليس في العالم الافتراضي، بل على أرض الواقع. وصحيح أيضاً أن الفضائيات باتت ذات تأثير على تشكيل الرأي العام، ولكن الصحيح أيضاً أن الناس تقيس ما تسمعه من الفضائيات بما تراه على أرض الواقع، وإن تكرر التعارض بين ما تقوله الفضائيات وبين ما تراه الناس بين صفوفها ومحيطها، وبين ما يمليه الحس السليم العام، فإن هذه الفضائيات تفقد مصداقيتها تماماً وتتكشف لمصالح من هي تجيّر نفسها. إن التحولات التي شهدتها الانتفاضات الشعبية بعد الانتخابات التي جرت، كشفت سطحية الفكرة التي تبناها البعض بأن لم تعد هناك ضرورة ولا حاجة للأحزاب والأيديولوجيات والحركات الاجتماعية والنقابات، ومجموعات الضغط. دون أحزاب واتحادات ونقابات وحركات اجتماعية، فإن أقصى ما يمكن أن يتم هو تحركات موقعية ذات جمهور ضيق العدد، دون أن تملك أفقاً للاستمرار والاتساع، إن لم تتحول إلى حركة سياسية تبني لنفسها قاعدة جماهيرية.

صحيح أن العالم يتغير والبيئة التي ينشأ فيها الجيل الجديد تختلف عن بيئة آبائهم في بعض سمات ومكونات المجتمع المحلي والدولي، لكن ذلك لا يعني قيام قطيعة بين الأجيال وغياب التواصل الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي، أو أن جيل الآباء لا يتأثر أو يتفاعل مع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تدخل المجتمع، بما فيها المتغيرات الإعلامية والتكنولوجية، وبما يخص ثورة الاتصالات ونقل المعلومات

والصـور بسرعة فائقـة (الإنترنت)، والتطـور الهائل الذي دخل علـى وسائل التواصل الاجتماعـي. لكن هـذه التحولات المهمة والمتواصلة لا تعنـي أن الناس لا تجوع ولا تمرض ولا تصبح عاطلة عن العمل، ولا تجد إمكانيـة لاستكمال تعليم أولادها وبناتها بعـد مستوى التعليـم الأساسي المجاني (إن كان ذلك متوفـراً)، ولا تعني توقف ظواهر الفسـاد والاستبداد والقمع ولا اختفاء التوزيع غير المتكافـئ للسلطة والثروة، ولا تمنع التسلط الخارجي، وهي لم توقـف، فلسطينياً، الاستعمار الاستيطاني المتواصل وفرض نظام التمييز العنصري.

لماذا هذا الكراس؟

ليـس موضوع هـذا الكراس البحثـي الشباب بشـكل مجرد، ولا لمجموعـات شبابية فلسطينيـة بعينهـا، ولا هو حول «مشـكلات» أو «هموم» الشبـاب الفلسطيني في هذا التجمـع أو ذاك. الموضـوع يتحدد بمراجعة لمجموعات شبابيـة سعت إلى التغيير في عـدد من المواقع بعد تفجـر انتفاضات تونس ومصر وفي بلـدان عربية أخرى، من قبل شباب وشابات سعـوا إلى الدخول المباشر إلى مجال الفعل السياسي والاجتماعي، وما واجهوه مـن صعوبات وعثرات ومشـكلات. وهي مراجعات تتسـم بالجرأة والنفس النقـدي للـذات قبل الغير، والرغبة فـي التعلم. بتعبير آخر، ينطلق هـذا الكراس البحثي مـن التعاطي مع «الشباب» كـذات وليس كموضوع. ومن هنا فهـو من صياغة شباب وشابات ومراجعة لتجارب شبابية راهنة. ينقص البحث الحالي مرجعات نقدية لتجارب الحـراكات الشبابيـة في الأردن وسوريا وربما في مواقع أخـرى. ولم يكن التقصير من «مسارات» في هذا المجال، بل لظروف الشباب الذين طلب منهم المساهمة، ووعدوا، ليكتشفوا أن ظروفهم لا تتيح ذلك.

مـا يسترعـي الانتباه في قراءة هـذه المراجعات هو قصور معظـم المجموعات الشبابية في التحول أولاً إلى حـركات شبابية خارج محيطها المحلي الضيق، وقصورها ثانياً في التحـول إلى حركات مدعومـة شعبياً. لقد فشل معظمها في الحفاظ على زخم انطلاقته وتواصلها، وبقي محاصراً في الموقع المحلي، ومسكون بالتردد في أغلب الأحيان، في تحديـد ما يريده من حراكه، وفي كيفية مخاطبـة الجمهور الأوسع بدلاً من التركيز على الـذات. وهـي، في معظم الحالات، لم تعمل على تطوير وتنويـع أشكال حراكها (كما كان فـي الحراك الشبابي المصري حيث التنـوع الشديد)، وأظهرت قصوراً فاضحاً في القدرة على بناء جسور مع بعضها البعض، وميل معظمها إلى الانسحاب من ساحة الفعل المنفتـح إلى دائـرة العمل الحلقي والـروح الشللية. لا يعود كل هـذا إلى ضعف الهمة والاستعداد عند معظم هذه المجموعات الشبابية، فهذان توفرا بكثرة، بل يعود جزء مهم

مـن القصور (وليس جميعه) إلـى الشروط الموضوعية التي أحاطـت بهذه الحراكات، ولموجبـات الشرط الفلسطيني فـي كل تجمع. ما يبرز من هذه المراجعات هو الحاجة إلى امتلاك الوعي (السياسـي والاجتماعي والفكري) وعنصر التنظيم الذي يوفر القدرة على توليد وإدامـة وتوسيع الصلات بين أفراد المجموعة وتواصلهم وتوليد الروابط بين المجموعـة والمجوعات الشبابية الأخـرى، والشباب بشكل عام، وصـولاً إلى تشييد علاقة متسعة مع الجمهور الأوسع بعيداً عن النزعة التعليمية والنخبوية.

كما تكشـف هذه الأوراق ضبابية مفهوم «الشباب»، وتطرح الحاجة إلى ربط المفهوم بقضايـا تهم الشباب والحاجـة إلى مخاطبة اهتماماتهـم واحتياجاتهم وتطلعاتهم، على الصعيدين الوطني (مناهضة الاحتلال والاستيطان والجدار والتمييز العنصري والحصار وحق العـودة والحقوق المدنية الكاملة ...)، وعلى الصعيـد القطاعي الخاص بكل فئة شبابيـة، عبر قضايا ملموسة كالتعليم، والبطالة، والمشاركة في الحياة المجتمعية المدنية والسياسية والثقافيـة والرياضية. القضية الوطنية تبقى محورية لأنها تهم الشعب كله في تجمعاتـه وبتكويناته المختلفة، مع التدقيق في دوافـع وراء ديباجة الخطاب الشبابي من قبـل الجهة المخاطبة. فالشبـاب لا يُعرّفون أنفسهم كشباب، إن عرفوا أنفسهم كذلك، إلا ارتباطـاً بقضية مَحـددة أو هدف مرئي، إذ لا نجد مجموعة تعرّف كمجموعة شبابية بشكل عام ومجرد، دون ربط هذا التعريف بقضية أو هدف.

قراءات شبابية في خمسة حراكات شبابية (للفترة الممتدة من 2010–2013)

أولاً. حول تجربة «شباب التغيير» (في فلسطين المحتلة العام 1948)

تتميـز مجموعـة «شباب التغييـر» (بين فلسطينـي 48) بامتلاكها وعيـاً سياسياً وتجربة تنظيمية، وهو ما منحها القدرة على التواصل وطرح مشروع مجتمعي ما. وتشدد ورقة الزميلـة نجمة علـي، على أهمية الوعي السياسي والتجربـة التنظيمية في تعزيز دور أفراد هـذه المجموعة الشبابية نتيجة «معرفتهم للواقع وتواصلهم مع الأطر الفاعلة، من خلال علاقاتهـم الشخصية وعلاقاتهم المهنية مع مؤسسـات المجتمع المدني». ويهتم أفراد المجموعة بتوضيح أن انسحابهم من الإطار الحزبي الذي جمعهم جاء «نتيجة لخلافات سياسية وفكريـة وليس لأنهم تعبوا من النضال». ولذا، تلاحظ الورقة أن الفعاليات التي قامت بها مجموعة «شباب التغيير»، كالتظاهر، والعمل التطوعي، وحملات الإغاثة، لم تكـن فعاليات أو أنشطة جديدة على حقل العمـل السياسي الفلسطيني في إسرائيل. فما سعى إليه «شباب التغيير»، هو الاهتمام بهم كذات وليس كمجرد موضوع يتمثل دورهم في أن يكونوا أداة تنفيذ لقرارات حزبية تصلهم من هيئات «أعلى».

تعتــرف المجموعة أن محاولات التشارك في المهام ذاتها مع مجموعات شبابية أخرى بــاءت بالفشل، لأن أغلــب الحركات الشبابية الفاعلة تنتمي لأحــزاب سياسية، وبالتالي تحرص علــى تشييد «طوق تنظيمي» علــى إمكانية المشاركة في مهــام مشتركة، لأنها تريــد استثمار نشاطها لصالح حزبها وحســب. كما تشير الورقة إلى أن مقابل مجموعة «شباب التغيير» ظهرت مجموعة شبابية أخرى داخل الحزب الشيوعي، سمّت نفسها بـ «باقون» وهي مجموعة أكدت على توفر إمكانية للتغيير من داخل الإطار الحزبي القائم، وتصر على العمل من خلال إطار الشبيبة الشيوعية.

تلاحــظ ورقــة الزميلة نجمة علي أن هذا التشكل أبرز «نقــاط الضعف والقوة لكل آلية؛ فالعمل من خلال إطار حزبي ممأسس يملك قاعدة جماهيرية وكوادر ومكاتب ومراكز وتمويــل اقتصادي، وكلهــا موارد مــن الممكن استغلالهــا، بخلاف الحــراك الشبابي الخارج عن الإطار الحزبي، مثل «شباب التغيير» الذي لا يملك موارد مماثلة تمكنه من أن يشــكل رافعة للعمل، غير امتلاكه الاستقلالية والقدرة الواسعة على التحرك». وتشير إلــى أن «قضيــة التمويل قضية مهمة للحفاظ على طول النفس فــي العمل»، وبخاصة أن النضال الذي تخوضه الأقلية الفلسطينيــة في إسرائيل، يتمحور حول الحقوق الجماعية والاعتراف بها كأقلية قومية أصلانية، وبالتالي لا يمكن «خصخصتها» إلى مطالب فردية تركــز على حقوق المواطــن وحسب. ولذا، تجدر ملاحظة ما تنبه له الورقة من مخاطر تجزئــة القضايا وبعثرتها، وعدم رؤية الصورة الكاملة، وبخاصة عند الحديث عن نضال الجماهيــر العربيــة الفلسطينية في إسرائيل كنضال يستهدف تغييــراً عميقاً في بنية الدولة الاستعمارية، يمس تعريفها لذاتها ولسياساتها.

العمل الشبابي المستقل والعمل الشبابي الحزبي

تنبــه ورقة «الشباب الفلسطيني في إسرائيل: بين العمل الحزبي والحراك المستقل»، إلى أهميــة توثيق تجربة الحــراكات الشبابية الفلسطينية داخل إسرائيــل، فهي تلاحظ أنه مع انتهاء من كتابة ورقتها (صيف 2013) «وجود العديد من الشباب والصبايا في الشوارع والساحات العامة للتنديد ضد مخطط «برافر» الذي يهدف إلى مصادرة 800 ألف دونم مــن أراضي النقب، وتهجيــر 40 ألف فلسطيني عربي، وهدم 36 من قراهم». وتلاحظ «فــي هذه الحــراكات دوراً شبابياً واضحاً فــي قيادة المظاهرات والحضــور الميداني، ولأول مــرة تقوم فئات شبابية للتخطيط لحدث كهذا دون وجــود هيمنة حزبية– تقريباً لا وجــود للأحزاب في هذا النضال سوى بحضور عدد قليل منهم في هذه المظاهرات، وهــو أمر سلبي». والجدير بالانتباه، وهو أمر يعــود على الأغلب، إلى التجربة السياسية والتنظيميــة لمجموعة «شباب التغييــر»، قرار هذه المجموعة خوض انتخابات بلدية

الناصرة، وهذه تجربة جديدة على العمل السياسي في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، الـذي اعتاد على العمـل الحزبي من خلال الأطـر السياسية المعروفة فـي التنافس على المجالس المحلية والبلديات.

تتساءل ورقة الزميلة نجمة علي «هل تستطيع تجربة «شباب التغيير» الانتقال من المستوى المحلـي لتكون ظاهـرة قطرية تنتقل لأماكن أخـرى؟ وإلى مستوى سياسـي آخر – مثل الكنيسـت؟ أم أنهـا ستبقى تجربة محلية ينتمي أعضاؤها إلـى البلد نفسه ويكون السقف السياسي هو العمل البلدي المباشر؟»، وهو تساؤل يبقى بانتظار جواب يكشفه مسار هذه التجربة. وتشير في استخلاصاتها إلى ملاحظتين؛ الأولى تخص مخاطر «تكلس الأحزاب السياسية» التي باتت سقف ما تريده «الكنيست»، بدلاً من أن «يكون الحزب جسماً حياً يشـكل التمثيل البرلماني أحـد أذرعه وليس سقف عمله»، كما عبـر أحد الشباب الذين استنطقتهـم الورقة. والملاحظة الثانية، للشاب نفسه، تخصـ استخدام وسائل الاتصال الحديثة التي تتيح «تنظيم تحرّكات واسعة دون اتصال مباشر ودون الآليات التقليدية التي تكـون عادةً بحـوزة الأحزاب أو الأطر المنظمة». ويترافق هذا مـع «الشعور بأنّ التغيير المنشود منوط فقط بالتحرّك «خارج الصندوق»– بما معناه خارج الأحزاب». وفي هذا الشعور خطورة على غير المنتمين لتنظيمات سياسية، لأن «مراراتهم أكبر في حال التعثر، أكثر بكثير من المسيّسين». ويحمل خطورة ثانية تتمثل «في انعدام المراكمة في الخبرة، وفقدان الرابط بين القضايا والتركيز على تناقض واحد دون تحد شمولي ومنظم للمنظومة الكبرى التي تنتج كل التناقضات– أي دون رؤية الصورة المركّبة».

ثانياً. حول تجربة بعض المجموعات الشبابية في القدس المحتلة

تلاحظ الزميلة هنادي قواسمي في مراجعة تجربة الحراكات الشبابية في القدس المحتلة، أن «مفهـوم «الشباب» اكتسب، بعد الانتفاضات العربية مضامين وأبعاداً سياسية جديدة لم تكن حاضرة عربياً قبل ذلك. أي تم تسييس تعبير الشباب مجدداً بعد أن تم تسييس، فلسطينياً، تعبير الأطفال في مراحل سابقة (أطفال الحجارة، وأطفال الأر بي جي، وتعبير الشبيبة لدى حركة «فتح»). تشير الورقة إلى خصوصية مدينة القدس بمدلولاتها التاريخية والدينيـة والسياسية والرمزيـة، وخصوصيتها الناتجة عن حضور الاحتـلال الإسرائيلي المباشر واليومي في كل أرجاء المدينة وشوارعها، وتعرضها للتهويد المستمر وإخضاع سكانها الفلسطينيين بالقوة إلى التطهير العرقي، ومحاصرتها بالحواجز والمستوطنات، وغيـاب الحضور القيادي الفلسطيني المؤثر (بعد غيـاب فيصل الحسيني) عن المدينة. وتشير الورقة إلى أن خصوصية المدينة شكلت عامل دفع للحراكات الشبابية فيها، وأنها دفعتهم إلى تجاوز بعض الخلافات فيما بينهم.

تشير الورقة إلى أن مجموعة «شباب من أجل القدس» ظهرت في شباط – آذار 2011، وتشكلت «من شباب ناشطين سياسيين، بعضهم ينتمي إلى أحزاب وتنظيمات فلسطينية معروفة، ولكنهم سئموا العمل في أطر أحزابهم، ... ومن آخرين مستقلين لا ينتمون في الأصل لأي حزب سياسي فلسطيني ... وآخرين لم يعتادوا في المجمل النشاط السياسي أو الاجتماعي العامّ، ولكن رياح الثورات العربية أصابتهم، وشعروا بحماسة ليحذوا حذو زملائهم الشباب في الدول العربية المجاورة. شملت المجموعة عشرات الأعضاء من مختلف الأحياء المقدسية ... شباناً وشابات، أغلبهم من حملة الشهادات الجامعية، ومن أبناء الطبقة المتوسطة على اختلاف تدرجاتها، البعض موظفون في شركات ومؤسسات، والآخرون طلاب جامعيون، وأصحاب مهن مختلفة». وتشير الورقة إلى أن المشاركة في فعاليات هذه المجموعة، كانت مفتوحة لمن يرغب، إذ لم يكن لها أنظمة ولوائح عضوية، لكن «النواة المحركة من المجموعة التي بلغ عددها التقريبي عشرة أشخاص» كانت تعرف بعضها البعض، ولم يكن ليدخل أحد إلى دائرتهم إلا وكان معروفاً و«مرضياً» عنه سياسياً ووطنياً». ولذا لم تكن اجتماعات النواة القيادية للمجموعة «افتراضية، وأن «الفيسبوك» في حالتهم كان أداة إعلان عن أنفسهم أمام الجمهور ... فاجتماعاتهم تجري على الأرض، وجهاً لوجه، ولا يستعمل «الفيسبوك» إلا لاستكمال التنسيق ولإتمام التواصل الذي بدأ على الأرض، ولتحقيق الانتشار بين صفوف الشباب المقدسيين».

عرّفت المجموعة نفسها بأنها مجموعة دون انتماء حزبي أو سياسي، وأنها تقف ضد «معاكسات البنات في الشوارع، وعلى أبواب المدارس؛ تعاطي المخدرات وانتشارها بشكل كبير في صفوف الشباب المقدسي؛ أن يكون الشباب بلا هدف أو رؤية»، وأن هدفها «أن تكون القدس رمزاً للثقافة والكرامة والحرية». وتشير الورقة إلى أن أبرز ملامح المجموعات الشبابية في القدس تتمثل في العناوين التالية:

ملامح المجموعات الشبابية في القدس: التنقل بين السياسي والاجتماعي والتوثيقي

أولاً. يلاحظ ميل إلى التأكيد على الاستقلالية عن التنظيمات السياسية، كما تلاحظ الورقة أن المجموعات الشبابية تبدأ التعريف بنفسها بشكل سلبي («فبدلاً من القول: «نحن كذا وكذا»، تقول: نحن لسنا كذا وكذا»). تفسر الكاتبة هذا التوصيف بأنه نتيجة «الشعور بخيبة الأمل من السقف الذي تتحرك تحته الأحزاب السياسية، ومن رغبة في الانطلاق في العمل دون انتظار موافقة المسؤول في الحزب أو دون الاعتبار لمعاييره وحسابات المصالح السياسية بين الأحزاب».

ثانيـاً. انصبـاب اهتمام مجموعة «شباب مـن أجل القدس» علـى الجوانب الاجتماعية أكثـر من اهتمامهـا بالجوانب السياسية. فبينما كانت مجموعـة من الشباب تتحرك في الضفـة وقطاع غزة رافعة شعار «إنهـاء الانقسام»، كان شباب القدس يهتمون بقضاياهم الاجتماعيـة في أبسط تعبيراتها، بما فيهـا «معاكسة البنات». جزء من ذلك يعود إلى أن موضـوع إنهاء الانقسام طرح فـي القدس، لكنه لم يلقَ اهتمامـاً لأن القدس ليست هي «مركـز ثقل السلطة الفلسطينية – وهي المخاطبـة بـشعار إنهاء الانقسام»، وثقل القيادة موجود في رام الله، ولذا شارك شباب من القدس في نشاطات أقيمت في رام الله وطالبت بإنهـاء الانقسـام. وترى الورقة أنه «فـي الحالة الفلسطينية يكتسـب الفعل الاجتماعي الصـرف دلالة وطنية كبيرة»، بما في ذلك زيارات للمرضى والأطفال في المستشفيات المقدسيـة، التـي قامت بهـا المجموعـة، وكذلك «وقفـات أمام مدارس البنات وفي الشـوارع الرئيسية لمدينة القدس لمنع المعاكسات، وحملات مثـل تنظيف الشوارع وغيرهـا». وشمل هذا ما قامت بـه مجموعات أخرى (منها مجموعـة «كنعانيون ... علـى الخير اجتمعنا») ركزت على مساندة الفقـراء والمحتاجين وتوفير لوازم المدارس للعائلات المستورة.

ثالثـاً. ظاهـرة العـودة إلى العمـل السياسي؛ تشير الورقـة إلى «أن الانغماس في العمل الاجتماعي البحت، وإن كانت له أهميته الوطنية السياسية على صعيد القدس، فإنه يصل فـي بعض الأحيـان إلى أفق مسدود، إذ يغـدو في نظر البعض مجـرد محاولات صادقة لإطفاء الحرائق الصغيرة الناجمة عن الحريق الكبير المتمثل في الاحتلال». وتستخلص أن هـذا كان مـن الأسبـاب التـي أدت إلـى «خفوت نجـم مجموعة «شبـاب من أجل القدس»، وظهور مجموعات أخرى ركـزت في عملها على القضايـا السياسية بشكل مباشـر. واختفت تدريجياً أسمـاء المجموعات الشبابية، و«أصبحـت السمة الأساسية فـي أي فعالية هي وجـود عنصر الشباب كمحرك ومنظم لهـا، دون الانتظام تحت اسم مجموعة معينة». من هذه الفعاليات المساندة لإضراب الأسرى، حيث نظمت عشرات الوقفات الاحتجاجية والمسيرات، شارك فيها شباب وفئات عمرية أخرى، وبخاصة من أهالي الأسرى، كما تنوع المشاركون من حيث انتماءاتهم الحزبية.

رابعاً. ظهور مجموعات شبابية ذات اهتمامات محددة في العامين الأخيرين في القدس. مجموعـات تعنى بالتصوير وتستخدمـه لتوثيق تاريخ القدس فـي مناهضة تهويدها عبر تصويـر الانتهاكات التـي تتعرض لها ومعالـم احتلالها. وباتت شـوارع القدس تشهد شبابـاً يتجولون حاملين الكاميـرات ويلتقطون الصور وينشرونها علـى مواقع التواصل الاجتماعي، كما أنتج بعضهم فيديوهات للتعريف بمعالم المدينة المقدسة. واستقطبت مجموعتان همـا «صوّر وانت ماشـي»، و«نبض القدس» الشباب مـن الفئات الأصغر

عمـراً تركز «علـى تنظيم جولات للشبـاب والفتيات للتعرف على معالـم مدينة القدس وقراها المهجرة غالباً برفقة مرشد تاريخي يشرح لهم عن تلك المعالم».

خامسـاً. وجود حالة شبابية في القدس وليس مجموعـات شبابية. تلاحظ الورقة أنه لم يعـد هنـاك مجموعات شبابية بعينها تنشـط ضمن الحراك الشبابـي المقدسي ذي البعد السياسي، بل يوجد «شباب يمكن تسميتهم نشيطين، تربطهم علاقات صداقة أو معرفة، ينتجـون معاً «حالة» من الحـراك الشبابي». وبات هناك إطـار «فضفاض» من التنسيق بين أفراد نشيطين يعمل تحت تعبير «يدعوكم الحراك الشبابي في القدس»؛ أي أن هناك «مجموعـات لا تتخذ تعريفاً محدداً ولا شكلاً واحـداً للعمل، وليست كلها تتبع طريقة واحدة في الإعلان عن نفسها، والتواصل مع محيطها».

يلاحظ أحـد الشباب المستنطقين من القدس، وجود «حالـة تغلي على نار هادئة، ربما هـي أحد إنجازات الحـراك الشبابي في القدس، فهو إن لم ينجح فـي خلق جماهيرية واسعة له، فإنه نجح أحياناً في تأجيج القضايا المطروحة على الساحة، والتفاعل معها من خلال الشارع».

ثالثاً. مناقشة للحراكات الشبابية في بقية الضفة الغربية

تـروي ورقة الزميل طـارق خميـس المعنونة «الحـراك الشبابي الفلسطينـي في الضفة الغربيـة» بشيء مـن التفصيل قصة حركة مجموعـة «شباب 15 آذار» فـي وسط الضفة الغربيـة، التي تعود لمشاركة مجموعة من الشباب فـي مسيرة ضد الاحتلال الإسرائيلي فـي قرية النبي صالح في أيلول من العام 2010. وشكلت، كما يبدو، تجربة المجموعة فـي هذه المسيرة ودور سكان القرية في فك حصـار الجيش عن المجموعة الدافع وراء بدئهـا حركـة نقاش سبقت بأشهر حـراك 15 آذار 2011. وتشيـر الورقة إلى أن معظم أفراد المجموعة كان من غير الحزبيين، ويعمل في منظمات غير حكومية. وتناول نقاش المجموعة المهام المطروحة عليها. وكان القرار الأول للمجموعة تنظيم وقفة تضامنية مع الثـورة التونسية، وأنشأ بعضهم موقعا على «الفيسبـوك» لهذا الغرض، لكنه تم إلغاء مسيـرة التضامن مع الثـورة التونسية بحكم التضارب في الموعـد والمكان المرخصين مـع مسيرة تضامنية مع أحد الأسرى، وبعد تدخل قوى الأمن لمنع رفع الأعلام التونسية فـي المسيـرة منعاً لبروز مظاهـر عداء للنظـام التونسي. بعد ذلك، دعـت المجموعة، مـن خلال «الفيسبوك»، إلـى وقفة تضامن مع الثورة المصرية مـن خلال تنظيم اعتصام أمـام السفارة المصرية، وتدخلت أجهزة الأمـن الفلسطينية التابعة للسلطة بالضغط على منظميها لإلغاء الدعوة ونجحت في ذلك، لكن هذا لم يمنع مجموعة صغيرة أخرى من

خارج المجموعة من القيام باعتصام لم يدم طويلاً أمام إصرار قوات الأمن على إنهائه، فما كان من مجموعة أخرى إلا أن نظمت مسيرة ليلية في المكان نفسه (دوار المنارة) دعماً للثورة المصرية، اعتقلت على أثرها قوات الأمن بعض أفرادها.

بعد ذلك تم توحيد الجهود للإعلان في 15 آذار 2011 عن اعتصام مفتوح يطالب بإنهاء الانقسام وتنظيم انتخابات لمجلس وطني جديد، ووجهت رسالة للرئيس محمود عباس (في رام الله)، ورئيس الوزراء في غزة (إسماعيل هنية)، دعت إلى إنهاء الانقسام. ومع ملاحظة غياب أي استجابة لهذه المطالب استمرّ الاعتصام لنحو خمسين يوماً. رواية الشباب المعتصمين في رام الله تتحدث عن تضامن شعبي معهم في إطار توفير المعجنات لهم من الأفران القريبة والماء من المحلات المجاورة. كما تتحدث عن محاولات لاحتواء الحراك من قبل السلطة في رام الله، في حين جوبه الحراك في غزة بالقمع من حكومة «حماس» لأنه قوبل بمشاركة أوسع من الجمهور من حراك رام الله.

على الرغم من الارتياح الجماهيري لشعار «إنهاء الانقسام»، فإن المجموعة الشبابية في رام الله (15 آذار) بقيت مترددة في الاقتصار على هذا الشعار، لكونه شعاراً فضفاضاً وقابلاً للاحتواء، ولذا أضافت مطلب الدعوة إلى إجراء انتخابات المجلس الوطني.

تبنّت مجموعة شبابية أخرى تاريخ الخامس من حزيران (تاريخ هزيمة حزيران في العام 1967) لبداية انطلاقتها (تحت اسم «تجمع 5 حزيران»)، قبل تغيير اسمها إلى الحراك الشّبابي المُستقلّ. التحقت المجموعة بيوم 15 آذار، حيث تعرّفت على المجموعات الأخرى، على أرض ميدان المنارة بعد أن كانت هذه المجموعات تتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي. ينتمي أغلبية أعضاء «الحراك الشبابي المستقل» إلى أحزاب يسارية يحملون توجهات يسارية. ووفق تشخيص ورقة الزميل طارق خميس، هم في غالبيتهم من الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى. وقد رفعت المجموعة شعارات سياسية عدة إضافة إلى إنهاء الانقسام، الذي تخلوا عنه للإحساس بعدم جدواه، منها؛ عودة المجلس الوطني، قضية الأسرى، التطبيع والتمويل الأجنبي. وتذكر الورقة أن حراك هذه المجموعة نجح في إلغاء لقاءات تطبيعية، بالتعاون مع مجموعة أخرى تعمل تحت اسم «شباب بنحب البلد».

تلاحظ الورقة نشوب خلافات بين المجموعات الشبابية التي فشلت في التنسيق فيما بينها، نتج عن بعضها بروز لغة سلبية وتحديداً تجاه مجموعة 15 آذار التي اتهمت بأن لها علاقتها بالمنظمات غير الحكومية وبشخصيات لا تحظى بسمعة وطنية سوية. فيما اتّهمت مجموعة 5 حزيران بعدم امتلاكها القرار المستقل، كونها تتبع لتنظيم سياسي يساري. ولم يستبعد البعض دور الأجهزة الأمنية في الترويج للإشاعات حول

المجموعـات لتوليد الفرقة والشكوك والانفضاض عنهـا، وإلى اعتبار بعض الشعارات التي رفعت شعارات مهادنة.

لكـن الملاحظة المهمة خصت كثـرة المجموعات الشبابية التي ظهـرت في مدينة رام الله، والتي «كانت إما بدفع من حركة «فتح» بهدف تشويش الحالة وإما من المؤسسات الشبابية التي تتلقى دعماً أجنبياً بهدف تمثيل الحالة مثل: مجموعة «يلا ننهي الاحتلال». فالمجموعـة الأخيرة «رفضت العمل مع الحراك العام لأنها عارضت الدعوة لانتخابات للمجلس الوطني دون توضيح سبب هذا الرفض، وقامت بتعليق ملصقاتها الداعية لإنهاء الاحتـلال واختفت بعدهـا». وتلاحظ الورقة ظهـور مجموعات ركّـزت على العمل التطوعـي كقيمة أساسية للتحرر من هيمنة التمويل الأجنبي، مثل مجموعة «فريق ساند» التي تبنت فكرة «العونة».

اختفاء المجموعات الشبابية لصالح تنظيم فعاليات شبابية

اختفـت المجموعـات الشبابيـة جميعها بعـد فترة من الزمـن لم تتجاوز السنـة، إلا أن نشطاءهـا ما زالوا يشاركون في الفعاليات المختلفـة «ليظهروا فيما بعد موحدين تحت اسـم «فلسطينيون من أجل الكرامـة»، وبذلك أصبحت هذه المجموعة تضم خليطاً من التوجهات الشبابية؛ جزء منها منحدر من أصول يسارية، وجزء أخر ذو خلفيات ليبرالية، وجـزء لا يحمل خلفيـة محددة وإنما يتفق مع الشعارات التـي ثابر التجمع الجديد على رفعهـا، وقد اختفت صفـة الشبابية من هذه المجموعة رغبة منها فـي الوصول لشرائح مختلفـة من المجتمع، إلا أن ذلك لم ينجح كما يتضح من فعالياته». وتوضح الورقة أن المجموعة الجديدة تواظب علـى تنظيم النشاطات المساندة للأسرى والرافضة للتطبيع والداعية لتفعيل انتخابات المجلس الوطني، ورفض الاعتقال السياسي.

كمـا ظهرت فعاليـات شبابية جديدة ركزت علـى فعل محدد؛ كإغـلاق بعض الفتيات لمدخـل مستوطنة «بيت إيـل»، والتظاهر في سـوق «رامي ليفي» فـي مستوطنة شاعر بنيامين، وإقامة قرى في الأراضي المهددة داخل مناطق إي1، منها؛ قرية «باب الشمس» التـي حصلت على الدعم الحكومي، حيث أنها كفكرة ولدت من رحم اللجنة التنسيقية للمقاومة الشعبية، وبدعم مباشر من وزارة الحكم المحلي، و«زفة العرسان» حيث مرت الزفـة لتشغـل الحاجز عن 20 شاباً تسللوا من خلال الجبـل لرفع علم فلسطين على قرية «باب الشمس»، وتبعها تشييد قرى أخرى، لم تستطع أيٌّ منها أن يعمر.

تطـرح ورقـة الزميل طارق خميس تساؤلاً حـول أسباب إخفاق «الربيـع الفلسطيني»، ويرجـع هذا الإخفاق لأسباب يعـود بعضها لعوامل موضوعيـة وبعضها الآخر لأسباب

ذاتية. الأسباب الموضوعية تتمحور حول خصوصية الوضع الفلسطيني، وفرادة الحالة الفلسطينيــة، إذ «هناك غياب للنظام فلسطينياً بمعناه المؤسساتي والبنيوي المتصل عملياً بنشــأة الدولة الحديثة، الذي خرجت الجماهير تطالــب بإسقاطه عربياً، فليس ثمة نظام يمايــز نفسه عن دولــة مستقلة، وأصبــح بالإمــكان إسقاطه ليحل نظام آخــر مكانه ... هنــاك شبه نظام ... تتحدد إيقاع حركته تقدماً وتأخــراً بمنظومة متكاملة من المانحين، ومشــدودة بطبيعة الحال بطبيعــة (التوتر/اللاتوتر) مع الاستعمــار الاستيطاني. هذا كله يجعــل خصوصية الحــراكات الاحتجاجية فلسطينياً تتمثل فــي كونها تواجه جسما غير مكتمل، تنقصه مقومات النظام ...».

الشبابية بدلاً من وصف روح المبادرة باتت وصفاً لجماعة فرعية معزولة

حــول العوامل الذاتية، تشير الورقــة إلى أن السمة الشبابية في الحــركات الفلسطينية لم تخدمهــا «حيث ستحولهــا من وصف للــروح الفاعلة إلى فئة محصــورة». فقد جرى تصويــر فئة شبابيــة لها صفات معينة منعزلة عن فئات المجتمــع الأخرى وقادرة على أن تتحــدث عن مشاكل مجتمع خارجها». وتضيف الورقة أن الفئة الشبابية «لم تتوانَ عن إنتــاج خطاب يعــزل نفسه عن محيطه»، بدليل «قصور خطــاب الحراكات الشبابية عن كســب ثقة الناس». وقد تم هذا «في أجواء تحتفــي بالشباب كفئة تتم صناعتها وعزلها عن مجمل التفاعــلات السياسية والمجتمعية، بواسطة مؤسســات التمويل الأجنبي ... حيــث أن المطلوب هو إخراج جيل شبابي يحتفي بقضاياه الخاصة المعزولة عن مجمل التفاعــلات السياسية والاجتماعيــة، ويتحدث عنه بلغة تقنية منزوعــة السياسة». وترى الورقة أن «صفة الشبابية تحولت من وصف للروح المبادرة والخلاقة إلى وصف جماعة فرعية داخل المجتمع، تعمل بمعزل عنه. ولذلك يكثر سماع عبارات من نوع «الانقسام أثــر على الشباب»، وكأن الشباب هــم الفئة الطهرانية التي لم تشارك بالانقسام واكتفت بكونهــا فئة وقع عليهــا هذا الفعل». وتقــارن الورقة بين الوضــع الحالي للمجموعات الشبابيــة وبين الدور الوطني المهم الذي سبــق أن قام به الاتحاد العام لطلبة فلسطين قبل نشوء منظمة التحرير الفلسطينية بسنوات عدة.

وتــرى الورقة أنه جــرى فلسطينياً «استحضــار ساحة المنارة كحيز عــام للتحرك الشبابي الجديد. هذا الاستحضار لم يكن واعياً للفروق الجوهرية التي تميّزه عن المحيط العربي»، حيــث يساعــد كبر عدد السكان على جعــل الكم البشري ضرورياً فــي عملية الاحتشاد، «كمــا أن الميدان بما هو تشكيل مدينــي مرتبط بالمدن الكبرى ويقع وسطها أو في مكان حيويتها، يؤدي إغلاقه لإغلاق المدينة بأكملها أو لأجزاء مهمة منها، فيما هذه الخصائص لــم تكن تشبه بشيء ساحة المنارة الــذي لم يكن إغلاقها ليغلق البلد، ولم يكن ليعول على

حشـود جماهيرية في منطقة جغرافية لا تتجاوز 45 ألف نسمة، وهو عدد سكان رام الله. هذا فضلاً عن أن الاحتلال قام بتقطيع التواصل الجغرافي للمدن، مانعاً توسعها وتواصلها فيما بينها، جاعلاً بذلك من التراكم البشري تراكماً محصوراً لا عمق له».

ومـن العوامل الذاتية التي تشير إليها الورقة اكتفاء الحراكات الشبابية «في بعض الأحيان برفـع شعارات ذات طابع سلبي: «لا للمفاوضـات»، «لا للانقسام»، وفي الأحيان التي طرحـت شعاراً إيجابياً كشعار «إجراء انتخابات مجلس وطني» لم يحمل الشعار أدوات رافعة لـه، ولا برنامجاً يعززه؛ أي لم تكن للشعار آليات جدية تعزز كونه برنامج عمل». كمـا امتاز خطابهـا غالباً «بردة الفعـل لا بالمبادرة للفعـل، فقضايا كالأسـرى والعودة للمفاوضـات والاعتقال السياسي، كلها تندرج ضمـن مراقبة الفعل السياسي والرد عليه باحتجـاج مضـاد». كما «عجـزت الحراكات عـن أن توسع جسمها أفقيـاً، فلم تصل المخيمـات والقرى كتشكيلات اجتماعية خارج المدينة، كما أنها لم تخرج من رام الله غالباً كمكان لمركز نشاطاتها».

مـن العوامل الذاتية التي تشير إليهـا ورقة الزميل طارق خميس، المحـدد الطبقي لشباب وشابـات الحراكات الشبابيـة؛ فأغلبهم من أبناء وبنـات «الطبقة الوسطـى العليا والطبقة الوسطـى الدنيـا، فيما سياسيـاً يمكن القول أن أغلبهـم جاؤوا من خلفيات إمـا ليبرالية أو يساريـة». هـذا جعل تيارين رئيسييـن «يسيطران على مشهد الحـراك مع وجود حالات استثنـاء كثيرة لم تتحول إلى تيار؛ فأبناء الطبقة الوسطى العليـا والميالون للأفكار الليبرالية شكلوا تياراً، وأبناء الطبقة الوسطى الدنيا والميّالون للأفكار اليسارية شكلوا تياراً آخر، هذا فضلاً عن أفراد آخرين لم يشعروا أنفسهم منشدين لهذا التجاذب، وغني عن القول إن هذا التنوع في حراك لم يتجاوز عدده الـ150 شخصاً يعد تنوعاً مشرذماً للحالة لا مغنياً لها ... فضـلاً عن أن هذا التنوع لم يحمل شكل تنـوع فكري واضح على الرغم مما يبدو للوهلة الأولى من اختلاف المشارب الفكرية بين شباب الحراكات، إلا أنه في المحصلة لم يخلق نهجاً جديداً للعمل، ولذلك هو امتداد للسائد في الساحة الفلسطينية». بتعبير آخر، قادت الخلفية الطبقية والفكرية وصغر عدد الناشطين في هذه الحراكات إلى التشرذم.

غياب شبيبة التيارات الإسلامية

وتلاحـظ ورقة الزميل طـارق خميس غياب شبيبـة التيارات الإسلاميـة عن الحراكات الشبابيـة التي جرت في الضفة الغربية نتيجـة لحالة القمع التي تشهدها هذه التيارات في الضفـة؛ «فعلـى سبيل المثال لم يكن يحضـر الأفراد الإسلاميون إلـى مسيرات مناهضة للاعتقـال السياسي الذي كان يمسهم بالدرجة الأولى. كما أن حالة الحراك الشبابي لم

تشهد التحاق إسلاميين غادروا الحالة التنظيمية كما حدث في حراكات الربيع العربي إلا في حالات نادرة ... إلا أنه من المفيد هنا الإشارة إلى الدعاية التي نجحت الأجهزة الأمنية في تسويقها عن الناشطين كمجوعة منفلتة من الضوابط الاجتماعيّة (ارتياد البارات ... الخ)، وفي ذهن الكثيرين كان يكفي ليصدق هذه الدعاية أن يرى نمط الحياة الاجتماعية المتحررة التي يعيشها أغلب الناشطين، وهذا ما أنتج حاجزاً نفسياً يقف أمام انخراطهم داخل هذه الحالة، وحال دون مشاركة شباب جدد في الحراكات الشبابية أو كسب تأييد شعبي لها».

ينهي الزميل طارق خميس ورقته حول الحراك الشبابي في الضفة الغربية بتساؤل عما إن كانت بنية العمل السلمي (بما فيها الحراكات الشبابية) تحمل في داخلها بذور فنائها في ظل استعمار استعماري استيطاني، ويميل إلى اعتبار أن الحراكات الشبابية في سياق الشرط الفلسطيني هي «تعبير عن أزمة من البداية، وليس عن عافية، وهو ما يجعل تحميلها الآمال الكبيرة تحميلاً مبالغاً فيه، يقيسها بما حولها دون فهم خصوصية السياق الذي تعمل ضمنه/ضده». وهو استخلاص يستحق التأمل لكونه يعيدنا إلى الحاجة إلى وعي خصوصية الشرط الفلسطيني، وبخاصة في لحظته الراهنة.

رابعاً. حول الحراك الشبابي في قطاع غزة

يبدأ الزميل إبراهيم الشطلي ورقته المعنونة «الحراك الشبابي الفلسطيني في قطاع غزة؛ ثورة لم تنضج بعد» بسؤال عن سبب الفشل في ولادة «ربيع فلسطيني» يقوده الشباب على غرار ما حدث في مصر وأماكن أخرى، على الرغم من أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة تدعم ذلك؟ وفي هذا السياق، تورد الورقة بيانات كافة تبرز ارتفاع معدلات الفقر والبطالة في المجتمع الفلسطيني بشكل عام، ولدى الشباب بشكل خاص، وإلى الارتفاع الشديد لمعدلات البطالة تطال نصف الخريجين (دبلوم فأعلى)، ووقوع نحو ربع الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة دون خط الفقر، مع ملاحظة أن معدلات البطالة والفقر في قطاع غزة تزيد بشكل كبير عما هي عليه في الضفة الغربية. وهو ينظر إلى دلالات ذلك على صعيد استلاب الحريات وفرص الحياة، وكبح القدرات الشبابية، وما تنتجه من حالات إحباط ويأس، ومن انتقاص للكرامة الإنسانية، ومن مشاكل اجتماعية تدفع الشباب إلى الهجرة، ومن ارتفاع في معدلات العنف المجتمعي، والجريمة، وتعاطي المخدرات.

تشير الورقة إلى أن العلاقات الأسرية والاجتماعية السائدة في القطاع ما زالت تقوم «على مفهوم الوصاية الأبوية التي تمارس باسم العمر والجنس والطبقة الاجتماعية

وباسم العائلية، وتحت مسميات التراتبية المؤسسية والحزبية». وتستند إلى بيانات عن «انخفاض عضوية الشباب في الفصائل السياسية والمنظمات الأهلية»، وعن «خيبة أملهم وفقدان ثقتهم بهذه الفصائل، وبخاصة لعدم قدرتها على إنهاء حالة الانقسام، وانشغال كل منها في مصالحها الضيقة، وعدم إيلاء المجتمع ،وبخاصة الشباب أولوية في برامجها». وتنوه بأن الوضع الصعب المعاش في قطاع غزة لا يقتصر على الشباب العاطل عن العمل، أو الذي لا يمتلك فرصاً جيدة لحياة كريمة بغزة، بل يطال «الطبقة المثقفة» التي «تمتلك فرصاً تؤهلها لعيش حياة كريمة، ولها مصادر دخل جيدة ... وذلك نتيجة لضيق الحريات والتعدي على خصوصية الناس، وشعورها بالقلق على مستقبلها ومستقبل أبنائها، بسبب تدهور الخدمات الصحية نتيجة الحصار، وافتقار الجهات الرسمية القدرة على سد الاحتياج العالي، ونتيجة غلاء المعيشة أيضاً».

تسترشد الورقة باستطلاعات رأي تشير إلى تراجع في «الاهتمام بالنشاط السياسي» بين الشباب (18–30 سنة) في قطاع غزة. وتتلمس وجود «حالة مخاض» بين الشباب الفلسطيني في القطاع «الذي يسعى إلى التمرد، وكسر الهالة النضالية التي تستخدمها الأحزاب السياسية»، وإلى «حالة التضييق وقمع الحريات لدواع ومبررات أمنية تستخدمها حكومة «حماس» بغزة، تجعل ممن يمارس العمل الحزبي عرضة للكثير من التدخلات والمضايقات»، وإلى ما أوجدته حالة الانقسام السياسي من مناخ خصب للابتعاد عن الأحزاب السياسية وهجرتها. ويفسر هذه المعطيات «بأنها مقدمة إلى أن الحراك الشبابي الفلسطيني، توجهه بوصلة مشوشة، ويعيش تجربة جنينية، وما زال بحاجة لبوصلة واضحة الأهداف، والأولويات، وإستراتيجيات العمل».

الحراك الشبابي في غزة بدأ مع اشتداد حالة الاستقطاب السياسي

يرجع الزميل إبراهيم الشطلي مظاهر حراك شبابي (خارج دور الشباب في الانتفاضتين الأولى والثانية) إلى شهر نيسان/أبريل 2006؛ أي بعد بدء المشاحنات السياسية بين حركتي «فتح» و«حماس»، حيث برزت حركات شبابية كان أبرزها «الحملة الشبابية لدعم الوفاق الوطني: فلسطين أكبر منا جميعاً»، التي تشكلت من مجموعة من الشباب والشابات الناشطين/ات مجتمعياً في عدد من المؤسسات الشبابية العاملة في قطاع غزة، تواصلت عبر لقاءات مباشرة، وعبر المجموعات البريدية الإلكترونية، و«الفيسبوك». كان أغلب الشباب من الفئة المتعلمة ومن الناشطين ثقافياً واجتماعياً، والرافضين للعنف، ومن المؤمنين بالسلم الأهلي والتعددية، وبضرورة تقبل نتائج الانتخابات. قامت بدعم الوفاق الوطني انطلاقاً من وثيقة الأسرى للوفاق الوطني، وتولت تنظيم فعاليات داعمة لذلك؛ كالاعتصام اليومي أمام مركز رشاد الشوّا بمدينة غزة، أثناء اجتماع الأحزاب

السياسية لمناقشة آليات نقل الحكم والسلطة من حركة «فتح» لحركة «حماس»، وللحد من التوتر العنيف الناجم عن المشاحنات بين أجهزة الأمن المحكومة من «فتح»، والقوة التنفيذية التي شكلتها «حماس» حينها، واعتصامات أخرى رافضة «للاعتداءات المتكررة على الأفراد وانتشار ظاهرة الملثمين في الشوارع، والاختطاف المتبادل بين عناصر «فتح» و«حماس»، رافعة شعار «فلسطين أكبر منا جميعاً».

إضافة إلى مجموعة «الحملة الشبابية لدعم الوفاق الوطني»، ظهرت في أواخر العام 2006 مجموعة أخرى تحت اسم «حماية» قادتها مجموعة من الناشطات الشابات من مؤسسات المجتمع المدني (وتحديداً من مؤسسات غير حكومية)، إضافة إلى عدد من الشباب والشابات من غير العاملين في مؤسسات مجتمعية، ومن غير الناشطين والناشطات في التنظيمات السياسية. دعت مجموعة «حماية» إلى نبذ العنف، ووقف الاقتتال، وتحريم الاحتكام للسلاح في حل النزاعات، وشكلت مجموعات ضغط من الشخصيات الاعتبارية والمجتمعية للتأثير على طرفي النزاع لوقف استخدام العنف.

مجموعة «اصحى» قيادة شبابية لمجوعة لا تقتصر عضويتها على الشباب

ترى الورقة أن سيطرة حركة «حماس» على قطاع غزة، شكلت «انعطافاً حاداً في تهميش الشباب، وإقصائهم عن المشاركة على أساس الانتماء السياسي. وبدأت مرحلة ممارسة القمع من قبل حكومة غزة وحكومة رام الله تجاه مؤيدي الطرف الآخر». ونشأ وضع أنتج حالة «من الإحباط والاستياء العام دفعت الكثير من الشباب للبحث عن فرص حياة ونجاة خارج الوطن». وتقول الورقة إن محاولات مجموعات من الشباب استمرت، وكان من أبرزها حركة «اصحى» الشبابية التي نشرت عريضة دفاعاً عن الحريات الشخصية والاجتماعية في قطاع غزة. وكانت المجموعة قد انطلقت رفضاً لمحاولات حكومة «حماس» في قطاع غزة «فرض قيود على الحريات العامة والخاصة». وتشكّلت المجموعة من مدونين ومدونات في مؤسسات شبابية في قطاع غزة، التحق بها أكاديميون وأكاديميات وحقوقيون وحقوقيات، ولذا فهي لم تقتصر على الشباب فقط، وإن بقيت قيادتها من الشباب. وتولت مهمة التوعية عبر نشرات كانت تقوم على توزيعها يدوياً ومقالات كان الناشطون فيها يكتبونها وينشرونها عبر صفحاتهم الإلكترونية الاجتماعية، أو المدونات، أو المواقع والصحف المحلية، أو عبر جلسات نقاش الكتب التي كانت تنظم شهريا. في 25 كانون الثاني/يناير 2010، نظمت حركة «اصحى» الشبابية وقفة احتجاجية في ميدان الجندي المجهول الرئيسي قبالة المجلس التشريعي بمدينة غزة، في ذكرى انتهاء الفترة القانونية لعضوية المجلس التشريعي وانتهاء ولاية الرئيس القانونية، مطالبين بإنهاء الانقسام وإجراء انتخابات رئاسية وتشريعية.

لعل الدلالة الأهم لحركة «الحملة الشبابية لدعم الوفاق الوطني» ومجموعة «اصحى» كمجموعات شبابية في الأساس، هو تشكلها ونشاطها قبل الثورات العربية في تونس ومصر وغيرهما. هذا لا يعني أن الثورات العربية لم تترك وقعاً على شباب غزة فهذه، وفق ورقة الزميل إبراهيم الشطلي، «كانت غنية بالتفاعلات والتحولات الكبيرة في المنطقة، وهذا ألهم الشباب الفلسطيني للخروج إلى الشوارع كقوة اجتماعية كبيرة تعبر عن معارضتها لاستمرار حالة التفرق والضعف، واعتبار أن الانقسام لا يضر بالقضية الفلسطينية فحسب، وإنما يساعد على تجزئة المجزأ، الذي يقوم به هذه المرة ليس الاحتلال، ولكن قوى سياسية فلسطينية». ولذا كانت الدعوة لبدء حراك شبابي لإنهاء الانقسام، عرف بالحراك الشبابي الذي كانت نواته حركة 15 آذار ...».

بدأ التحرك بتاريخ 14 آذار 2011 بانطلاق عشرات الشباب في بادئ الأمر كخطوة مفاجئة لعناصر الأمن في اعتصام سلمي في ساحة الجندي المجهول، وباتوا ليلتهم في خيمة الاعتصام هناك. وفي صباح يوم 15 آذار 2011، تفاجأ المعتصمون «بأعداد كبيرة من عناصر الجهاز الجماهيري والإعلامي لحركة «حماس» من فئات عمرية صغيرة ... تحيط بالمكان ... في محاولة للسيطرة على مجريات الأمور، وتجيير الحدث لصالحها، عبر تقديم متحدثيها وقيادتها وكأنها هي من يرغب في إنهاء الانقسام». على أثر ذلك، غادر شباب 15 آذار ساحة الجندي المجهول، للتمركز في ساحة أخرى (ساحة الكتيبة) «ودعوة غير المنتمين للأحزاب والرافضين لهيمنة «حماس» على ساحة الجندي المجهول للالتحاق بهم. وهذا ما حدث». تقدر الورقة عدد المشاركين بعشرات الآلاف، وتشير إلى «محاولات الاحتواء والإقصاء من قبل حركة «حماس»، وحركة «فتح»، وأحزاب اليسار الفلسطيني، وحركة الجهاد الإسلامي» للحراك. لكن مع حلول الظلام، قامت قوات «حماس» الأمنية بقمع التظاهرة والاعتصام بوسائل عدة، واستدعت عدداً الشباب القائمين على الحراك وتعرض بعضهم «للملاحقة الأمنية والاعتقال، والتعذيب داخل مراكز حماس الأمنية».

نقد تجربة الحراك الشبابي في قطاع غزة؛ نقص الخبرة التنظيمية والتصارع مع منظمات المجتمع المدني

تستعين ورقة الزميل إبراهيم الشطلي بلقاءات مع شباب وشابات من قطاع غزة في تقييمها للحراكات الشبابية التي شهدها قطاع غزة، وهي ملاحظات تنطبق إلى حد كبير على الحراكات التي شهدتها الضفة الغربية. تركز الملاحظات النقدية على جانب موضوعي تناول قمع السلطة، وتدخلات التنظيمات السياسية، ومشكلة تمويل النشاطات الشبابية. وهذه، في الحقيقة، أقرب إلى الذرائع منها إلى العوامل المانعة للنجاح (فهذه الظروف

لــم تمنع الحراكات الشبابية في تونس ومصر)، وجانب ذاتي ركز على الافتقاد إلى رؤية وإستراتيجية لقيادة موحدة، ولأشكال نضال ملائمة وجاذبة للناس في قطاع غزة، وعلى قلة الخبــرة التنظيمية الضرورية للحفاظ على الاستمراريــة، ولتراكم المعرفة الضرورية. وكما في الضفة الغربية، فقد بقيت التحركات محلية «ربما لأسباب لها علاقة بالجغرافيا، وبصورة أوسع ترجع للانتماءات الحزبية للشباب». واعتبر بعض الشباب والشابات أن غيــاب جسم شبابي موحد في الأراضي الفلسطينية حامل لرؤية وأهداف موحدة، يعطل ولادة «ربيــع فلسطينــي». وكما في الضفة الغربية، عانى الحــراك الشبابي في غزة «من الخلافات الداخلية والتصــارع وعدم الشفافية والمهنية في العمل من قبل بعض الشباب ... والبعض من الشباب كان يهمّه الوصول إلى منصب، وله أطماع شخصية بعيدة كل البعد عن إحداث الربيع الفلسطيني».

تشيــر الورقة إلى «غيــاب الدور القيادي الواضــح لمؤسسات المجتمــع المدني من أحزاب سياسية، وعلى رأسها اليسار الفلسطيني ... كما عملت الاتحادات والنقابات الصحافيــة على تغليــب مصالح وجهات نظــر وسياسات أحزابهــا. وسادت ظاهرة ضعف الثقة المتبادلة لدى الشباب في منظمات المجتمع المدني، وبخاصة منظمات حقــوق الإنســان التي أظهرت ضعفــاً في القدرة علــى حمايتهم وحمايــة حقهم في التظاهــر السلمي، وحماية حرياتهم العامة فــي التعبير والتظاهر الشبابي». هذا إضافة إلى «حرص غالبية الشباب ... على مصالحهم الخاصة، وتجنب الخوض في تجارب شبابيــة تضر بمصالحهم وحياتهم اليومية». وتشير المراجعة إلى ضعف «الالتزام بما اتفق عليه من رفع العلم الفلسطيني والشعارات الوحدوية فقط. ما حدث كان انقساماً علــى الأرض، تطور لاعتداءات ثــم اشتباك. كما تشير الورقة إلــى «محاولات إدارة فعاليــة 15 آذار من قبل جماعات ليس لها علاقة بالحــراك؛ فالكتلة الإسلامية أنشأت صفحــات عبر «الفيسبوك»، وشكلت مجموعات تدعــو لإنهاء الانقسام، والجماعة الإسلامية كذلــك، وحركة «فتح» قامت بالتصرف نفســه، واستخدمت هتافات غير متفــق عليهــا ... وصــدّرت بيانات للإعلام باســم الحراك تناقضت مــع الإعلان عن استقلاليــة التحرك ووقوفه مسافــة واحدة من كل الأطراف، ما شــكك بمصداقيته». كمــا أضعف من الاستجابة لنشاطات وفعاليــات الحراك «دخول بعض المجموعات في حالة صراع مع مؤسســات المجتمع المدني والقوى الوطنية وبعض الشخصيات ارتباطاً بمواقف خاصة».

وكمــا فــي الضفة الغربية، فقــد اعتمدت وسائــل «تشهير في الشبــاب المشاركين وفي الصبايــا المشاركات بإضفاء طابع غير أخلاقي وربطــه بالتحرش ومنع التصوير والتوثيق وربــط الحراك بأجندات خارجيــة وداخلية، واستمرار الملاحقــة والتشويه والاستدعاء

والتهديد والضرب لنشطاء الحراك، وتراجع تغطية الأنشطة الشبابية من قبل وسائل الإعلام، ومنعها من التغطية من قبل أجهزة حماس الأمنية».

ويختتم الزميل إبراهيم الشلطي ورقته بالدعوة إلى تشكيل «جسم أو إطار شبابي» لتعزيز «فرص التواصل مع الشباب الفلسطيني في مناطق الشتات». ويستخلص أن «مواقع التواصل الاجتماعي لعبت دوراً بارزاً في عملية التعبئة والمتابعة المستمرة لما يجري على الأرض من تحركات شبابية، وكان لها الأثر العميق في خلق رأي عام حول القضايا التي خرج الشباب للدفاع عنها أو الاحتجاج عليها، بما في تلك التي طالبت بتغيير النظام السياسي». وأشارت شابة من وسط القطاع إلى الحاجة لحركات اجتماعية جامعة تقوم «على أساس ضم الكل الفلسطيني بناء على برنامج لتحقيق الحقوق الفلسطينية بغض النظر عن الحلول السياسية وتضم الحملة بالفعل أشخاصاً من مختلف الأحزاب».

خامساً. حول تجربة الحراك الشبابي في الشتات (لبنان)

ورقة الزميلة عايدة الشهابي تتناول تجربة حراكات شبابية في أحد بلدان الشتات (لبنان)، ومن الطبيعي أن تتناول الورقة ما يعانيه الفلسطينيون في لبنان من أشكال متعددة من التهميش الاقتصادي والاجتماعي والمؤسساتي والمكاني تحت حجج واهية عنوانها منع «توطين» الفلسطينيين في لبنان. وكمكون من مكونات الشعب الفلسطيني في لبنان، فإن الشباب يعانون من التهميش والاستثناء والتمييز والبطالة كغيرهم من الفئات الأخرى الفلسطينية.

لعل خصوصية الوضع الفلسطيني في لبنان هو الذي يفسر سهولة تحوّل مبادرة شبابية تتناول التأكيد على حق العودة –وهو الحق الذي يقع في أولوية حقوق الفلسطينيين في الشتات– إلى مبادرة شعبية كما حصل في مسيرة العودة في العام 2011، التي استشهد فيها ستة من الشبان الفلسطينيين على الحدود اللبنانية الفلسطينية. فقد تحولت هذه المبادرة التي تقدم بها «شباب مستقلّون جامعيون عبر «الفيسبوك»... إلى عمل تنسيقي بين الشباب ومختلف الفصائل الفلسطينية ... إضافة إلى عدد من مؤسسات المجتمع المدني الفلسطيني». لقد تحولت المبادرة إلى فعل شعبي، إذ شارك ما قدّر أنه «ربع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان» الذين «توجهوا إلى الحدود من مختلف الفئات العمرية. لقد كان هذا حراكاً شعبياً تمّ بمبادرة شبابية دعمتها الفصائل». ولعل غياب التنظيمات السياسية هو ما سبب بقاء معظم المبادرات الشبابية نخبوية أو ذات مضمون إعلامي مناسباتي عاجز، أو مبادرات موقعية دون قدرة على الاستدامة.

مـن المبادرات التي توردهـا ورقة لبنان تلك التي قـام بها «اللقاء الشبابـي الفلسطيني» فـي تسليط الضـوء على المشاكل العامـة ومشاكل الشباب في مخيم عيـن الحلوة، عبر القيام من خلال العمل التطوعي بتنظيف شوارع المخيم والرسم على جدران «زواريب» المخيـم للتعبير عن أن المخيـم «مجرد محطة في حياة الشعـب الفلسطيني». كما قام «اللقـاء الشبابي» بمبادات أخرى مثـل «تنظيف المقبرة، وإعادة كتابـة أسماء الشهداء، وتأميـن محطـات انتظار لطـلاب المدارس في المخيّـم». لكن نشـاط المجموعة لم يخـرج عن حدود مخيم عين الحلوة، بسبب «غيـاب التواصل والتنسيق مع الحراكات والمجموعات الشبابية الأخـرى». والمجموعة تقوم بالتنسيق والتعاون مع التنظيمات السياسية، ويعود ذلك إلى انتماء قسم من أعضائها إلى هذه التنظيمات.

مبادرات دون آليـات للاستمرار وتأتي كردة فعل ويغيب عنها التواصل مع شبيبة التنظيمات السياسية

أمـا فيما يخص الفعاليـات ذات البعد السياسي الوطني، فقد نُظمـت، في العام 2012، اجتماعـات وورش عمل حـول قضية انتخاب أعضـاء المجلس الوطنـي تحت عنوان «أسبـوع التمثيـل الفلسطيني» كمدخل لإعـادة إحيـاء روح المشاركـة السياسية، بما فيهـا إشراك الجيل الشـاب في العملية السياسية. وتشير الورقـة إلى أنه «على الرغم من أهميّـة تحـرّك كهذا فـإنّ النشاط توقّف عند هـذه الاجتماعات والورش ولم يُكتب له الاستمراريـة». وعلى نمط هذه المبادرة جرى في العام 2012 ما سمي بمبادرة «كامل التراب الوطني»، التي أطلقتها «هيئة تنسيق الأندية الثقافية الفلسطينية المستقلة في لبنان» فـي شباط 2012، وشملـت شاتيلا، والجامعة العربية، والبـدّاوي، والجامعة الأمريكية في بيـروت، والجامعة اللبنانية الدولية. والمبادرة أطلقت كحركة احتجاجية على قبول فلسطيـن دولة غير عضـو في الأمم المتحدة على حدود العـام 1967، وكالمبادرة التي سبـق ذكرها، فإنها لم تستطـع الاستمرار خارج الرسائل النصية علـى الهواتف الخلوية وفي المناسبات الوطنية.

كمـا تورد الورقة حراكاً (فـي العام 2012) ضدّ تصريحات الرئيـس محمود عبّاس من قبل مجموعة استاءت من تصريحات رئيس السلطة الفلسطينية (محمود عباس) اعتبرت الأراضـي الفلسطينية المحتلة العام 1948 أراضـي إسرائيلية. وشملت هذه المجموعة شبـاب الأندية الثقافية الفلسطينية في الجامعات الذيـن تجمعوا أمام السفارة الفلسطينية ليعبّـروا عن رفضهم لمضمون هـذه التصريحات. وترى الورقـة أن المظاهرة حشدت حوالـي ستيـن شخصاً فقـط، و«هذا إمّـا لأن شبابنا وصلـوا إلى حدّ اليأس مـن قياداتنا وأصبحوا متأكدين أنه لن تكون هناك أذان صاغية لهم، وإما لأن بعض الشباب المحزّب

لا يستطيع التظاهر بسبب معارضة الفصائل التي تدفع لهم مصروفاً شهرياً بسيطاً ولكنّه مهم بالنسبة لشبابنا العاطل عن العمل». لكن، وبغض النظر عن السبب، فإن المبادرة لم تكن ناجحة لا على صعيد الحشد الشبابي، ولا على صعيد الحشد الشعبي، ونشر البيان الصادر عن المجموعة ليس دليلاً على النجاح. وما تلاحظه الورقة أن معظم الحراكات هي رد فعل على حدث ولا تتمتع بآلية للاستمرارية. ولا يجدي التعلل، كما يفعل أحد الشباب في مقابلة معه، بأن «الأوضاع الاقتصادية والإنسانية الصعبة ودفع الفلسطينيين إلى البحث عن لقمة العيش في الدرجة الأولى في الوطن والشتات، وبخاصة في لبنان، هي من أهم المعيقات»، فهذه كانت من دوافع الثورات التي جرت في تونس ومصر وغيرهما.

ترى الزميلة عايدة الشهابي أن هناك نقاط ضعف في الحراكات الشبابية الفلسطينية في لبنان أبرزها تميزها بردة الفعل على أحداث معينة، ما يفقدها القدرة على الاستمرارية والمستندة إلى رؤية سياسية واضحة لدور الشباب. كما تنوه إلى ضعف التواصل بين الشباب المستقل وشباب التنظيمات السياسية الفلسطينية في لبنان، والإحساس من قبل هذه التنظيمات أن الحراك الشبابي المستقل يهدد مكانتها.

وترى الورقة وجود نقاط قوة لدى الحراكات الشبابية تتمثل في تصدر الشباب لفعاليات سياسية وطنية وتمسكه بحق العودة، وتشير إلى امتلاك الجيل الشاب «وسائل تقنية مهمّة في النضال لم يكن يمتلكها الجيل السابق»، وأن الأوضاع الصعبة التي يعيشها الشاب الفلسطيني في لبنان لم تمنعه من النشاط في «دائرة الشأن العام والمصلحة الوطنية الفلسطينية».

وتقترح أن يتم «الربط بشكل جدلي ما بين النضال من أجل القضية الوطنية والحقوقية وفق خصوصية الساحة اللبنانية وأولوياتها»، وأن يتوحد الشباب على الأهداف الوطنية العامة وطرح أهداف «تتناسب مع خصوصية ساحة النضال الشبابي في لبنان في سياق وحدة الأهداف الوطنية»، وأن يكون هناك «تنسيق بين الشباب الفلسطيني في لبنان والساحات الفلسطينية الأخرى».

ملاحظات ختامية

ما هي أبرز الاستنتاجات من أوراق الحراكات الشبابية في خمسة تجمعات فلسطينية ومن ملاحظة ما يعيشه الشعب الفلسطيني من مأزق متعدد الأوجه والتداعيات، داخل فلسطين التاريخية وخارجها؟ لعل العناوين الأبرز التي يمكن استخلاصها من هذه المراجعة الأولية ما يلي:

أولاً. ليس من الواضح دائماً الفئة المعنية عند الحديث عن الشباب، وهو أمر ناقشته هذه المقدمة بشيء من التفاصيل، ولمحت له بعض الأوراق وافترضته بعض المجموعات الشبابية (ومنظمات غير حكومية وحكومية) التي تضع الشباب إما خارج الانتماء السياسي والتنظيمي وإما في تضاد معه. كما يفترض بعضها أن التعليم المتقدم هو أحد مؤهلات المشاركة في مجموعات شبابية، فقلما نجد عمالاً يدويين (عاملين أو عاطلين عن العمل) من الناشطين في هذه المجوعات. وفي الواقع، فإن معظم النشطين في هذه المجموعات (وهذا توصيف وليس انتقاصاً) من أبناء الطبقة الوسطى، وتحديداً من شرائحها الوسطى والدنيا. هذا الفهم أو الافتراض لمدرك «الشباب» يضيق من دائرة المخاطبة والحشد. ويبدو أن هذا الفهم هو ما يسيّر توجهات المنظمات غير الحكومية أو المؤسسات الدولية (بما فيها منظمات الأمم المتحدة) وربما هيئات ومؤسسات أخرى محلية في تعاملها مع الفئة العمرية الشابة. ولما ينبغي الانتباه إليه هو القصور في النظر إلى فئات الشباب باعتبارها خارج المجتمع، أو أنها هي المخلص المنتظر للشعب الفلسطيني بسبب فشل الجيل الأسبق، الذي سبق الأسبق، في إنجاز حقوق هذا الشعب الوطنية، وكبديل عن التركيز على إيجاد صيغ تمكن من إشراك كل مكونات الشعب الفلسطيني وفئاته في مناقشة قضاياه الوطنية (السياسية والاجتماعية والمعيشية والثقافية)، وصولاً إلى خطط عمل وتصورات حول الأولويات وأدوات إنجازها وفق رؤية طويلة النفس.

ثانياً. لا يبدو أنه من المجدي طرح تأسيس اتحاد عام للشباب الفلسطيني على جدول الأعمال الوطني، وذلك لأنه ليس هناك–باستثناء فئة العمر (وهذه سمة عابرة)– ما يوحّد الشباب، خلافاً للوضع بين العمال أو المرأة أو الطلاب (حيث تجمع بينهم قضايا واهتمامات قطاعية)، أو بين الفئات المهنية المختلفة (أطباء ومهندسين وصحافيين وكتاب وغيرهم)، أو ما يوحد اتحادات أو أندية ذات اهتمامات رياضية أو ثقافية. ففئات الشباب تتوزع على قطاعات ومهن مختلفة. كما يجب عدم الاسترشاد بما هو قائم في الأحزاب السياسية التي تشكل لنفسها تنظيمات شبابية بهدف تربوي–سياسي وتنظيمي، حيث توضع هذه الاتحادات فكرياً وسياسياً تحت مظلة أحزابها الأم، وتشكل لها مراكز تأهيل للجيل الجديد لقيادة التنظيم السياسي (وأحياناً المجتمع والدولة). كما يجب عدم الاسترشاد بما كان قائماً في الدول الاشتراكية سابقاً من اتحادات شباب (شيوعية أو اشتراكية) قامت بقرارات من قيادات الحزب الحاكم على افتراض أن المجتمع متجانس طبقياً وفكرياً واجتماعياً، وأن هناك حزباً واحداً حاكماً يقود المجتمع والدولة. لذا، أرى أنه من الأنسب أن تبقى اتحادات وتنظيمات الشباب تحت رعاية التنظيمات السياسية، وأن تنافس فيما بينها على جذب الشباب لتوجهاتها ونشاطاتها وسياساتها، وهو ما يجري

علـى كل الأحوال. لقد بـات واضحاً من مراجعة التجربة أن الحـركات التي لم تؤيدها تنظيمـات سياسية وجدت نفسها مشلولة الحركة وفاقدة للأفق، وأنها بسبب ابتعادها عن التنظيمات السياسية افتقدت التجربة السياسية أو التنظيمية أو الاثنتين معاً.

ينبغي الحذر الشديد من تحويل «النشاط والفعالية السياسية والحراكيّة من تحقيق الهدف إلى إرضاء الذات. ... إلى التنفيذ من أجل التنفيذ، التنفيذ المبني على الدافع اللحظي ... «كفانا تنظيراً ولننتقل إلى العمل»، أي العمل من أجل العمل ذاته، هذا هو شعار قطاعات كبيـرة مـن الشباب، هي من السذاجـة بحيث تُسقط بديهية تفيد بـأن كل عمل لا يخدم هدفـاً إستراتيجياً محـدداً سلفاً ومفكراً فيه على نحو مُسبق مـن خلال تنظير مُحكم هو ضـرب من الهراء والعبث والاستعراض، لكن ضررها لا يقتصر على هذه الأمور الذاتية، بل يتعدّاه إلى خدمة «النقيض» الذي تدّعي هذه التحرّكات معارضته: ففي عالم تحكمه وتؤثّـر فيه قوى وبنى سلطويّـة ومنظّمة، يتحوّل هذا العمل الخالي مـن التفكير المسبق بالبديـل، إلى مطيّة يجري توظيفها واستغلال نتائج حركتها لمصلحة المزيد من التمكين للقوى والبنى السلطوية والمنظّمة».[9]

ثالثـاً. يتوفـر ميل فـي الكتابات التي تتنـاول موضوع الشبـاب لاعتباره قضيـة تقنية أو لاختزالـه إلـى قضية خدمية تخص فئة عمريـة بحاجة إلى دعم ومساعـدة؛ أي اختزاله، عمليـاً، إلى قضية من قضايا المنظمات غيـر الحكومية و/أو المؤسسات الحكومية، أي قضيـة يتم حلها بتوفير خدمات، أو عبـر التدريب والتأهيل، بمعزل عن القيم الاجتماعية والسياسية (قيـم التحرر والمساواة والحرية والعدالـة الاجتماعية وضد الظلم والطغيان والاستغـلال والتهميش ...). مـن الأمثلة على هذا مشروع المجلس التشريعي الشبابي الـذي يحاكـي المجلـس التشريعـي الفلسطيني المعطل منـذ العـام 2007. ويبدو أن مشـروع تشكيل مجلس تشريعي «منتخب» مـن الشباب لا يقصد تحليل الأسباب التي أدت إلـى تعطيل وشـل المجلس التشريعي المنتخب العـام 2006، ولا مخاطر اختزال الديمقراطية إلى مجرد وضع ورقة في صندوق اقتراع كل أربع سنوات، ومخاطر تناسي الحالـة الاستعماريـة الاستيطانية وحالة الشتات الناتجة عن التطهيـر العرقي التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

كمـا لا يفيد كثيراً وضع توصيات عامـة لتغيير وضع الشباب خارج تغيير واقع المجتمع ككل. فعلـى سبيـل المثـال تتوصل دراسة عن شبـاب غزة،[10] إلى توصيـات هي أقرب

9 هشام البستاني. «اغتيال الربيع العربي: عن غياب النظريّة والتنظيم». جريدة الأخبار اللبنانية، 26 أيلول، 2013.

10 انظر/انظري؛ «صوت شباب غزة يعلو؛ أصوات من أجل التغيير: دراسة بحثية بالمشاركة». مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، وخدمات الإغاثة الكاثوليكية، كانون الثاني/يناير 2009.

إلــى مطالب عامــة دون تحديــد أدوات تنفيذها، مثل؛ «تحسبن مستــوى الاستقرار من خــلال المصالحة والإصلاح السياسي»؛ «تعزيز الأمن الإنساني من خلال زيادة قدرات المؤسسات الحكومية وغير الحكومية لتقديم خدمات اجتماعية أفضل»؛ «رفع مستوى وصــول وتمثيل الشباب في هيئات صنع القرار»؛ «التركيز على تنمية الوعي الاجتماعي للقيــادات الشابــة الذين يسهمون بدورهم فــي حشد وتعبئة شباب آخريــن لتطوير رؤية موحــدة تخدم التغيير الإيجابي». يلاحظ من هذه «التوصيات» أنها تصلح، تقريباً، لأي مــكان وزمــان، وليس فيها ما يشير إلى واقع مجتمع قطاع غــزة في العام 2008. ومثل دراســات كهذه هــي تمرين جيد على كيفية هدر الوقت والجهــد والموارد، ولا تضيف معرفة عن الشباب، ولا عن غير الشباب في قطاع غزة أو غيره.

كما لا يغني كثيراً عقد ورش حول بناء مشروع شبابي دون إعلاء شأن القيم التي ينبغي أن تحــرك مشروع كهذا. فالشباب يتوزعون على مختلف فئات المجتمع، ويحملون قيماً وتوجهات مختلفة ومتضاربة أحياناً كثيرة، ولذا يصعب التعامل معهم كفئة متجانسة في رؤيتها الاجتماعية والسياسيــة والفكرية. والتركيز على قضايا إدارية أو خدمية كمدخل لصياغــة «مشروع شبابي»، هــو هروب من مواجهة هذه المشكلــة (تعددية التوجهات والقيــم المحركــة للشباب). فــلا يفيد كثيراً الحديث عــن تعزيز «المشاركــة السياسية للشباب وتعزيز دورهم»،[11] دون تحديد المشاركة السياسية في ماذا؛ فالشباب يشاركون فــي واقع الانقسام الحاصل بين حركة «فتــح» وحركة «حماس»، ويشاركون في نشاط التنظيميــن ومؤسساتهما «الحكومية»، بما في ذلــك في أجهزتهما الأمنية وغير الأمنية. كمــا لا تفيد الدعوة إلى «إعادة بناء الحراك الشبابي في التجمعات الفلسطينية المختلفة، وفــق رؤية مشتركة لأهدافــه وشعاراته ووسائــل الاتصال بين المجموعــات الشبابية»، فالقضيــة هي أن توجهات هذه الحراكات غير موحدة، ويصعب تصور توحيدها خارج توحيــد الحركة السياسية الفلسطينية؛ فكيف يمكن توحيــد شباب من حركة «حماس» ومــن حركة «فتح» ومن اليسار وغيرهم دون وجود حركة وطنية موحدة تطرح برنامجاً تحريــراً موحداً (دون أن يعني ذلــك اتفاق الجميع على رؤى اجتماعية وسياسية وفكرية واحــدة). لا بد من الانحياز لقيم محددة باعتبارها هي الموجهة في العلاقة مع الشباب وغيــر الشبــاب. والقيم التــي تقترحها هذه الورقة هــي قيم تحريرية انعتاقيــة تستند إلى الحرية والمســاواة والعدالة الاجتماعية، وتتم مناقشة المضمــون والتعبيرات الملموسة المطلوبــة لهذه القيم في المرحلة الراهنة للحركــة السياسة الفلسطينية كما في تجمعات الشعب الفلسطيني المختلفة.

11 انظــر/ي؛ المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراســات الإستراتيجية (مسارات). وقائع ورشة عمل «الشباب يتحدثون». تشرين الأول/أكتوبر 2011، رام الله.

رابعـاً. إن فشـل محـاولات شبـاب فلسطينيين تقليد الـدور الذي اضطلع بـه الشباب في الانتفاضـات العربيـة لا يعود، بالأساس، إلى قصور ذاتي، بـل إلى تعقيدات وخصوصيات الشـرط الفلسطينـي. فالقضيـة الوطنية هـي الحاضر الأبـرز بالنسبة لتجمعـات الشعب الفلسطينـي دون أن يعنـي هـذا ثانويـة القضايـا الأخرى، وتحديـداً القضايـا الاجتماعية والمعيشيـة. فتجمعـات الشعـب الفلسطيني فـي فلسطيـن التاريخية تعيشـ تحت وطأة استعمـار استيطاني وتمييز عنصري فاقع، وتجمعاتـه في الشتات تعيش تحت وطأة شروط النظـام السياسي والاجتماعـي والاقتصادي للدول المضيفة لهـا. صحيح أن اتفاق أوسلو وتبعاتـه أوجـد سلطة حكم ذاتي على أجزاء من الضفة الغربيـة وعلى قطاع غزة، لكن هذه السلطـة التي انشطرت إلـى سلطتين في العـام 2007 تبقى سلطة محـدودة الصلاحيات، وتحـت سيطرة الدولة المستعمـرة (إسرائيل). صحيح أن كلاً مـن السلطتين باتت تحت هيمنـة تنظيم سياسي واحـد («حماس») في قطاع غزة، و«فتح» فـي الضفة الغربية)، وكل منهما مسـؤول (بدرجة ملموسة) عن القضايا المعيشيـة والاقتصادية والحياة الديمقراطية والحريـات المدنية، لكن المطالبة بتغيير أيٍّ منها تفسر فوراً (عن حق أو من غير حق) على أن مـن يقف وراءها هو التنظيم المنافس لأغراضـه ولمصالحه. ولذا، واجهت الحركات الشبابيـة (وغير الشبابيـة) التي جربت شيئاً من ذلك صعوبة في الاستمرار وشلل في قدرتها علـى الحشد أمام مـا يتمتع به كلا التنظيمين (إضافة إلى السلطـة وهي المشغل الأكبر) من قاعـدة شعبية منظمة إلى درجة مـا. فالمطالبة بإسقاط النظام في غـزة يعني المطالبة بتولي «فتح» زمام السلطة هناك، والمطالبة بإسقاط النظام في الضفة، يعني المطالبة بتسليم لحركة «حماس»، أو بحل السلطة وتولي الإدارة المدنية الإسرائيلية الأمور الحياتية هناك.

لكـن استمـرار سوء الأوضاع المعيشيـة وتفاقم القمع وكبت الحريـات، قابل لأن يولد حـركات مؤيـدة للانتفاض أو التمرد ضـد الحكومتين، وتحديداً في غـزة بسبب تفاقم الوضع الاقتصادي (البطالة والفقر) بسبب الحصار وإغلاق الأنفاق، وتعريض قطاعات واسعـة من الشعب (بما فيها الشباب) لقمـع الحريات الفردية والعامة. هذا ما تشير إليه بعض استطلاعات الـرأي مؤخراً.[12] لكن الوضع في الضفة الغربية لا ينقصه المحفزات أمام العودة إلى مفاوضات لا أفق لها وحالة اقتصادية في غاية الهشاشة.

12 توقـع 45% مـن الشباب في غزة حدوث ثورة ضد حكومة غزة، مقابل 26% من الشباب الذين توقعوا حدوث ثورة ضـد حكومة الضفة الغربية. كما أعلن 30% من عموم الشباب (في الضفة والقطاع) تأييدهم اندلاع ثورة في قطاع غـزة، مقابـل 63% يعارضونها (و7% لا يعرفون)، وبالنسبة للضفة فقد صرح 21% من عموم الشباب المستطلعين تأييدهـم لثورة فـي الضفة مقابل معارضة 72% (و7% لا يعرفون). كما اعتبر 57% مـن الشباب أن التغييرات التي حدثت في مصر تؤثر سلباً على القضية الفلسطينية، مقابل 18% اعتبروا تأثيرها إيجابياً، و21% أعلنوا أنها لن تحدث أي تغيير، و4% قالوا إنهم لا يعرفون (انظر/ي: معهد العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد)، استطلاع رأي نفذ في أواخر تموز 2103، ونشر في 10/9/2013.

خامساً. المأزق الذي تعيشه الحركة الوطنية الفلسطينية مأزق عام، والشباب كغيره من الفئات والشرائح الأخرى معني بإيجاد مخرج جماعي من هذا المأزق. فالمراهنة على الشباب لإخراج الوضع من المأزق الحالي يعني إعفاء التنظيمات السياسية (بالدرجة الأولى) من مسؤولياتها، وبدرجة أقل الاتحادات والنقابات وبقية مؤسسات المجتمع المدني، وتحديداً أمام غياب المؤسسات الوطنية. التنظيمات السياسية هي المسؤولة بالدرجة الأولى، بالتشاور والتداول مع قاعدتها الشعبية (إن وجدت)، عن وضع السياسيات والخطط القادرة لتنظيم الشباب (بفئاته المختلفة) وبقية فئات الشعب بمكوناته المتعددة، وإشراكهم في المهام الوطنية وفي معالجة المشكلات الاجتماعية والمعيشية. هذا ما حصل في المرحلة الأولى من الانتفاضة الأولى عندما تولت التنظيمات السياسية قيادة الانتفاضة، وجذبت إلى فعالياتها الشباب أولاً، وغير الشباب ثانياً، وهذا ما حصل أيضاً في الانتفاضة الثانية التي تنافس على تنظيم فعالياتها التنظيمان السياسيان الأكبر.

لذا، فإن المدخل لمعالجة قضايا الشباب وقضايا المرأة والعمال وغيرهم، يمر عبر توصل التنظيمات السياسية إلى اتفاق ينهي الانقسام ويعيد الحيوية والتجديد، على أسس ديمقراطية تمثيلية، للمؤسسات الوطنية (وتحديداً مؤسسات منظمة التحرير واتحاداتها القطاعية والمهنية) التي شلت تماماً منذ اتفاق أوسلو، ويحدد وظائف السلطة الفلسطينية (كوظائف تعنى بقضايا الناس المعيشية في الضفة والقطاع) تحت قيادة منظمة التحرير الجديدة والفاعلة. وهذا هو المدخل لتولي الشباب دورهم في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

لا ينقص الشباب الفلسطيني في التجمعات المختلفة، الحيوية الوطنية، فهذا ما تبرزه هذه الأوراق حول الحراكات الشبابية في خمسة تجمعات فلسطينية مهمة. والانبهار الأولي بدور الشباب في الانتفاضات الشعبية العربية كان مصدره الاستبشار بأن التغيير القادم سيغير من ميزان القوى في المنطقة لصالح حقوق الشعب الفلسطيني عبر التغيير الديمقراطي لأنظمة استبدادية فاسدة قمعية. والمدخل لإنهاء الانقسام الفلسطيني يأتي عبر التأثير الإيجابي على الطرفين المتنافسين. لكن هذا الانبهار لم يدم طويلاً بعد أن تبين أن من ورث هذه الانتفاضات لم يكن جيل الشباب، بل قوى سياسية تنتمي في معظمها، كمعارضة، للنظام القديم، التي سرعان ما أدخلت مجتمعاتها في استقطاب حاد بدأ يعود بالبلاد إلى أشكال من الحكم سادت مرحلة ما قبل الانتفاضات الشعبية.

الاوراق البحثية المرجعية

الشباب الفلسطيني في إسرائيل: بين العمل الحزبي والحراك المستقل

(تجارب من العمل الشبابي)

نجمة علي[1]×

تمهيد

هذه الورقة ليست ورقة بحثية، إنما «ورقة عرض» تهدف إلى إضاءة ظاهرة الحراكات الشبابية بين فلسطيني الأراضي المحتلة العام 1948 (إسرائيل)، ومساعي بناء أطر مستقلة خارجة عن الأحزاب السياسية التقليدية التي مثلت حتى الآن الفلسطينيين في إسرائيل، ومختلف الفئات التي تشكل المجتمع الفلسطيني، ومن ضمنهم الفئة الشبابية.

ترتكز الورقة على مقابلات وحوارات مع «شباب التغيير» والشبيبة الشيوعية، إضافة إلى قراءة في بعض كتاباتهم ومنشوراتهم.

يرى البعض أن «موجة التحرر من التسلط في المنطقة العربية لها أسبابها وتفسيراتها التي تشمل العناصر التالية: التغيير الذي طرأ على دور الدولة وأدى إلى تراجع وظيفتها «الرعائية» في المجالات الاجتماعية، ارتفاع أسعار الغذاء، الأزمة المالية العالمية، فضلاً عن أثر الثورة المعلوماتية وتغير الثقافة السياسية لدى فئات واسعة من الشباب على وجه الخصوص ... . لكن ما هو بنيوي وأكثر إقناعاً إنما يعود إلى ظاهرة ازدياد أعداد فئة الشباب المتراوحة أعمارهم بين 15–35 سنة، الذين لعبوا الدور الرائد في هذه التحركات. وتشير الإحصائيات إلى أن عدد هذه الفئة قد قفز من حوالي 40 مليوناً في العام 1980 إلى أكثر من 90 مليوناً العام 2010. والاهم أن معدل العمر في العالم

1 ×حاصلة على ماجستير في العلوم السياسية تخصص دراسات في الديمقراطية من الجامعة العبرية في القدس. تحضر حالياً لرسالة الدكتوراه حول الموقع والدور السياسي للأقلية الفلسطينية في إسرائيل في الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني.

العربـي هو 22 سنة مقارنة بمعدل العمر فـي العالم وهو 28 سنة. وتشير التقديرات إلى أن حوالي 60% من السكان في المنطقة العربية هم ما دون 25 سنة».[2]

يجـدر التذكير بأن عدد السكان العرب فـي إسرائيل بلغ في نهاية العام 2010 قرابة 1.3 مليـون شخص، يشكلون قرابـة 17% من مجمل السكان (بـدون القدس والجولان)، وتشكل الفئـات العمرية دون سن 30 عاماً، 62% من مجمـوع السكان الفلسطينيين. هذا، وشكلت الفئة العمرية 15–29، قرابة 25% من المجتمع ككل. وعليه، لا يمكننا الحديـث عن استنهاض الحالة الاقتصاديـة والاجتماعية والسياسية للمجتمع الفلسطيني في إسرائيل، دون أن يشمل ذلك واقع الشباب واحتياجاتهم وطموحاتهم.

لا يمكـن تفسيـر ظاهرة أي حـراك سياسي مستقل لـدى الأقلية العربيـة الفلسطينية في إسرائيل دون التطرق إلى أزمة الثقة لدى فئة الشباب بالأطر الحزبية التقليدية الفاعلة على الساحـة السياسيـة، المتمثلة بالجبهة الديمقراطية للسلام والمسـاواة، والتجمع الوطني الديمقراطي، والحركة العربية للتغييـر التي تشمل الشق الجنوبي من الحركة الإسلامية. وحركتـان لا تخوضان معتـرك الانتخابـات البرلمانية، لكنهما تخوضـان الانتخابات للمجالس المحلية والبلديات، وهما الحركة الإسلامية الشق الشمالي وحركة أبناء البلد.

تكمن أهمية هذه الورقة في كونها تعرض تجربة الشباب الفلسطيني في الداخل في سياق تحرك شبابي عربي عام ساهم في ما عرف بـ «الربيع العربي»، الذي وصف بأن الشباب العربـي الذي كان مركوناً على الرف لسنوات طويلـة، استطاع أن يزيح طبقة الغبار التي تكدست عليه وينتفض على النظام السياسي الاستبدادي وعلى الثقافة السياسية السائدة.

يزخر تاريخ الأقلية الفلسطينية بحراكات شعبية واسعة، كان في معتركها وقادها الشباب. ومـن الأمثلـة على ذلك: المجالس الطلابيـة للمدارس الثانوية التـي عملت على إدخال النقاش والعمل السياسـي إلى المدارس وتحدت بذلك وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية التـي فرضـت سيطرتهـا ورقابتها الشديـدة على الطـلاب والمعلمين العـرب؛ الحركة الطلابيـة الجامعية التي خرّجت معظم القيادة السياسيـة للمجتمع العربي؛ لجان الدفاع عن الأراضي؛ ائتلافات محلية ضد مظالم الحكم العسكري؛ لجان الأحياء ... وغيرها. هذه التجارب لم تظهر مؤخراً أو كرد فعل للربيع العربي، بل رافقت دائماً العمل السياسي الحزبـي، طبعاً كنتيجة للحاجة في العمل الميداني المباشر وتحشيد الجماهير من خلال ضمان المشاركة لجميع فئات المجتمع، ومن ضمنهم الفئة الشبابية.

2 الشبكـة العربيـة لدراسة الديمقراطية، الربيع العربـي: ثورات الخلاص من الاستبداد، بيـروت: دار «شرق الكتاب» للنشر، 2013، ص 14.

لقـد رأيت أنه من المهم الوقوف على بعض التجارب الشبابية التي من شأنها عرض جزء مـن المشهد القائم اليوم لدى الفلسطينيين فـي إسرائيل. لذلك، تم اختيار حراك شبابي مستقـل مثل «شباب التغيير»، وحراك شبابي يعمل ضمـن الإطار الحزبي وهو «الشبيبة الشيوعيـة». من الجدير بالذكر، أن العديد من الشبـاب المنخرطين في العمل السياسي يتنقلون ما بين الحراك الحزبي وبين الحراك المستقل حسب أهداف النشاط أو الفعالية. وهـذه نقطة مهمة تشيـر إلى التداخل والمرونة في المواقـع؛ فالكثير من المنتمين حزبياً يشاركون فـي أنشطة وطنية غير حزبية تقوم بها، على سبيل المثال، مؤسسات المجتمع المدني التي تشكل اليوم عامـلاً مهماً في صياغة المشهد السياسي والثقافي لدى الأقلية الفلسطينية في إسرائيل، إضافة إلى كونها مصدر عمل مهماً للشباب.

مجموعة «شباب التغيير»

هـي مجموعـة شبابية قـررت الخروج عـن السلك الحزبـي، وبناء إطـار جديد يضمن –حسب رأيهم– المشاركة الشبابية والقدرة على المشاركة الفعلية والتأثير. من الجدير بالذكر أن «شباب التغيير» قرروا خوض الانتخابات لبلدية الناصرة، وهذه تجربة جديدة علـى العمل السياسي في المجتمع الفلسطيني في إسرائيـل الذي يرتكز بشكل عام على العمـل الحزبي من خـلال الأطر المعروفـة (الجبهـة الديمقراطية للسـلام والمساواة، الحركـة الإسلامية، التجمع وحركة أبناء البلد) فـي خوض انتخابات المجالس المحلية والبلديـات. ومن المهـم التشديد أيضاً على أن العمل البلدي يرتكز على العمل الخدمي والتطويري للبلد، وهو يستدعي التفاعل المباشر مع الجمهور، وبناء علاقات خاصة بين الإطـار السياسي التمثيلي – من خلال البلديـة أو المجلس المحلي – وبين فئات واسعة من الجمهور.

تشكلت مجموعة «شباب التغيير» في مدينة الناصرة، وتعتبر اليوم من الحركات الشبابية المستقلـة التي استطاعت إثبـات وجودها من خلال العمل الميدانـي. وهي تسعى إلى إحـداث تغيير سياسي من خلال العمل المباشر مـع الجماهير، ومن هذا المنطلق قررت أن تخوض الانتخابات لبلدية الناصرة التي من المقرر عقدها في تاريخ 22.10.2013، طارحة التالي:

«حركة «شباب التغييـر» هي «مجموعة شبابية وطنية تتحرك على إيقاع القضايا المطلبية للأقلية العربية الفلسطينية في البلاد، وترتكز على الثوابت الفكرية اليسارية العلمانية كافة، وتقتنـع بضرورة وضع الحجر الأساس لتحرك شبابي واسع يعمل على النهوض بمجتمعنا إلى أرقى مستويات العمل والعطاء والتطوع من أجل ترسيخ الوعي القومي والطبقي.

- إننا نُسيّج مساحة المشاركة بالآتي: إننا مع:

– الشعوب المقهورة ضد جلاديها.

– التأكيد على انتمائنا الإنساني أولاً فوق أي انتماء فئوي.

– تطوير آليات نضالية إبداعية تخاطب الشباب وتحثهم على الانخراط في عملية رسم مستقبلهم والخروج من سبات اللامبالاة.

- إننا ضد:

– الممارسات الانفرادية للقيادات المحليــة المغلفة بالديمقراطية الزائفة والبعيدة عن تطلعات كوادرها.

– كل مظاهر التعصب الديني والقومي والجنسي.

– لغة العنف وتغييب الشعور بالأمان.

- إننا منحازون لـ:

– قضايا العمال والطبقات المسحوقة.

– قضية مساواة المرأة وتحويلها من مطلب إلى ممارسة.

– تطلعات الشباب نحو مجتمع أفضل يرتكز على الوعي، والثقافة، والانتماء والكرامة الوطنية.

– العمــل علــى إعادة صياغة مفهوم جديــد لنسيج اجتماعي تقدمــي متنوّر، نطوّر من خلاله آليات حضارية للنقاش والتحاور.[3]

تبــرز فقرة التعريف أهميــة التركيز على الانتماء الفكري والقيمــي كقاعدة أساسية توجه عمــل المجموعة. ويبرز تشديد واضح علــى أن المجموعة ترتكز على الفكر اليساري العلماني وقيم الحرية والمساواة، وهو ما يوجه نشاطها الميداني؛ أي أن التوجه الفكري محسوم من قبل المجموعة، ما يضمن منهجية ذات رؤيا واضحة في العمل السياسي.

مركزية البعد الفكري في نشاط «شباب التغيير»

تبرز أهميــة البعد الفكري والقيمي كونه يشكل بوصلة لنشــاط المجموعة وعملها. هذه قضيــة مهمة، وبخاصة إذا ما قارنا «شبــاب التغيير»، على سبيل المثال، بحركة الاحتجاج

3 صفحة «شباب التغيير» على موقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك»:
https://www.facebook.com/groups/170478066332329/members/

الاجتماعي على الأوضاع الاقتصادية والسكن، التي ظهرت في المجتمع الإسرائيلي بتأثر من انتفاضات «الربيع العربي». فقد شددت حركة الاحتجاج على عدم تبنيها فكراً معيناً أو رؤية سياسية واضحة، ولعل هذا من أسباب فشل هذه الحركة واختفائها عن الساحة السياسية على الرغم من التفاعل الجماهيري الكبير معها على الأقل في البداية. لذا، تبرز أهمية القيم أو الرؤية السياسية لدى الحركات الشبابية في المجتمع الفلسطيني في الداخل، ونحن نتحدث أيضاً عن الربط بين العمل المجتمعي والعمل السياسي. لقد نجحت المنظومة الإسرائيلية بتطبيق الأيديولوجية الصهيونية لكي تفرض هيمنتها بالفصل بين العمل المجتمعي والعمل السياسي، ومثال حي على ذلك إنشاء «المراكز الجماهيرية» التي تعمل مع الفئات الشابة على مستوى النشاطات الخدمية للمجتمع، حيث تقوم في أغلب الأحيان بتفعيل الفئة الشابة من خلال أعمال تطوعية في المجتمع بمعزل عن العمل السياسي أو التحفيز على النشاط السياسي الذي من شأنه خلق تغيير جذري.

كما يدور الحديث في مجموعة «شباب التغيير» عن تطوير آليات نضالية جديدة غير تقليدية من شأنها تشجيع الجيل الشاب على الاندماج في العمل السياسي، وتوليد الإحساس لديه بإمكانية التأثير بشكل فعال. وهي مسألة مهمة، وبخاصة أننا نعيش في ظل متغيرات تكنولوجية جديدة مليئة بوسائل الاتصال الاجتماعي وسياق سياسي مختلف ومركب، يحتم التفاعل معه ومع المستجدات المطروحة التي يستطيع من خلالها الجيل الشاب أن يجد مكانه، وأن يشعر بأنه قادر على التأثير بدل تعرضه للاتهام «بعدم المبالاة» وعدم المسؤولية.

إن صياغة رؤية واضحة جداً ومبسطة من خلال جمل قصيرة وغير مركبة، تمكن القارئ من معرفة التوجهات الفكرية والممارسات التي تشدد المجموعة على معارضتها، والتي تندرج تحت عنوان: «إننا ضد». كما نجد تشديداً ووضوحاً حول التوجهات والقضايا التي تدعمها وتؤيدها المجموعة، والتي تندرج تحت عنوان «إننا منحازون». يستميل الشباب الذين يريدون الانضمام دون اجتهاد كبير في فهم المطالب والرؤية الواضحة حول شكل المجتمع الذي تسعى المجموعة إلى تشييده، وهو مجتمع تقدمي وتنويري يرتكز على مفاهيم حضارية للنقاش والتحاور.

يشكل الوضوح في صياغة الموقف تحديد من «يستطيع» الانضمام إلى دائرة المجموعة ومن لا يستطيع، وهو من أهم العوامل التي تمكن الشباب المعني بالانضمام للمجموعة والتماهي والتواصل مع المجموعة نفسها، إضافة إلى كون المجموعة «شبابية»، ما يجعلها تشكل «مغناطيساً» لفئات شبابية أخرى تسعى إلى أن تشق طريقها لإيجاد موقع ومنصة تستطيع من خلالهما التأثير على الوضع العام.

وفيما يلي اقتباسات ذات دلالة:

«نحن عشرات من الشباب والصبايا، غالبيتنا العظمى استقالت من الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وذلك بعد صراع مرير دام سنوات حول ما نعتبرهُ انحرافات فكرية وسياسية وتنظيمية في الحزب، كان آخرها زيارة العار إلى ليبيا، والتلعثم من إبداءٍ موقف في الربيع العربي وثورة 25 يناير 2011 ...». وتنظمنا في حراك شبابي سميناه شباب التغيير، استقالتنا من الإطار حررتنا من قوالب كثيرة، واجتهدنا أن نتميز في النشاط والابتعاد عن كل ما هو تقليدي بعد إعادة النظر في جدواه ... قمنا ونقوم بنشاطات تجيب عن وجع الناس كأعمال تطوعية في مناطق مهملة، وتظاهرات على قضايا سياسية، وطباعة المنشورات وتوزيعها، وحملات إغاثة للمناطق المحتلة ومخيم الزعتري للاجئين السوريين، ووقفات احتجاجية في مناسبات عديدة منها استضافة الناصرة للفنانة ميرا عوض، وهو ما اعتبرناه تطبيعاً، وإضراب عن الطعام تضامناً مع الأسرى الفلسطينيين. نعمل دون دعم مالي من أي جهة، ونعتمد على التمويل الذاتي من الأعضاء. تجربة التعاون مع حركات شبابية مؤطرة حزبياً فشلت لاختلاف الأجندات في أغلب الأحيان، فالحركات الشبابية التابعة لأحزاب لا تتمتع بالحرية الكافية للإبداع خارج السرب أو خارج القوالب النمطية، لكن بعض التجارب نجحت، وهي تبشر بتعاون مستقبلي، وإمكانية «تمرد» تلك الحركات على قياداتها. الاستنتاجات الأولية مبشرة بالخير بسبب تشجيع كبير من الجمهور الذي فقد الثقة بالأحزاب التقليدية، وتطلعه لحراك سياسي اجتماعي «نظيف» وخالٍ من التجيير الانتخابي والمصلحي الضيق للأحزاب» (مقابلة مع أحد الناشطين).

حضور الوعي السياسي والتجربة التنظيمية

يتمتع معظم المنخرطين في مجموعة «شباب التغيير» بالوعي السياسي والتجربة التنظيمية. وهذه مسألة تستحق التوقف عندها لأنها تعزز من مكانتهم بسبب معرفتهم للواقع وتواصلهم مع الأطر الفاعلة من خلال علاقاتهم الشخصية وعلاقاتهم المهنية مع مؤسسات المجتمع المدني. أفراد المجموعة ليسوا بحاجة لاكتشاف «العجلة» من جديد، وهم يشددون على أن خروجهم من الإطار الحزبي الذي جمعهم هو نتيجة لخلافات سياسية وفكرية، وليس لأنهم تعبوا من النضال أو لأنهم لا يبالون. مع الملاحظة أن أمثلة الفعاليات التي أعطيت، أو الوسائل التي يتم العمل من خلالها كالتظاهر، والعمل التطوعي، وحملات الإغاثة، لا تشير إلى فعاليات أو أنشطة جديدة على العمل السياسي والاجتماعي. القضية بالنسبة للشباب تكمن في من يقوم بالعمل؟ ومن يخطط له؟ وما الهدف من ورائه؟ وما يريده الشباب هو أخذ دورهم منذ البداية، أي من مرحلة التخطيط وحتى مرحلة التنفيذ. هذه المشاركة هي التي توّلد الشعور بقيمة العمل وبتميزه على الرغم من تبني آليات الاحتجاج الحزبية نفسها.

أريـد أن أتوقف هنا على مفهوم «القيـادة»؛ عديدون هم الشباب والشابات الذين يتولون قيـادة المظاهرات ويقفون في مقدمة الصفوف فـي المواجهات والفعاليات، ما يخولهم لأن يكونوا «قيادة ميدانية»، لكن لا تأثير لهم على مستوى القيادة العليا، أو حضوراً على مستوى القيادات السياسية الأولى في الأحزاب السياسية الفلسطينية في إسرائيل، التي من شأنها أن تتحدث باسم الأقلية الفلسطينية أمام الهيئات والمؤسسات الرسمية الإسرائيلية.

ترك الإطار التنظيمي الجاف وغير المرن جعل أفراد المجموعة يشعرون بالإبداع في العمل والانفتـاح عليه بشـكل مختلف وبجرأة أكبر. فالعمل من خـلال إطار حزبي بيروقراطي ليس بالأمر الهين والسهل، بالمقابل فإن العمل من خلال إطار تنظيمي مبسط يجعل عملية اتخاذ القرارات أسهل وأبسـط دون الحاجة إلى المرور بالبيروقراطية الحزبية التي تحتاج إلـى وقت وجهـد كبيرين. وحول إمكانيـة العمل مع مجموعات شبابيـة مختلفة، يشدد «شبـاب التغيير» على أن هذه المحـاولات باءت بالفشل، وبخاصـة أن أغلب الحركات الشبابيـة الفاعلة تنتمـي لأحزاب سياسية تشـدد من فرض الطوق التنظيمـي على إمكانية المشاركة، وبخاصة بالنسبة لنسب العمل نفسه، وتجييره لمصالح حزبية فئوية.

مجموعة «باقون»: العمل من داخل التنظيم الحزبي

مـن المهم أيضاً التشديد على أنه بالمقابل لظهور شباب التغيير، ظهرت مجموعة شبابية أخـرى داخل الحزب الشيوعـي الإسرائيلي، سمّت نفسها بـ «باقون»، وهي مجموعة تؤمـن بأنه يوجد إمكانية للتغيير من داخل الإطار الحزبي، وتعمل من خلال إطار الشبيبة الشيوعية التي سوف أتطرق إليها لاحقاً. وجود أو نشوء هذه المجموعة التي يوجد لها حضـور كبير تماماً مثل «شباب التغيير» من علـى صفحات الفيسبوك التي تشكل منصة صريحة وحقيقية لجميع الشباب المنتمين للمجموعتين، تدل على ديناميكية التفاعل بين الشباب وعلى الاختلاف في سبل التغيير. تتفق المجموعتان على أن «التغيير» ضروري، وعلـى أنه يجب تشجيع الفئة الشبابيـة وتمكينها وتحضيرها لقيادة المجتمع الفلسطيني داخـل إسرائيل، لكن الاختلاف هو على آليـة التغيير وفرض التحديات – هل تكون من داخل الإطار الحزبي أم تكون من الخارج؟

وهنا تكمن نقاط الضعف والقوة لكل آلية؛ فالعمل من خلال إطار حزبي ممأسس يملك قاعدة جماهيرية وكوادر ومكاتب ومراكز وتمويل اقتصادي، وكلها موارد من الممكن استغلالهـا، بخلاف الحراك الشبابي الخارج عن الإطـار الحزبي، مثل «شباب التغيير» الـذي لا يملك مـوارد مماثلة تمكن من يشـكل رافعة للعمل، غير امتلاكـه الاستقلالية والقـدرة الواسعة على التحـرك. وقضية التمويل قضية مهمـة للحفاظ على طول النفس

في العمل. المعنويات والطاقات أمور مهمة، لكن من أجل التقدم في العمل والمحافظة على استمراريته توجد حاجة ماسة للتمويل.

في رسالة الاستقالة التي قدمت من قبل أفراد من مجموعة «شباب التغيير» للحزب الشيوعي ورد ما يلي:

«ألا نخجل من هذا الدم المُراق على امتداد العالم العربي؟ أين نحن من كل الأشعار والأغاني التي حفظناها ورددناها تضامناً مع كل ثوار وأحرار الأرض؟ زد على ذلك التماثل الكامل مع مواقف السلطة الفلسطينية رغم عفونتها، في الوقت الذي كان من الجدير به أن يعاد البحث في أروقة الحزب في قضية تأييد استمرار المفاوضات مع إسرائيل في ظل وجود مفاوضين من الجانب الفلسطيني تدور حول مصداقيتهم العديد من علامات الاستفهام».[4]

في الفقرة التالية نرى ربط الموقف الحزبي بين المتغيرات في العالم العربي و«الربيع العربي» والثورات الشبابية والموقف من السلطة الفلسطينية، وبين الثقافة السياسية التي نشأت وكبرت عليها الكوادر في الإطار الحزبي. وهي فقرة تعكس الثغرة الموجودة بين الفكر والممارسة. نستطيع الإشارة إلى تأثير «الربيع العربي» والموقف منه كعامل مهم في الحراك السياسي الشبابي داخل المجتمع الفلسطيني في إسرائيل، إضافة إلى الموقف من السلطة الفلسطينية.

وأضاف المستقيلون:

«حضرة الرفيق، لم نأت إليك بهذه الرسالة نشتكي أو نستجدي حلولاً، فنحن الموقعين أدناه، رفاق لم نتوانَ يوماً عن خوض أية معركة كانت خارجية أو داخلية، لصد سياسة تمييز رسمية أو لمحاولات رأب الصدع في بناء هذا الحزب، في مواجهات ومعارك شعبنا أو في المعارك الداخلية على صورة هذا الحزب ووجهته. ليس لأننا نرى في أنفسنا أبطالاً، إنما لأننا نرى فيها امتداداً طبيعياً وحتمياً لإكمال مسيرة القيادات التاريخية للحزب. إننا نعتز بانتمائنا للفكر الشيوعي على جوانبه الفكرية والسياسية والاجتماعية ولا مرجعية لنا سواه. ولا نرى ملجأ غيره تتفولذ به الطبقات المسحوقة. فحفاظاً منا على نقاء طريقنا، ولأننا نقنع بأنّ هذا النهج السالف ذكره هو ليس وليد أخطاء شخصية أو سهوات فردية، إنما هو نهج مدروس ومتلاحق، فهو –النهج– أدى

4 من نص رسالة الاستقالة التي قدمت للحزب الشيوعي في تاريخ 22.2.2011.

وسيؤدي بالحزب إلى منحدرات سياسية وتنظيمية بائسة. وعليه، إننا نوجه صرختنا إلى كل الرفاق الشرفاء الذين يرون ما نرى وما زالوا يملكون الأمل في التغيير أن لا يقبلوا بأقل من تنحي هذه القيادات ومحاسبتها تنظيمياً، وإلا فلا خيار سوى الانضمام إلينا بطلب الاستقالة هذا».[5]

التحديات أمام «شباب التغيير»

يبرز فيما سبق التشديد على الانتماء الفكري، على احترام الحزب الذي نشأوا به. وتجدر الإشارة إلى أن «شباب التغيير» لم يلجأوا لأي حزب آخر، بل فضلوا بناء إطار مستقل يخصهم، ولكن في الوقت ذاته لم يتوانوا عن طرح ضرورة محاسبة القيادة ومساءلتها وتوجيه النقد اللاذع لها. لقد كانت الاستقالة خطوة احتجاجية في محاولة للنهوض والذود عن الفكر اليساري، الماركسي التقدمي والربط بين الفكر والممارسة. من هنا جرى اختتام الرسالة بما يلي: «حضرة الرفيق ...، راجع ملفات المنتسبين وافحص معدل أعمارهم، ستستنتج أنّ هذا التنظيم يفترس شبابه ... تربينا في حزب علمنا أن لا نكون ولن نكون لقمة سائغة في فم أحد حتى لو كان الحزب نفسه».[6]

هذه الفقرة تؤشر إلى عجز الحزب عن استيعاب طاقات شابة ودمجها في الإطار التنظيمي. وهي مسألة مهمة لأن استمرارية أي حزب أو تنظيم سياسي ترتبط بضخ دم جديد في عروقه بشكل دائم. وفي هذه الحالة ينبه «شباب التغيير» إلى أن الوضع متأزم، لأن الحزب بدأ يفقد قاعدته الشبابية التي تضمن استمراره.

هنالك أيضاً، الثمن الشخصي الذي يقوم الفرد بدفعه على المستوى الشخصي، حيث أنه من الممكن فقدان هذه الصداقات التي نمت خلال فترة طويلة نتيجة للخروج عن الإطار الحزبي المشترك، والذي شكل دائرة انتماء وتفاعل مهمة. إضافة إلى الخوف من بناء أطر جديدة تتطلب جرأة وثقة عاليتين، لأنه ليس من السهل أن يتم تقبل الإطار الجديد، وبخاصة أمام أحزاب لها تاريخ ومخزون كبير من النضال.

ما يلي ما كتبه أحد أفراد مجموعة «شباب التغيير»:

«ما نغص صفوة صباحي أولئك الذين أحبهم وأعزّهم، أولئك الذين يعرفون حق المعرفة من نحن. أولئك الذين سهرنا معاً لحراسة منصة الأول من أيار ونصبنا سوية خيام المخيم. أولئك الذين تشاورنا معهم في كل نبشة صغيرة كنا قد نبشناها في مؤتمر

5 المرجع السابق.
6 المرجع السابق.

أو جلسة أو هتاف شقي ... أولئك وقد رأوا في استقالتنا قمة في التضحية وغاية في الصواب ... ولكنهم هاجموا خروجنا في الخفاء كي يبرروا بقاءهم في العلن. رجفت أيديهم وهم يمسكون ورقة الاستقالة الموقعة ودمعت عيونهم وهم يقرأونها، ولكنهم ألقوا بها إلى الموقد كي تطعم نار ترددهم ... صباح الخير، لنا ولكم».[7]

تحت شعار «شباب التغيير، خللي التغيير حقيقي» يقود «شباب التغيير» حملتهم الانتخابية لبلدية الناصرة، ويستهلون حديثهم بالفقرة التالية:

«لأننا نعتبر الانتخابات ساحة إضافية للتأثير وزرع الأمل، ولأننا نعتبرها ورشة إضافية من الورش التي افتتحناها في الثلاثين من آذار 2011 في إقرث وبرعم، سنعتمد على روح التطوع وعلى التبرعات في عملنا الانتخابي، ليس لأننا جسم فقير الموارد المالية فحسب، بل لأننا نريد تعميم روح العطاء وكسر موضة أن الانتخابات للبعض هي موسم كسب مالي».

الشبيبة الشيوعية– الحزب الشيوعي الإسرائيلي

الشبيبة الشيوعية هي حركة مستقلة تنظيمياً، وتعمل وفق دستورها الذي تقره في المؤتمر العام للحركة، إلا أنها موجهة فكرياً وسياسياً من قبل حزبها– الحزب الشيوعي الإسرائيلي، وهو حزب ماركسي لينيني مبني على أفكار الاشتراكية الثورية.

تحيي الشبيبة الشيوعية في العام القادم، الذكرى الـ 90 لتأسيسها، إذ تأسست أواخر نيسان من العام 1924، تحت اسم «اتحاد الشبيبة الشيوعية في فلسطين»، وكان في عضويتها العشرات من الرفاق في القدس، ويافا، وحيفا. اللجنة التأسيسية للشبيبة الشيوعية أعلنت حينها بأن هدف الشبيبة الشيوعية هو تجنيد جماهير الشباب، يهوداً وعرباً، للنضال الثوري للطبقة العاملة ضد النظام الرأسمالي، ضد الإمبريالية وضد الصهيونية، من أجل انتصار الاشتراكية؛ تنشئة الشبيبة على المعارضة لانعدام العدالة الاجتماعية والقمع القومي، بروح القيم الشيوعية والصداقة العربية اليهودية.

طيلة سنوات نشاطها، عملت الشبيبة الشيوعية على ضوء هذه القيم وناضلت من أجل تحقيقها حتى في أحلك الظروف. وكان هنالك من لوحقوا، بل ودفعوا حياتهم ثمناً لعضويتهم في الشبيبة الشيوعية، سواء أكان ذلك في مناهضة الانتداب البريطاني، حيث كان نشاط الشبيبة الشيوعية سرياً، أو في مناهضة الحركة الصهيونية والنكبة، ومن ثم بالتصدي للسياسات الإسرائيلية القمعية.

7 تدوينة الناشط منهل حايك.

تعـرّف الشبيبة الشيوعية في أدبيات الحـزب الشيوعي بـ «الحرس الفتيّ» للحزب، وفي هـذه التسمية ما يوضح الكثير من الدوافع التي أدت بالحزب إلى المبادرة لإقامة الشبيبة الشيوعية، وبالإمكان إيجازها بالدوافـع التالية: الرغبة في نشر الفكر الشيوعي التقدمي النيّـر بين الأجيال الشابة ومخاطبتهم بلغتهم، وحثهم على العمل لتغيير الواقع وتفجير ما في دواخلهم من طاقات؛ الحاجة إلى منح أبناء الشبيبة والشباب، ما يحتاجونه من تثقيف فكري وصقل تنظيمي، وتهيئتهم للانخراط فيما بعد في صفوف الحزب؛ حاجة الحزب إلى ذراع تنفيذية تقوم أساساً، على الشباب لما تتسم به هذه الشريحة من صفات خلاقة. يقـول سكرتير الشبيبة الشيوعية، أمجـد شبيطة: «بحسب رأيي، هنالك دافع آخر، جعل الكـوادر الشابة، أساسـاً، في الحزب الشيوعي تعمل على ضمان بقـاء الشبيبة الشيوعية وتعزيزهـا؛ ألا وهو الحاجة إلى ضمان بقـاء الصوت الشبابي في الحزب مرفوعاً، مع ما يحمله من إلمام بظروف الشباب واحتياجاتهم».

وحـول علاقة الجيـل الشاب بالحزب، يقول سكرتير الشبيبـة الشيوعية؛ «على الرغم من التحفظ الدائم من أي تعميم، إن كان بحق الشباب أو القيادات الحزبية، ومع مراعاة الكثير من الاستثناءات، بالإمكان أن نقول إن ثمة تباينات واضحة بين مواقف الأجيال المختلفة، تجـاه عـدد مـن القضايـا. وإن كان الحديث يتمحـور حول علاقـة الشبـاب، والشبيبة الشيوعية تحديداً، بحزبهم الشيوعي، يمكن ملاحظة التباين في الآراء في الحالتين الفكرية والتنظيمية. فكرياً، نجد أن الشباب، بحماستهم الثورية وتوقدهم الفكري أول وأكثر من دافع ويدافع عن الهوية الفكرية للحزب الشيوعي، وأعتقد أنهم أدّوا الدور الأهم بالحفاظ عليه حزباً شيوعيـاً ماركسياً لينينياً، على الرغم من انهيار العالم الاشتراكي. تنظيمياً، نجد أن لـدى الشبـاب، حالة دائمة من عدم الاستكانة والقبول بالأوضـاع التنظيمية الداخلية، والتـوق إلى التقويـم والتغيير وإحـداث النهضة المرجـوة، إن كان علـى مستوى الحياة الداخليـة للحزب، أو أدائه الجماهيـري. ويضيف أن ما ذكر سابقاً قد يبدو للوهلة الأولى وكأنه يحمل تناقضاً، في نظر من يرى بالحفاظ على الهوية التاريخية للحزب الشيوعي على أنـه مأخوذ عن عقلية محافظة منغلقـة، بينما التجديد التنظيمي، مأخوذ عن عقلية منفتحة. وهـذا تشويه مرفوض، فالتشبث بالفكر الشيوعي لا يعني إلا وضـع تحدٍّ أمام الشيوعيين الشبـاب بالتجدد الفكري، كما أن التجدد والتغيير التنظيمي لا يمكن أن يكون حقيقياً إن لم يكن عميقاً، وإن كان نتاجاً لثقافة الاستهلاك الرخيص».

وبما يخص تأثير «الربيع العربي»، بعيداً عن الجدل حول التسميات، «لا يمكن إنكار أن ما شهده العالم العربي في السنوات الأخيرة من حراكات شبابية وتغييرات على الخارطة السياسية أدى إلى تأثيرات كبيرة. العالم، والشباب تحديداً، وقفوا مشدوهين أمام قدرة الشعـب المصري، على إسقاط رأس الهرم بالنظام الديكتاتوري المتعفن. وأكثر ما أثار

الدهشة حينها هو غياب القيادة الموجهة لهذا الحراك، الذي بدا وكأنه يدور على إيقاع مواقع التواصل الاجتماعي، كالفيسبوك وغيره. هذه التغييرات جعلت الكثيرين يظنون أن التغيير مهمة سهلة جداً: تفتح صفحة على الفيسبوك، تكتب شعاراً يبدأ بكلمتي السر: الشعب يريد ..... وتملأ الفراغ الذي تريده، فتحقق ما تريد! ومن هنا فقد رأينا العديد من الحراكات التي نبتت كأنها الفطر بعد يوم ماطر: الشعب يريد إنهاء العنف، الشعب يريد إنزال أسعار المياه. وبالمقابل، كان هنالك تفكير جدي لدى شرائح واسعة بأنه لم يعد هنالك شيء زائد ولا مكان له، كالأحزاب والأيديولوجيات والنظرات الشمولية، إذ بدا وكأن المرحلة مرحلة النضالات الموضعية ليس أكثر.

هنالك من يظن بأن الشعوب قادرة على تحقيق ما تريد وبأسرع من لمح العين، متجاهلاً ما يدور خلف الكواليس من دعم إمبريالي مثلاً لاستغلال هذه المطالب، وبالمقابل هنالك من فقد أي قناعة بقدرة الشعوب على التغيير، واقتنع بشكل جارف وتام أن كل ما يحدث، وفي كل الدول العربية، مؤامرة واحدة كبيرة. وتستمر الشبيبة الشيوعية بطرح الأمور من منظور تحليلي للسياسة العالمية الأوسع وتأثيرها على الربيع العربي. إن التطورات الحادثة في العالم العربي خاصة، تخيّب ظنّ الرومانسيين الحالمين ممن يعتقدون أن النوايا الطيبة وحدها قادرة على مواجهة الظلم بأنظمته الرأسمالية الجشعة والقوى الامبريالية من خلفها، وتثبت صحة ما أكده الشيوعيون دوماً من أنه لا مكان لعمل ثوري حقيقي بلا فكر ثوري، يكون هو البوصلة الموجهة، ويوفّر الأدوات للتحليل الطبقي للظواهر، والنفاذ إلى عمق الأمور».

هنا لا بد من التشديد على أن النضالات الموضعية مهمة، ولكن يجب الانتباه إلى أن الخطاب المركزي لدى الأقلية الفلسطينية في الداخل يتمحور حول الحقوق الجماعية والاعتراف بهم كأقلية قومية أصلانية (من الأصل المحلي وليس مهاجرة أو وافدة)، أحد التحديات الكبيرة هو ما يسمى بـ»خصخصة» المطالب، وجعلها فردانية، وترتكز على حقوق المواطن الفرد فقط.

وحول إمكانية توليد حراك شبابي مستقل، يقول «قد تكون الإمكانية واردة، لكن الأهم هو تعريف «استقلالية» الحراك الشبابي والحاجة إليه»! عادة، يطرح شعار «الاستقلال» للتأكيد على انعدام علاقة جسم معين بالأحزاب القائمة، وعادة أيضاً ما يأتي ذلك بهدف خلق التباين بين «القيادة الشبابية الجديدة والمستقلة» وبين «الأحزاب والقيادات التقليدية».[8]

8 من مقابلة مع أمجد شبيطة، سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

لكــن بعض هذه الحراكات قد لا تكون مستقلة عن مصالح بعض الصناديق الممولة التي تدعمها وتضمن ولاءها، في بعض الأحيان لأحزاب سياسية معينة. ومع ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة عدداً من الحراكات الشبابية التي أدت دوراً إيجابياً بوضع قضايا معينة علــى الرأي العام، مثــل مجابهة الخدمة المدنيــة أو التصدي لمخطــط برافر، لكن هذه الحــراكات وعلى الرغم من أنها فــي كثير من الأحيان تضم الأشخاص أنفسهم، وهذا مــا يرجعني لنقطة البداية التــي تحدثت فيها عن التداخل في الأطــر الحزبية والمستقلة، كانت في كل مرة ترفع شعاراً مطلبياً محدداً، ومن ثم تنهض بعد أشهر عدة بمطلب آخر ... وهكــذا دواليــك. وفي هذا إيجابيــات كما ذكر، ومنها طــرح القضية بقوة، ولكن فيها العديد من السلبيات، وأبرزها خصخصة النضالات وتفكيكها، وعدم رؤية الصورة الكاملــة، بمعنى فصل القضايا بعضها عن بعض، وهذا خطر كبير، وبخاصة عندما يدور الحديث عن نضال الجماهير العربية في البلاد، وهو نضال ثوري لتغيير عميق في الدولة؛ جوهرها، وتعريفها، وسياساتها.

هــل يعني هذا بــأن لا حاجة لحراكات شبابية؟ بالطبع لا! قد تكون هنالك حاجة لدراسة استحداث إطار تنسيقي بين الحركات الشبابية الفاعلة، ليعمل بطريقة توافقية على وضع البرامج والخطط المشتركة، على أساس الحد الأدنى المشترك.

هل توجد إمكانية لحصول تشبيك مع حراكات شبابية فلسطينية أخرى؟ وعلى أي أصعدة؟

«الشبيبــة الشيوعيــة تأخذ دوراً فعالاً في كل حــراك شبابي يعمل على طــرح قضايا تهم الشباب الفلسطينيين في البلاد. فقد كنا من المبادرين لإقامة الائتلاف لمناهضة الخدمة المدنيــة، وهــا نحن في هذه الأيــام نرافق الحــراك الشبابي في النقــب، ندرس تجربته، ونستفيــد منها، ونحاول أن نؤثر عليه بما لدينــا من تجارب وأفكار. يشير أحد النشطاء إلــى عبر تيــن أساسيتين: الأولى، أنــه لا مكان للتنازل عن الأحــزاب، بالبعدين: الفكري والتنظيمــي، بمعنى أن لدى الأحزاب الفكــر السياسي الشمولي الذي من المهم التعامل معه بجدية حتى في حال لم يتم الاتفاق معه 100%، وكذلك التنظيمي وقدرة الأحزاب على التحشيد والعمل الميداني».

استخلاصات

يوجــد العديد مــن التحديات أمام الحــراكات الشبابية، ولذا كان مــن المهم توثيق هذه التجربــة ومتابعتها لإلقاء الضــوء على ديناميكية الحــراكات الشبابيــة الفلسطينية داخل إسرائيل. مع كتابة هذه السطور نجد العديد من الشباب والصبايا في الشوارع والساحات

العامة للتنديد ضد مخطط «برافر» الذي يهدف إلى مصادرة 800 ألف دونم من أراضي النقب، وتهجير 40 ألف فلسطيني عربي، وهدم 36 من قراهم. في هذه الحراكات دور شبابي واضح في قيادة المظاهرات والحضور الميداني، ولأول مرة تقوم فئات شبابية للتخطيط لحدث كهذا دون وجود هيمنة حزبية– تقريباً لا وجود للأحزاب في هذا النضال سوى بحضور عدد قليل منهم في هذه المظاهرات، وهو أمر سلبي. لا نستطيع إنكار دور الأحزاب في قوة الحشد، وبخاصة أنها ما زالت المراكز السياسية الأساسية التي يتم من خلالها العمل الجماعي. ومع هذا، فإن التكتل الشبابي خارج الأحزاب يحمل الأمل نحو التغيير واستغلال الطاقات المكبوتة والمهمّشة، إلا في حال استفاقت القيادات التقليدية التي ما زالت في غيبوبة عما يجري من تحولات في العالم العربي، ومن ثورات ضد أنظمة الاستبداد التي همشت الشباب وطمست الحرية، ووسعت من دائرة الفقر والبطالة، وزادت من غنى الغني وفقر الفقير.

من خلال المقابلات، برزت ظاهرة عدم الثقة بين الشباب في الحراكات المستقلة تجاه الأطر الشبابية التابعة للأحزاب، ما سيؤثر على العمل المشترك مستقبلاً. الشباب الفاعلون من خلال الحراكات المستقلة يرون أنه من الصعب العمل مع الشباب المحزبين– لعدم قدرتهم على التحرر من القوالب والأوامر الحزبية. بينما لم ينفِ جزء من الشباب الحزبيين إمكانية العمل المشترك، والجزء الآخر شدد على عدم وجود تراكم في العمل السياسي وربطه مع الرؤية السياسية الأوسع.

على الرغم من كل ذلك، يبقى السؤال: هل تستطيع هذه الحراكات أن تضع رؤية سياسية بديلة، أم أنها تدور حول نفسها من خلال «العمل الموضعي» وردة الفعل على الوضع السياسي العام؟ هل ستستطيع تجربة «شباب التغيير» الانتقال من المستوى المحلي لتكون ظاهرة قطرية تنتقل لأماكن أخرى؟ وإلى مستوى سياسي آخر – مثل الكنيست؟ أم أنها ستبقى تجربة محلية ينتمي أعضاؤها إلى البلد نفسه ويكون السقف السياسي هو العمل البلدي المباشر؟

توجد أمثلة كثيرة على حراكات شبابية مختلفة موزعة هنا وهناك في القرى والمدن العربية. لكن لم تظهر بوادر للعمل والتنسيق المشترك. مثلاً حراك النقب، يعمل ضد مخطط «برافر»، ومن أجل الحفاظ على أراضي النقب. ومجموعة «شباب العودة» يعملون من أجل تحقيق حق العودة إلى كفر برعم، وخاصة أنه يوجد هنالك قرار من محكمة العدل العليا الإسرائيلية بوجوب عودة أهل إقرث وكفر برعم إلى بلداتهم (هذا القرار لم يطبق).

أحـد الناشطين الحزبيين أشار إلى مؤشريـن أساسيين في الحراكات الأخيرة التي ظهرت بعد «الربيع العربي»:

- **الأول**، أزمة الأحزاب السياسية التي تحوّل معظمها إلى هرم متكلّس قمته الكنيست، بـدلاً من أن يكون الحزب جسماً حياً، يشكل التمثيـل البرلماني أحد أذرعه وليس سقـف عمله، وبخاصة في وضعية الشعـب الفلسطيني كأقلية قومية وكمواطنين في الوقت نفسه.

- **الثانـي**، وسائل الاتصال الحديثة التي تتيح تنظيم تحرّكات واسعة دون اتصال مباشر ودون الآليات التقليدية التي تكون عادةً بحوزة الأحزاب أو الأطر المنظمة.

وشـدد علـى أن كلا العاملين موجود أيضاً فـي العالم العربي (مع الفـوارق الموضوعية والذاتيـة طبعـاً) وكذلـك الشعور بـأنّ التغييـر المنشود منـوط فقط بالتحـرّك «خارج الصندوق»؛ أي خارج الأحزاب. وهو شعور يتسم بالعاطفية وتدني الوعي السياسي في معظم الأحيان. وخطورة هذا الشعور أكبر بالنسبة لغير المسيّسين الذين تكون مراراتهم أكبـر فـي حال التعثـر، أكثر بكثير مـن المسيّسين. خطورتـه الثانية تتجسّـد في انعدام المراكمـة، وفقـدان الرابط بين القضايـا والتركيز على تناقض واحـد دون تحدٍّ شمولي ومنظـم للمنظومة الكبرى التي تنتج كل التناقضات؛ أي دون رؤية الصورة المركبة. من المبكـر تلخيص هذه التجارب سلبـاً أو إيجاباً. والأهم هو أنّه يجـب الإفادة منها لرفد القوى المنظمة بطاقات جديدة وإكسابها القدرات التي تحوّل الحركة العفوية الخام إلى عمل سياسي–تغييري منظّم ومنهجي ومثمر.

مراجعة أولية لتجربة الحراك الشبابيّ الفلسطينيّ في القدس

مراجعة أولية لتجربة الحراك الشبابيّ الفلسطينيّ في القدس

هنادي قواسمي[1]×

تمهيد

ما أن اندلعت أحداث «ثورة الياسمين» في تونس نهاية العام 2010، ومن بعدها «ثورة 25 يناير» في مصر، حتى بدأت رياح ما اصطلح على تسميته آنذاك بـ»الربيع العربي» بالهبوب على البلدان العربية المجاورة، وبدأت مجموعات من الناس تخرج إلى الشارع للمطالبة بتغيير «النظام» أو إسقاطه، وتنوعت في ذلك درجات الاحتجاجات وقوتها وكيفيتها.

وقد كانت الفئة البشرية الأولى الفاعلة في هذه الانتفاضات من فئة الشباب، فلا يكاد يمر ذكر لهذه الانتفاضات أو الثورات إلا واقترن بذكر الشباب العرب ودورهم، ومجموعاتهم وحركاتهم التي كان لها دور لا يستهان به في إشعال الأحداث. وبينما كنا نستمع تقريباً إلى السياسيين والمحليين وذوي الشعر الشايب فقط على قنوات التلفاز ليروا لنا نظرتهم وتحليلاتهم للأحداث، فجأة أصبح للشباب حضور واسع، ولعل من المشاهد التي علقت في أذهان المراقبين العرب لثورة مصر هي مشاهد لـ «ثوار» شباب كانوا ينقلون لنا أجواء ميدان التحرير عبر الفضائيات المختلفة.

يمكننا القول، إذن، إن مفهوم «الشباب» قد اكتسب زخماً مكثفاً بفضل هذه الانتفاضات، أصبحنا نسمع الكثيرين يعلّقون الأمل على «الشباب»، وينسبون لهم فضل القيام بهذه الانتفاضات الشعبية واستعمال أدوات مبتكرة خلالها، مثل أدوات الإعلام الاجتماعي على سبيل المثال. بمعنى آخر، فإن مفهوم الشباب –بعد «الربيع العربيّ»–

1 × صحافية من القدس، تكمل دراسة الماجستير في العلوم السياسية في جامعة تل أبيب.

قـد تـم تحميله مضامين وأبعـاداً سياسية جديدة لم تكن بمثل هـذا الحضور مسبقاً على الساحة العربية. أبسط تجليات ذلك أنه لا يكاد يمر يوم في الحديث عن الواقع العربي، إلا وذكـرت فيه مفـردات مثل: حراكات شبابيـة، دور الشباب، وغير ذلـك. أما أعقد تجليـات ذلك، فيتمثل فـي محاولة بعض السياسييـن؛ سواء من العهـد القديم في بداية الثـورات العربية، أو الوجوه السياسية الجديدة فـي العهود الجديدة، كسب ودّ الشباب ومحاولة استمالتهم لطرفهم، حتى أصبح البعض يراهم رقماً صعباً حقق حضوراً قوياً في المشهد السياسي لم يكن له من قبل.

فمـاذا عن الشباب الفلسطيني فـي القدس، وهل حرّكته رياح الثـورات التي هبت على العالـم العربيّ؟ هل حمل كغيـره من الشباب العرب همّ «التغييـر»؟ وكيف عبّر عن هذا الهمّ؟ وما هي القضايا التي شغلت باله؟ وبماذا تميزت حركته؟ وإلى أين وصل «حراك» الشباب في القدس؟

في هذه الورقة، وعلى ضوء لقاءات مع بعض الناشطين الفلسطينيين في القدس، سأحاول الإجابة عن هذه الأسئلة بهدف تبين ملامح «النشاط» أو الحراك الشبابي الفلسطيني في القدس، ومحاولة تلمس مستقبله، وخلال ذلك ستبرز ملامح تميز حراك القدس عن بقية الحراكات الشبابية الفلسطينية.

يجـدر التنويه إلى أنه لـن يكون بمقدور هذه الورقة الوقوف علـى مسألة ظهور الحراك الشبابي المقدسي بكل تفاصيله وخباياه، كون ذلك يحتاج لبحث أوسع ومقابلات أكثر مـن تلك أجريت لصالح البحـث الراهن. على الرغم من ذلـك، تجتهد هذه الورقة في تلمس أبرز سمات هذا الحراك، وأهم موضوعاته، والمسار الذي آل إليه.

القدس مدينة ذات خصوصية

قبـل الخوض في موضوع الحـراكات الشبابية في القدس المحتلة، تجـدر الإشارة إلى خصوصيـة المدينة بما في ذلك خصوصيتها في السياق الفلسطيني. إذ لا شك أن مدينة القدس تحمـل رمزية عالية فـي نفوس الفلسطينييـن، كونها «عاصمتهـم المستقبلية»، وكونهـا المدينـة ذات المكانة التاريخية والدينية والسياسيـة التي تحوي أهم رموز تلك المكانـة كالمسجـد الأقصى، وكنيسـة القيامة، وكونها محـوراً أساسيـاً لصراعهم مع الاحتـلال، فهي التي يتكرر اسمها فـي الخطابات الوطنية الحماسيـة، وهي التي تُؤلّف حولها الأغاني الوطنية، وهي بنظر كثيرين قلب القضية الفلسطينية.

كمـا أن «الصـراع» مـع إسرائيل أشد وضوحاً فـي القدس مما هو عليه فـي مدن الضفة

الغربيــة الأخرى؛ فالقدس تقع مباشرة تحت السيطرة الإسرائيليــة، تمشي في شوارعها كل يــوم فترى أفراداً من شرطــة الاحتلال أو حرس الحــدود أو المخابرات، أو موظفي الحكومــة والبلدية الإسرائيلية، ترى علم «إسرائيل» مرفوعاً فوق فرع البريد الذي ترسل مــن خلاله رسائلك، وقد يستوطــن قرب بيتك إسرائيلي يهــوديّ يمشي بمرافقة حراس مسلحيــن، وقد تستيقظ فــي الصباح لتشتري مــن كعكها فتجد يهودياً مــن المستوطنة المجــاورة قد سبقــك ليشتري من محل جارك الكعك نفسه. كمــا أن جميع معاملات المقدســي الرسميــة تتم مع سلطــات الاحتلال الإسرائيلــي (الشرطة، البلديــة، مؤسسة التأمين، المحاكم، المستشفيات، وأحيانا التعليم، ... الخ).

بينمــا لا يواجــه الفلسطيني في الضفــة بمثل هذه الأمــور إلا نادراً، ربما لــو اضطر إلى استصــدار تصريــح ليزور ما احتل من أرضــه العام 1948، أو إن خــرج من قلب مدينته وسافــر نحو القــرى فتعرض لاعتداءات المستوطنين، أو ربما فــي أفضل الأحوال وقف على أعلى جبل في مدينته وشاهد المستوطنات تحيطه من كلّ جانب. قد يقول أحدهم إن المــدن الفلسطينية في الداخل الفلسطيني (الأراضي التي احتلت العام 1948) –التي تقــع هي كذلك تحت السيطرة الإسرائيلية المباشرة– لها صفة مشابهة، لكن هذه الصفة لا تحتفظ بالتوتر الحذر الذي تعيشه القدس كلّ يوم.

هــذه الخصوصية لمدينة القدس (أقصد كونها ذات رمزيــة عالية في القضية الفلسطينية، وكونهــا حيز احتــكاك مباشر مــع المحتل) شكلت عامــل قوة للحــراكات الشبابية في القدس –كمــا سأبين لاحقاً– وساعدتهم في بعض الأحيان على تجاوز بعض الخلافات فيما بينهم واحتوائها، لصالح الهمّ الأول «القدس».

كمــا أن للحــراك الشبابي فــي مدينة القدس دوراً مهمــاً يكتسب صبغته مــن العزلة التي فرضــت على المدينة، كونها مدينة محاصرة بالحواجز والجدار الأمني والمستوطنات، والطــرق الاستيطانية، ولا يسمح بدخولها إلا لعدد قليل من الفلسطينيين الذين ينجحون فــي استصدار التصاريح اللازمة لذلك. كما أنها مدينة تغيب عنها «القيادة» الفلسطينية، ولا يوجــد فيها تمثيل رسمــيّ فلسطيني يكتسب حضوراً قوياً بيــن الناس، بل إن مكتب محافــظ القدس المعيّن مــن قبل رئيس السلطــة الفلسطينية فــي رام الله يتواجد في الرام التــي يعزلها الجدار الأمني عن قلب المدينة، والرام تتبع للسلطة الفلسطينية. ناهيك عن الشكوك التي تحيط رغبة وقدرة هذا المكتب على العمل الجادّ الذي يحمل نتائج فعلية تخدم المقدسيين.

يــؤرخ البعض لهذه الحالة بتاريخ وفاة فيصــل الحسيني مسؤول ملف القدس في منظمة التحرير الفلسطينية، ومدير بيت الشرق الذي كان بمثابة الذراع الرسميّة للسلطة الوطنية

فـي مدينة القدس، فيقولون «منذ توفـي فيصل لم يعد للقدس كبيـر». وعلى الرغم من اختـلاف البعض مع فيصل نظراً لآرائـه السياسية فيما يتعلق بعملية السّلام وما إلى ذلك، فإنه شخصية التف حولها الكثيرون من الفلسطينيين في القدس، وكانوا يجدون عنده آذاناً صاغية، واستعداداً للنزول معهم للشارع ومساندتهم في مواجهة سياسات الاحتلال.

تغييب حالة قيادية كتلك التي مثلها فيصل الحسيني عن القدس منذ سنوات طويلة، إذ لم تنجح شخصية قيادية فلسطينية في كسب ودّ الجمهور المقدسي والتفافه حولها، أضف إلـى ذلـك سياسة الاحتلال المستمرة فـي التضييق على عمـل المؤسسات والجمعيات الفلسطينيـة، وأحيانـاً إغلاقها بدعوى أنها ممولة من جهـات «إرهابية»، أو ذات علاقة بحركـة «حماس»، أو إلغاء ندوات واحتفالات داخل القدس بدعوى مشاركة مسؤولين فلسطينييـن فيها، كل ذلك يبـرز دور الشباب في سدّ هذا الفـراغ القيادي، وإن لم يكن بحالـة قيادية شبابية مماثلة، ولكن على الأقل بتحريك المياه الراكدة في شوارع القدس، وخلـق نـوع من الوعـي والاهتمام بما يجري فـي المدينة وما يتعرض لـه أهلها من قبل الاحتلال.

بداية القصة

ذات ليلـة، بعـد عزل الرئيـس المصـري حسني مبارك بأيـام قليلة، تحوّلـت واجهات الفيسبوك الشخصية لمقدسيين كثيرين إلى صورة تحمل عنواناً موحداً: «شباب من أجل القدس»، حتـى الشخص الذي لم يُغيّر صورة «البروفايـل» الخاصة به منذ أنشأ حسابه الفيسبوكـي قبل عامين، قام بتغيير الصـورة لأجل القدس. حتى الذين لم ينخرطوا تماماً فـي عمل المجموعة قامـوا برفع تلك الصورة التي تحمل شعـار المجموعة في ملفاتهم الشخصيـة على الفيسبوك. وأخذ بعضهم يشارك فـي النشاطات التي نظمتها مجموعة شباب من أجل القدس.

تعتبـر مجموعة «شبـاب من أجل القدس» مـن أوائل وأبرز المجموعـات الشبابية التي شكلـت حالة «الحـراك الشبابي الفلسطيني» في القدس، وقد ظهـرت في شباط – آذار 2011، وحتـى بعـد توقف نشاطاتهـا، فقد شكل بعض ناشطيهـا مجموعات أخرى انبثقت عنها. تألفت المجموعة من شباب ناشطين سياسيين، بعضهم ينتمي إلى أحزاب وتنظيمـات فلسطينية معروفة، ولكنهم سئموا العمل في أطر أحزابهم، ولم يعد يرضيهم سقـف العمل البطيء والمتأخـر الناتج عن الأحزاب، كما عبّر أحدهـم لنا، ومن آخرين مستقلين لا ينتمون في الأصل لأي حزب سياسي فلسطيني، ولكنهم يحملون هم «تقديم شـيء» لهـذه المدينة، وآخرين لم يعتـادوا في المجمل النشاط السياسـي أو الاجتماعي

العـامّ، ولكن رياح الثـورات العربية أصابتهم، وشعروا بحماسـة ليحذوا حذو زملائهم الشباب في الدول العربية المجاورة، ويقوموا ولو بخطوة صغيرة.

شملـت المجموعة عشـرات الأعضاء مـن مختلف الأحيـاء المقدسية (سلـوان، رأس العامود، بيت صفافا، بيت حنينا، وغيرها)، شباناً وشابات، أغلبهم من حملة الشهادات الجامعيـة، ومن أبنـاء الطبقة المتوسطة علـى اختلاف تدرجاتها، البعض موظفون في شركات ومؤسسات، والآخرون طلاب جامعيون، وأصحاب مهن مختلفة.

بحسـب أحد المشاركين في تأسيس هذه المجموعة، لم يكن هناك نظام محدد وواضح لقبـول الأعضاء في هـذه المجموعة، فهي بطبيعة الحـال ليست حزباً سياسيـاً ذا أنظمة ولوائـح انضمـام، ويمكن لأي شخص أن يشارك في فعالياتهـا. إلا أن «الصفّ الأول» –بمعنى النواة المحركة من المجموعة التي بلغ عددها التقريبي عشرة أشخاص– لم يكن مفتوحاً لهذه الدرجة، ونقصد هنا متخذي القرارات وواضعي الخطط، فهؤلاء في أغلبهم يعرفـون بعضهم البعض، إذ سبق وجمعتهم دوائـر النشاط السياسي والوطني في القدس، ولم يكن ليدخل أحد إلى دائرتهم إلا وكان معروفاً و«مرضيّاً» عنه سياسياً ووطنياً. وهذا يعنـي أن اجتماعاتهم لم تكن افتراضيـة، وأن «الفيسبوك» في حالتهم كان أداة إعلان عن أنفسهـم أمام الجمهور، وليس أداة تعرف وانطـلاق، فاجتماعاتهم تجري على الأرض، وجهـاً لوجه، ولا يستعمـل الفيسبوك إلا لاستكمال التنسيق ولإتمـام التواصل الذي بدأ على الأرض، ولتحقيق الانتشار بين صفوف الشباب المقدسيين على اختلافهم.

وضعت المجموعة في تعريفها على الفيسبوك: «شباب من أجل القدس: نحن مجموعة شبـاب مـن القدس لا يوجد لنـا أي انتماء حزبي أو سياسي نعانـي يومياً من الممارسات الخاطئة في القدس، ونعلن رفضنا لما يلي: معاكسات البنات في الشوارع، وعلى أبواب المدارس؛ تعاطي المخدرات وانتشارها بشكل كبير في صفوف الشباب المقدسي؛ أن يكون الشباب بلا هدف أو رؤية؛ هدفنا أن تكون القدس رمزاً للثقافة والكرامة والحرية. إذا كنتـم تؤيـدون هذه الأفكار فكونـوا من المشاركين والفاعلين فـي هذه المجموعة، وتذكروا أن كل بداية صعبة نهايتها وطن حر كريم».[2]

تؤكـد الجملة الأخيـرة في هذا التعريف ما قيل أعلاه مـن أن الدائرة الكبرى للمجموعة الشبابيـة (لم يكن هناك تحديد واضح للفئة العمريـة في هذه المجموعة، ولكن طبيعتها وطبيعـة نشاطاتها ونواتها القيادية من الشباب توحي بأن مشاركيها شباب) كانت أوسع

2 صفحة المجموعة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/youthforjerusalem/?fref=ts

وتحتمل مشاركة الشباب من مختلف التوجهات ممن يحمل «هم القدس». أما النص كمجمل، فيمكن من خلاله استقراء بعض ملامح الحراك الشبابي في القدس، حتى وإن كانت تلك الملامح لا تمثل بشكل تامّ كل المجموعات التي ظهرت لاحقاً.

ملاحظات حول ملامح المجموعات الشبابية في القدس

1. تأكيد على الاستقلالية عن التنظيمات السياسية

تبرز أولى ملامح المجموعة في التأكيد على عدم انتمائها إلى أي حزب أو فصيل سياسي، فالنص يؤكد على أنه «لا يوجد لنا أي انتماء حزبي أو سياسي»، وتكاد تشكل هذه الجملة كلمة السّر الأولى التي تطلقها بعض ألسنة كوادر المجموعات الشبابية. فهم لا ينطلقون في تعريف ذواتهم من منطق الإيجاب، فلا يقولون: نحن شباب يؤمن بالحرية لفلسطين، أو يؤمن بأهمية دعم المجتمع، ... الخ، ولكنهم يبدأون بتعريف عن أنفسهم بما هو ليس فيهم، أو بما لا ينطبق عليهم، فبدلاً من القول: «نحن كذا وكذا»، يقولون: نحن لسنا كذا وكذا».

قد يكون التفسير الأول لهذه الملاحظة، هو محاولة استقطاب الشباب المستقلين وتحفيزهم للعمل في إطارات شبابية عامة بعيداً عن الصبغة الحزبيّة. فالشباب الفلسطيني الذي لم ينخرط في تنظيم فلسطيني ما، ولا يتعدى تأييده لتنظيم ما مساحة الميول الأولية، لا يريد لنفسه «وجع رأس» الانتماء إلى حزب سياسي أو الاصطباغ بصبغة سياسية أو حزبية ما، سيهتم أولاً لمعرفة «من هؤلاء»؟ وهذا السؤال يعني –في سياق الحراكات الشبابية– في إحدى تفسيراته «لمن يتبعون»؟ وهنا تظهر جمل من قبيل «لسنا منتمين لأحد، لا نتبع حزباً بعينه ...»، لترد الشكوك عن هذه المجموعات ولتطمئن من يطالعها من بعيد بأنها صادقة في استقلاليتها الحزبية، لعل وعسى تجذب المزيد ليلتفوا حولها، وربما لتتجنب مساعي الاحتواء من الأحزاب.

كما يعبر هذا الأسلوب في التعريف عن الذات عن وجود حالة من الحذر أو التردد بين الشباب والأحزاب والتنظيمات السياسية. وهي حالة موجودة في صفوف كثيرين من الشعب الفلسطيني وليس فقط في صفوف الحراكات الشبابية. وهي لا تعني أن المجتمع الفلسطيني قد هجر الأحزاب وأقصاها من حياته، إذ لا يخفى علينا أنه ما زالت هناك نسبة عالية تؤيد إما «فتح» أو «حماس»، وما زال الشباب متحمساً للتصويت في انتخابات المجالس الطلابية في الجامعات. ولكنها قد تعبر عن يأس وشعور بخيبة الأمل من السقف الذي تتحرك تحته هذه الأحزاب، ومن رغبة في الانطلاق في العمل

دون انتظار موافقة المسؤول في الحزب أو دون الاعتبار لمعاييره وحسابات المصالح السياسية بين الأحزاب.

ي. أ (أحد الشباب الناشطين الذين شاركوا في مجموعة «شباب من أجل القدس»، ويشارك بكثافة في فعاليات الحراك الشبابي في القدس، في أواخر العشرينات، ويعمل موظفاً في شركة) أكد على رغبته في العمل الوطني لصالح القدس خارج إطار حزبه، إذ قال إنه على الرغم من انتمائه لأحد الأحزاب وانتظامه في صفوفه عندما كان في الجامعة، فإن مستوى عمل الحزب لا يلبي طموحه خارج الجامعة، وفي الوقت الحالي، ما دفعه للعمل ضمن إطارات شبابية خارج تنظيمه السياسي. يقول: «لا أقول إنني تخليت عن الحزب، ولكن مجال تحركي وتعاوني مع بقية النشطاء سيكون أوسع وأسهل تحت إطار الحراكات الشبابية، ما دمنا نتعاون في أمور لا يختلف عليها أي فلسطيني وطني».

2. الاجتماعي بنكهة السياسيّ الوطنيّ

تنصب نقاط اهتمامات مجموعة «شباب من أجل القدس» على الجوانب الاجتماعية أكثر من اهتمامها بالجوانب السياسية. فبينما كانت مجموعة من الشباب تتحرك في الضفة وقطاع غزة رافعة شعار «إنهاء الانقسام»، كان أبناء القدس يفكرون بأوضاعهم الاجتماعية في أبسط مستوياتها (في تعبيراتها اليومية) بما فيها «معاكسة البنات».

تقول ت. ح (موظفة وناشطة فلسطينية من أراض 48، تعيش منذ فترة طويلة في القدس، وتشارك في مختلف نشاطات الحراك الشبابي): «أذكر أن موضوع إنهاء الانقسام طرح كشعار في القدس العام 2011، ولكنه لم يلقَ التفاعل من قبل النشطاء أنفسهم. مركز ثقل السلطة الفلسطينية –وهي المخاطبة بشعار إنهاء الانقسام– موجود في رام الله، لذلك لم يكن له معنى واضح في القدس، لكن ذلك لا ينفي أن نشطاء القدس شاركوا في فعاليات رام الله لإنهاء الانقسام».

هل يعكس ذلك انعزالاً عن السياسة وبعداً عن «مواجهة الاحتلال»؟ لن أبالغ إذا قلت إن أي شاب مقدسي سيجيب بـ «لا». في نظر المقدسي المحاصر عن امتداده في الضفة والقطاع، إيجاد حلّ لظاهرة معاكسة البنات، التي تزداد ساعات خروج الطالبات من مدارسهن، هو مساهمة في دعم القدس في مواجهة الاحتلال.

هذا الأمر لا ينطبق على القدس وحدها، فلا يمكن في سياق الحالة الاستعمارية التي تعيشها فلسطين الفصل بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وبين الجانب السياسي الوطني. لا يمكن بأي حال من الأحوال الحديث عن إقامة مصنع ما في أراضي الضفة

الغربية، دون أن يتطرق الحديث لأمور ذات علاقة بالأبعاد السياسية لذلك. فالمصنع في هـذه الحالة قد يحتاج إلى مواد خـام يستوردها من الخارج أو يصدر مواد إلى الخارج، وهذا كله بطبيعة الحال الاستعماري تحت سيطرة «إسرائيل»، ولا يتم بمعزل عنها، حتى لو كان ذلك على الصعيد اللوجستي.

وفـي الحالـة الفلسطينية يكتسب الفعـل الاجتماعي الصرف دلالة وطنيـة كبيرة. فعلى سبيـل المثال؛ مساندة عائلة مقدسية فقيرة بمبلغ ماديّ بسيط، على الرغم من كونه عملاً اجتماعيـاً بحتاً، يهدف إلى التخفيف من أعباء الحياة على العائلات الفقيرة، والمساهمة بحـلّ جزء من مشاكلها، لكنه فـي الوقت ذاته ذو دلالة سياسيـة وطنية، ويمكن التجرؤ والقـول إنَّه فعـل وطني بامتيـاز. ففي مدينـة محتلة تواجه حصـاراً سياسيـاً واقتصادياً ومحاولات تهجير مستمرة تتحـول مساندة عائلة فقيرة وتوفير وسائل الصمود لها، من عمـل اجتماعي عـادي إلى فعل وطنيّ دون شك. القاعدة هنـا تقول: مجتمع متماسك ومتعـاون يشـكل قـوة أكبر، ويحمـل نفساً أطـول في مواجهـة الاحتـلال وسياساته. والقاعدة تقول: دعم عائلة فقيرة يعني دعم ابتعاد هذه العائلة عن أسباب الابتزاز والإيقاع الإسرائيلي في العمالة أو التحييد.

انعكـس ذلك على نشاطـات «شباب من أجـل القدس» في بداية انطلاقهـا، إذ شملت نشاطـات المجموعـة زيارات للمرضـى والأطفال فـي المستشفيـات المقدسية، كما شملـت فعاليات ترفيهية وتقديم الهدايا لهم، ووقفات أمام مدارس البنات وفي الشوارع الرئيسية لمدينة القدس لمنع المعاكسات، وحملات مثل تنظيف الشوارع وغيرها.

وتـكاد أغلب المجموعـات الشبابية التي تظهـر اليوم تنطبع بهـذا الطابع الاجتماعي–الوطنـي نفسه، بعضها يحتفظ به بشكل دائم، وبعضها يبدأ بالتحول تدريجياً نحو الفعل السياسي الوطني البحت. في رمضان الفائت 2013، ظهرت مجموعات شبابية أخرى ركزت على مساندة الفقراء والمحتاجين ورسم البسمة على وجوه المرضى وتوفير لوازم المدارس للعائلات المستورة، إحداها سمت نفسها «كنعانيون .. على الخير اجتمعنا»، فهي وإن كانت اجتماعية تضع نصب أعينها مساندة الفقراء والمحتاجين، فإنها اختارت اسمـاً ذا دلالة سياسية، مرتبطاً بتاريخ المدينة ومحاولات تأكيد عروبتها وعروبة أول من سكن فيها (الكنعانيون).

ويمكن ملاحظة أن هذه الفعاليات ذات الطابع الاجتماعي تنجح غالباً في تجميع شباب غيـر متجانسيـن فكرياً وسياسيـاً. على سبيل المثـال، يمكن أن ترى فـي فعالية واحدة كمـا في حملة تنظيف شـوارع، شباباً وفتيات من خلفيات سياسيـة متعددة. أذكر تلك الفتـاة المقدسية التي ظهرت في فيلـم وثائقي إسرائيلي تتحدث عن السلام والتعايش مع

«الجيران اليهود» تشارك، في نشاط من هذا النوع، إلى جانب شاب يرى التطبيع جريمة كبرى، ويخرج فيما بعد في اعتصام ضد لقاء تطبيعي.

تجدر الإشارة هنا إلى أن الانغماس في العمل الاجتماعي البحت، وإن كانت له أهميته الوطنية السياسية على صعيد القدس، فإنه يصل في بعض الأحيان إلى أفق مسدود، إذ يغدو في نظر البعض مجرد محاولات صادقة لإطفاء الحرائق الصغيرة الناجمة عن الحريق الكبير المتمثل في الاحتلال. كما أن المنشغل به سيجد نفسه مع الأيام محصوراً في دائرته، ولا يملك الوقت الكافي لمواجهة سياسية جادة. هذه النظرة، ليست سوداوية تماماً، ولكنها تحاول توجيه الجهود إلى السبب الرئيس الذي يقود التخلص منه إلى القضاء على المشاكل الصغيرة التي يساهم هو في تضخيمها وتعميقها؛ ألا وهو الاحتلال الإسرائيلي.

كان هذا أحد الأسباب التي أدت إلى خفوت نجم مجموعة «شباب من أجل القدس»،[3] وظهور مجموعات أخرى مثل «هنا القدس»،[4] التي ركزت في عملها على القضايا السياسية بشكل مباشر.

3. الفعاليات الوطنية؛ إضراب الأسرى ومناهضة للتطبيع

بعيداً عن النشاطات ذات الطابع الاجتماعي، بدأت سلسلة من الفعاليات الوطنية السياسية، شارك في تنظيمها نشطاء مستقلون، ومجموعة «هنا القدس». شيئاً فشيئاً اختفت الأسماء والعناوين من النشاطات التي تحدث في القدس. أصبح المهم هو «الفعل» وليست اسم الجهة المنظمة، وأصبحت السمة الأساسية في أي فعالية هو وجود عنصر الشباب كمحرك ومنظم لها، دون الانتظام تحت اسم مجموعة معينة. وهكذا مثلاً أصبحنا نجد دعوات للمظاهرة تبدأ بـ «يدعوكم الحراك الشبابي في القدس» ... إلخ.

كانت أبرز هذه الفعاليات المظاهرات الوطنية المساندة لإضراب الأسرى، والوقفات الاحتجاجية على لقاءات التطبيع. وكما في مدن الضفة الغربية، هبّ شباب القدس لمساندة الأسرى الذين خاضوا معركة الإضراب عن الطعام، ونظموا لأجلهم عشرات الوقفات الاحتجاجية والمسيرات. شارك في هذه المسيرات عشرات، وفي بعض الأحيان المئات من الفلسطينيين، من الشباب والفئات العمرية الأخرى، وبخاصة أهالي الأسرى، وتنوع المشاركون من حيث انتماءاتهم الحزبية.

3 لا يخفي بعض من تحدثنا معهم وجود خلافات بين أعضاء مجموعة شباب من أجل القدس أدت إلى تخفيف عملها ومن ثم اختفائها.

4 هنا القدس انبثقت عن «شباب من أجل القدس»، ضمت أعضاء كانوا في الأساس من أعضاء «شباب من أجل القدس»، ركزت في عملها على مناهضة اللقاءات التطبيعية في مدينة القدس، إضافة إلى تنظيم فعاليات وطنية مختلفة.

يطلعنا ي. أ. على مجموعة من الصور يحتفظ بها على هاتفه لمظاهرات خرجت في شوارع القدس تضامناً مع هناء شلبي وخضر عدنان ومن لحقهم من الأسرى في الإضراب عن الطعام. يقول: «كانت مظاهرات قوية جداً». ويضيف: «لم تكن القدس هكذا من قبل ... حتى لو خرجنا في مظاهرة خجولة في بداية الأمر، لكن تراكم الفعاليات كسر حواجز الخوف والتردد، أصبح الشاب المقدسي يخرج في مظاهرة وهو أشد وثوقاً بنفسه وأشد وثوقاً بمن حوله، أصبحت الوجوه مألوفة، وبدأنا نشكل نواة غير منظمة نراها دوماً في المظاهرات».

كانت الدعوات لتلك المظاهرات تصدر أحياناً من القوى الوطنية والإسلامية، وبخاصة إذا كانت الدعوة تخص عموم الأسرى لا أسيراً مضرباً بعينه، وكان يشارك فيها أهالي الأسرى والنشطاء الشباب بشكل خاص. فيما بعد، لم يقتصر توجيه الدعوة على القوى الوطنية والإسلامية، بل تولى الشباب (عادة تحت اسم «الحراك الشبابي في القدس»، أو مجرد اقتراح بسيط من ناشط ما ينتهي بتطبيق الاقتراح، موضوع الدعوة هنا فضفاض وسهل لا يحتاج إلى تنسيقات طويلة) زمام الأمور، وغيّروا «عادة الكبار» في التجمع عند الصليب الأحمر في الشيخ جراح في القدس، ليصبح التجمع عند باب العامود. وأصبحت صفحات الفيسبوك تنقل لنا الدعوات الشبابية المتكررة للمظاهرات نصرة للأسرى المضربين.

كان لوجود أسير مقدسي مضرب عن الطعام أثر واضح في تأجيج حركة الاحتجاج في الشارع المقدسي، إذ شعر الشارع المقدسي أن الأمر يمسه مباشرة وليس بعيداً عنه في داخل مدينته المحاصرة، فقد كانت المظاهرات المناصرة له أمام باب العامود لا تتوقف، بعضها محصور بعدد قليل من المشاركين، وبعضها ذو دائرة أوسع. أشعرت قضية سامر العيساوي الشارع المقدسي أن قضية الأسرى قريبة منه، فكون سامر من مدينة القدس زاد في متابعة القضية والتفاعل معها. وبرز هنا في هذه القضية بالذات دور خاص للحراك الشبابي المقدسي، فالقوى الوطنية والإسلامية ليست ذات نفس طويل لمواكبة قضية استمرت طويلاً كقضية سامر العيساوي،[5] فالشباب هنا من الناشطين ومن أصدقاء الأسير (بل وحتى الفتية الذين كانوا حوله بعد خروجه من الأسر) هم من حملوا المسؤولية تماماً، وهم من استمروا في تنظيم الوقفات الاحتجاجية عند باب العامود، وإن انضمت بعض الشخصيات الوطنية لاحقاً إلى اعتصامهم بعد أن دعوا إليها. كما برز خلال هذه الفترة دور خاص للشباب الفلسطينيين من داخل أراضي 48 الذي يسكنون

5 يشير البعض إلى خلافات فصائلية منعت البعض من المشاركة في بعض الاعتصامات المناصرة للأسير سامر، ويذكرون منها أن أخت الأسير شيرين العيساوي شاركت في مظاهرة في القدس مناوئة للرئيس محمود عباس احتجاجاً على تنازله عن مدينة صفد وعن حق العودة خلال مقابلة تلفزيونية مع القناة الثانية الإسرائيلية.

فـي القدس ويدرسون في الجامعة العبرية، إذ نظموا أكثر من وقفة احتجاجية بالقرب من مدخـل قرية العيسوية، وعلـى مقربة من مدخل الجامعة العبرية تضامنـاً مع الأسير سامر العيساوي وبمشاركة والديه وأخته.

كما حقق الحراك المقدسي تأثيراً قوياً في منع اللقاءات التطبيعية في القدس، بعضها شارك فيهـا سـري نسيبة وياسر عبد ربه. كانـت مجموعة شبابية تعرف باسـم «هنا القدس»، يراقبـون بشكل دائم أي لقـاء أو ندوة يشارك فيها إسرائيليـون، أو تنظم بدعوى الحوار والسّـلام، ويتصدون لها. لم يكن سقفهـم منخفضاً في ذلك، فلم يكتفوا بالوقوف أمام مكان اللقاء والاعتصام رافعين اللافتات، بل جاءت هذه كخطوة أخيرة، والخطوة الأولى كانت التوجه مباشرة إلى منظمي اللقاء والسعي إلى ثنيهم بإلغائه، أو التوجه إلى مسؤولي الفنـدق أو القاعة التي يقام فيها اللقـاء ومحاولة إقناعهم بعدم استضافة الفعالية التطبيعية، وقـد نجحوا أكثـر من مرة في ذلك. وفـي الحالات التي لم يوفقوا فيهـا كانوا يقومون بأقـل الإيمان، أي التجمـع أمام مكان انعقاد اللقاء والهتاف ضـد التطبيع و«الخائنين». وبهدف محاربة لقاءات التطبيـع، التقت المجموعات الشبابية بهيئات وطنية من الجيل القديـم كانت تشاطرهم الغاية ذاتها. ولكن الشبـاب هنا كانوا هم المبادرون والهيئات الوطنية هي اللاحقة بهم.

مجموعات شبابية متنوعة الاهتمامات

بعيداً عن النشاط السياسي وعن المجموعات الشبابية الأولى («شباب من أجل القدس»، و«هنـا القدس»، بشكل أساسي)، نشطت في العاميـن الأخيرين في القدس مجموعات شبابيـة متنوعة الاهتمامـات. فقد برزت مجموعـات تعنى بالتصوير وتـرى فيه وسيلة لتوثيـق تاريخ المدينة المقدسة في وجه التهويد الـذي تتعرض لها، وتعمل على تسجيل الانتهـاكات التي تتعرض لها المدينة ومعالم الاحتلال فيهـا. أصبحنا نرى شباباً كثيرين يتجولون في القدس حاملين الكاميرات ويلتقطون الصور وينشرونها على مواقع التواصل الاجتماعي، كما أنتج بعضهم فيديوهات للتعريف بمعالم المدينة المقدسة.

وقد برزت مجموعتان رئيستان؛ الأولى هي «صوّر وانت ماشي»، والثانية حملت اسم «نبض القدس». اتسمت هاتان المجموعتان بأنهما استقطبتا الشباب من الفئات الأصغر عمراً (من 16 عاماً فما فوق)، وكان الحضور الأكبر فيها لشباب ما بين العشرين والثانية والعشرين. لم يكن هؤلاء مسيسين بطبعهم، أو يهدفون لعمل سياسي وطني، وإنما كانوا يحملون «هم المدينة» فحسب، ولا يريدون لشبابهم أن يضيع هباء دون «وعي».

وقـد كان موضع اهتمام هاتين المجموعتين وما لحقهمـا من مجموعات شبيهة أمران:

التصوير والإرشاد التاريخي. كان جل عملهما يتركز على تنظيم جولات للشباب والفتيات للتعرف على معالم مدينة القدس وقراها المهجرة غالباً برفقة مرشد تاريخي يشرح لهم عن تلك المعالم، ويصاحب ذلك تصويرها ونشر معلومات عنها عبر صفحاتهم الفيسبوكية. وبطبيعة الحال، فإن هذه الممارسات كانت تؤطر بالحسّ الوطني، على اعتبار أن القدس محل تهويد وأسرلة من قبل دولة الاحتلال، وواجب الشباب أن يقدموا ولو مساهمات بسيطة في كشف عملية التهويد وأن يملكوا -بأقل تقدير- المعلومات الصحيحة غير المزيفة والمضللة عن مدينتهم. لاحقاً أصبح بعض أعضاء هذه المجموعات ينضمون إلى المظاهرات المنطلقة في القدس لتصويرها وتوثيق حالات الاعتقال والاعتداء فيها، بل تعرض أحد أفرادها نفسه إلى الاعتداء من جنود الاحتلال أثناء قيامه بتصوير إحدى المظاهرات.

«القدس مشحونة»

تمشي في الشارع الرئيس في مدينة القدس، لا تخطئك مظاهر الاحتلال البارزة، تحس بها في كلّ مساحة؛ أعلام إسرائيل على البريد المركزي في شارع صلاح الدين، جندي من حرس حدود عند باب العامود ... أبسط الأشياء تدلك على سطوة الاحتلال حتى قبل أن ترى أفعاله. في المقابل، تمشي في شارع ركب في رام الله، لا مظهر واضحاً وصارخاً يدل على أنها مدينة محتلة. شوارع مليئة بالناس، شرطي فلسطيني يتكلم العربية ينظم السير، علم فلسطيني مرفوع قرب المنارة. عليك أن تخرج قليلاً من دائرة «وسط البلد» لتتجه شرقاً أو غرباً لترى المستوطنات على التلال، ربما حينها تشعر بحضور «الاحتلال».

هذه المقارنة ببساطتها، بين مدينة تحتك بالمحتل بشكل يوميّ وبين أخرى لا تراه إلا إذا خرجت من قمقمها، حملت لحراك مدينة القدس أحد عوامل قوته وتثبيته. تعبر ت.ح (إحدى الفتيات المشاركات في الحراك الشبابي المقدسي) عن ذلك بالقول إن «القدس مشحونة» وأنها البوصلة. يتفق معها ي.أ ويستخدم اللفظة نفسها «مشحونة»، واصفة حياة الفلسطيني في القدس، مضيفاً: «المقدسي دمه حامي، مستحيل يشوف قمع ويسكت، حتى لو إنه مش مسيس». وكان استخدامهما لهذين الوصفين في إجابة عن سؤال المخاطر والتحديات التي واجهت المجموعات الشبابية في القدس. حسب النشطاء، فإن خصوصية القدس ووجودها في موقع احتكاك دائم مع الاحتلال، كان عاملاً في رأب أي خلافات قد تحدث بين أفراد المجموعات الشبابية. بمعنى آخر، فإنهم قد يختلفون حول الكثير من القضايا السياسية والأدوات ولكنهم يتجمعون من جديد حين تذكيرهم بالقدس وهمجية المحتل الإسرائيلي.

تقول ت. ح. (موظفة فلسطينية من أراض 48، تعيش منذ فترة طويلة في القدس، وتشارك في مختلف نشاطات الحراك الشبابي): «في كثير من الحالات كانت الاختلافات في الآراء تصل حدّها الأقصى، ولكن بمجرد التذكير بمركزية مدينة القدس، وأنها تعلو على أي خلاف، كنا نلاحظ خفوتاً ما في حدة الخلاف، وكنا نرى استعداداً بين الشباب للتنازل قليلاً مقابل التوحد من أجل القدس، وهو ما لا ألمسه كثيراً في حراكات فلسطينية في مناطق أخرى». وهو تجسيد واقعي للمثل الشعبي «أنا واخوي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب». يضيف ي.أ في هذا السياق أنه نادراً ما نرى مسيرات تخرج بأعلام التنظيمات الفلسطينية، وهذا دليل على التوحد خلف العلم الفلسطيني. بينما قد يكون الأمر راجعاً، إضافة إلى هذا الاعتبار، إلى كون المدينة محتلة احتلالاً مباشراً وشاملاً، ومحرومة من ممارسة العمل السياسي الفعلي.

أما عن التحديات التي تواجه المجموعات الشبابية، فيقول ي.أ (ناشط شبابي من طالب جامعي، موظف، ناشط فيسبوك) إن كثيرين ممن ساهموا في بناء المجموعات أو حتى نشطوا خارجها تمت ملاحقتهم أمنياً وتم استدعاؤهم من قبل مخابرات الاحتلال الإسرائيلي للتحقيق معهم حول نشاطاتهم. كما تعرض بعضهم للاعتقال الفعلي عقب مشاركاتهم في مظاهرات. يستدرك ي.أ ويخفف من حدة هذا التحدي قائلاً إنه أمر متوقع في بلاد محتلة كالقدس، وهذه ضريبة العمل الوطني، وعلى العكس فهو يشجع الشباب على الاستمرار بحذر وذكاء وأن لا تعيقهم هذه التخوفات الأمنية.

أما عن التحديات الداخلية، فما زال الكثيرون ملتزمين بأحزابهم وأجنداتها، وحتى لو خرجوا إلى سعة المجموعات الشبابية، فإنّهم في النهاية يعودون إلى أحضان الأحزاب، وحتى إن لم تكن عودتهم كاملة فهم في بعض الأحيان يحملون مواقفهم الحزبية إلى جلسات المجموعات الشبابية ويريدون إسقاطها على عمل تلك المجموعات. عدم الانعتاق الكلي من سلطة الأحزاب يؤدي، بحسب ت. ح. إلى عدم الاتفاق على القرارات الداخلية في المجموعات الشبابية، ما قد يؤدي إلى حلّها في النهاية.

تضيف ت. ح. تحدياً آخر تقول إنه قائم في حراكات مختلفة في فلسطين المحتلة، وليس فقط في القدس، وهو تحد يهدد أي مجموعة شبابية في العالم، ويتمثل في خطر الانعزال والتحول إلى مجموعة اجتماعية، تربط أفرادها علاقات صداقة، ما يجعله حراكاً متجانساً مغلقاً على ذاته، لا يستوعب إلا من هو من دائرة الأصدقاء المقربين. وعندها يعجز أو يرفض هو نفسه ضمّ طاقات جديدة قد تكون من خلفيات مختلفة، ويتحول الحراك الشبابي إلى مجموعة من «الشللية» – الأصدقاء الذين عدا عن مشاركتهم الجماعية في النشاطات الوطنية والمظاهرات وما إلى ذلك، يتجمعون كل

فتـرة ويشربون الشاي والقهوة معاً وربما يخرجـون للرحل سوياً. بالتالي لن ينجح مثل حراك كهذا في كسب قاعدة جماهيرية واسعة وتحريكها.

المستقبل: تنسيق جماعي دون إطارات ومسميات

لا توجد اليوم مسميات لمجموعات شبابية بعينها تنشط ضمن الحراك الشبابي المقدسي (ذي الطابـع السياسـي بالذات)، إنمـا يتواجد «حراكيون» شبـاب، أو يمكن تسميتهم نشطاء، تربطهم علاقات صداقة أو معرفة، ينتجون معاً «حالة» من الحراك الشبابي.

غابت عن الساحـة أسماء مثل «هنا القدس» و«شباب من أجل القدس» وغيرها، واليوم عنـد قراءة أي دعوة للتظاهر تنشر عبر الفيسبوك فإنهـا تستخدم تعبير «يدعوكم الحراك الشبابي في القدس». وهي حالة إيجابية بنظر ي.أ. إذ يؤكد، كما يؤكد غيره، من النشطاء أن العمل ضمن هـذا الإطار الفضفاض من التنسيق بين أفراد النشطاء أفضل من التمترس خلف مجموعات مختلفة.

يؤيـده آخرون، فبنظر ي. أ. (من الشباب الناشطيـن الذين شاركوا في مجموعة «شباب مـن أجل القدس»، ويشارك بكثافة في فعاليات الحراك الشبابـي في القدس، في أواخر العشرينات، ويعمل موظفاً في شركـة) فإن المسميات مجرد شكليات. «هنا القدس»، «شبـاب مـن أجل القدس»، أو غيرهما من تسميـات، لا تهمّ؛ المهم أنـه نتج عن هذه الحـراكات والمجموعات ما يمكـن تسميته بـ «حالة» من النشـاط الفلسطيني الشبابي السياسـي في مدينة القدس. ليس شرطاً أن نكون في مجموعة واحدة تحت رباط واحد واسـم محدد لنتفق على تنظيم مظاهرة فـي ذكرى النكبة. لسنا بحاجة إلى ذلك، أصبح الأمـر بديهياً، وأصبحت «حالة» الحراك الشبابـي ذات دائرة متسعة مرنة تضم بداخلها النشطاء البارزين المعروفين الذين يتوقع حضورهم في كل مرة.

ح.ح. (شـاب في الثلاثينات من عمـره، يعمل في إحدى المؤسسـات الفلسطينية، من القدس، ونشيط في حراكاتها) يتفـق مع هذا الوصف، مستعيداً ذكرياته قبل عام، حينما كان جـزءاً مـن مجموعة شبابية، فيقول: فـي بداية الانطلاق لم يكن يهمنـا الاسم كثيراً «لازم يصيـر إشـي.... هـذا الذي كان يهمّ». يبـدي ح.ح. رضاه عـن الوضع الحاليّ ويقـول إن القدس ليس بحاجة إلى مجموعات شبابية، بقدر ما هي بحاجة للعمل وفقط العمل، دون التأطر والحاجة لأسماء معينة للمجموعات وللظهور الإعلامي.

بعـد الحديث المطول مـع بعض النشطاء الفاعلين في مجموعـات شبابية خفت نجمها مؤخـراً في القدس، لا بدّ من السـؤال عن المستقبـل، ماذا بعد؟ هل هنـاك حاجة إلى

مجموعات شبابية جديدة في القدس؟ وهل من محاولات لإعادة بناء المجموعات التي تفرقــت؟ وما مستقبل الحراك الشبابي في المدينــة المحتلة؟ تصعب الإجابة الدقيقة عن هــذا السؤال، فالقول إننا بحاجة إلى مجموعات جديدة يعني –بطريقة أو أخرى– أنه لا توجد في القدس مجموعات فعالة بالشكل الكافي، وهو أمر لا يمكن الجزم به بسهولة، وبخاصــة أن «المجموعات» لا تتخذ تعريفاً محدداً ولا شــكلاً واحداً للعمل، وليست كلها تتبع طريقة واحدة في الإعلان عن نفسها، والتواصل مع محيطها.

لكن من الواضح جداً أن هناك حالة مختلفة تسود القدس عما كان الأمر عليه قبل عامين من الآن. يستذكر ح. ح. أنه قبل 3 أعوام لم نكن نرى في القدس أية مظاهرات بهذه القوة والاستمرارية التي تخرج بها المظاهرات اليوم من القدس، بل حتى على صعيد الابتكار. ويذكر ي.أ. تعليقاً على ذلك مثال المظاهرات التي تخرج من ساحات الأقصى ليلاً بعد صلاة العشاء، وتوهم الاحتلال بأنها «زفة عريس»، بينما هي في الحقيقة مظاهرة تهتف للقدس والأسرى ولفلسطين.

هــذه «الحالة» التي تغلي على نار هادئة، ربما هــي إحدى إنجازات الحراك الشبابي في القدس، فهو إن لم ينجح في خلق جماهيرية واسعة له، فإنه نجح أحياناً في تأجيج القضايا المطروحــة على الساحة، والتفاعل معها من خــلال الشارع، وهو أقل الإيمان في مدينة محاصــرة جغرافيــاً واقتصادياً وفقيرة سياسيــاً (بمعنى ضعف النشــاط السياسي وغياب القيادة الفلسطينية الفعالة).

في الإجابة عن سؤال ما الذي حدث للربيع الفلسطيني؟

الحراك الشبابيّ الفلسطيني في الضفة الغربية

في الإجابة عن سؤال ما الذي حدث للربيع الفلسطيني؟

الحراك الشبابيّ الفلسطيني في الضفة الغربية

طارق بلال خميس[1]×

تحـاول هذه الورقة مقاربـة ظاهرة الحراكات الشبابية الفلسطينيـة التي انطلقت في 15 آذار 2011 تأثـراً بالثورة التونسية آنذاك، منشئة مجموعة تحمل اسم هذا التاريخ، وفيما بعـد ولدت مجموعـات أخرى مثل: «5 حزيران»، «شباب بنحـب البلد» «شباب ضد الاستيطان»، وتجمعات أخرى ولدت واختفت سريعاً. وستحدد الورقة الضفة الغربية، بشكل أساسي، مكانياً في تناولها لهذه الظاهرة.

تكمن أهمية ظاهرة الحـراكات الشبابية في أنها تَفَلّت من فضاء العمل السياسي الحزبي الفلسطيني، الذي طالما سيطر على نشاط الحياة السياسية الفلسطينية. وعلى الرغم مما يبدو من حداثة الظاهرة، فإنها لم تكن قطيعة فاصلة مع واقع الثقافة السياسة الفلسطينية، كما ستبين الورقة. وستبدأ برواية التجربة من خلال من شاركوا فيها، ومن ثم ستعرج إلى الدروس التي يمكن استخلاصها من التجربة، عبر تحليل أسباب انغلاق أفقها وفشلها في إنجاز ربيعها الخاص.

أولاً. قصة الحراك الشبابي

ترجـع بعض روايات انطلاق الحراك إلى ما قبل 15 آذار 2011 عندما التقت النواة وراء هـذا التحـرك للمشاركة في مسيرات النبـي صالح في يوم السـلام العالمي، الذي وافق

1 ×طالب ماجستير دراسات عربية معاصرة يعمل صحافياً وباحثاً.

2010/9/25. يومها سارت المجموعة بين أحراش النبي صالح مشياً على الأقدام قرابة السّاعتيـن؛ لأن القريـة كانت محاطة بطـوق أمني إسرائيلي، وقبل وصـول القرية بقليل حاصرها الجيش، إلّا أنّ سكان النبي صالح قاموا بمسيرة من مائة شخص أربكت الجنود وتمكنوا من فكّ حصار المجموعة. كانت هذه النواة التي ستلتقي فيما بعد وتنسق فيما بينها فعاليات 15 آذار.

لـم تتجاوز المجموعة خمسين شاباً وشابة أغلبيتهم كانوا من جيل النشطاء الجدد الذين لا ينتمـون لأحزاب سياسية، ويعملون في مؤسسات غير حكومية (NGOs)، تجمعهم هـذه الصفات، إضافة إلى كونهم أبناء مدن تلقوا تعليماً جيّداً، وينتمون للطبقة الوسطى، العليـا منها تحديـداً. لقد كانت حادثة النبـي صالح ومثابرتهم فـي الوصول واحتضان الناس لهم، بداية لغرس الثقة في نواة لمجموعة كانت في طريقها للتشكل.

لاحقاً، انطلقت النقاشات لمدة ثلاثة أشهر قبل الذهاب إلى 15 آذار 2011، الذي يعتبر تاريخاً رسمياً لانطلاق الحـراكات الشبابية. تبلورت النقاشات حول ثلاث أطروحات للعمل:

- **الأولـى**، الشـروع بحملة تثقيـف للناس تركز على رفـع الوعي بمـا أحدثته مسيرة المفاوضـات بالقضية الفلسطينية بعد مرور عشرين عاماً من محاولتها للوصول إلى حل.
- **الثانيـة**، تنظيـم فعاليات جماهيريـة عن طريق حشد طلبة الجامعـات بحكم أن هذه الشريحـة هـي الأكثر قدرة علـى المبادرة فـي الفعل بعيـداً عن تكلس الأحزاب الفلسطينيـة، ومـن ثم توسيع الحراك ليكـون جماهيرياً. لكن مـن الواضح أن هذا النقاش كان نظرياً، حيث لم يمتلك الحراك الشبابي بتشكيلاته كافة أي خطة عمليّة لخلق هذا التحشيد.
- **الثالثـة**، خصت المواجهة مـع الاحتلال من خلال تكثيف نقـاط المواجهة الشعبية معه، كما يحدث في النبي صالح، ونعلين، وبعلين.

وكان هناك خلاف خلال هذه النقاشات حول التوقيت والقُدرات، وهل ستواجه السلطة أم الاحتلال أم الاثنين معاً؟ وبأي طريقة؟

فـي البداية، قررت المجموعة التضامن مع الثّورة التّونسية من خلال تنظيم وقفة تضامنية على دوار المنارة. وهذه كانت المرة الأولى التي يصطدمون فيها بالحقيقة الخشنة التي مفادهـا «أن لدينا سلطة قمعية تشبه سلطات الدّول العربية المجاورة» على حدّ تعبيرهم.

أنشـأ بعض الشباب (الذين سيصبحون لاحقاً من نـواة حراك 15 آذار) دعوة على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» استجاب لها ألفا شخص.

التزمـت المجموعة بالقانون السّـاري، فأبلغت محافظة رام الله والبيـرة نيّتها إقامة هذه الوقفـة التضامنيـة، وهنا بـدأت الأجهـزة الأمنية بالمضايقـات والتهديـدات؛ فهاتفوا المجموعـة لشـرح خطورة تنظيـم هذا النشاط من بـاب أن زين العابديـن بن علي كان صديقـاً للسلطة، وأنه استقبل منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، محذّرين من خطورة تدخّل الفلسطينييـن في الشؤون الداخلية للدول العربية، لكي لا تتكرر تجربة الكويت، وكان واضحاً أن هذه المبررات لم تكن مقنعة للشباب.

قبل حراك التضامن مع الثورة التونسية بيوم، خرجت عائلة الأسير هيثم صالحية بمسيرة بعـد أنبـاء عن تعرّض ابنهم للتسميم مـن قبل إدارة السجون. فمـا كان من بعض شباب الحـراكات (الذين لم يكونوا وقتهـا جسماً محدداً) إلا الانضمـام للمسيرة، وتوجهت المسيرة إلى المقاطعة، وهناك تصدى لها الأمن.

وبعـد التهديد والمنع مـن تنظيم المسيرات، تفاجـأت عائلة الأسير هيثـم والمجموعة الشبابيـة بموافقـة السّلطة على خروج مسيرة نصرة للأسيـر هيثم، شريطة أن تكون على دوّار المنـارة في تمام الساعـة الرابعة عصراً؛ وهما المكان والزمـان المطابقان لمسيرة المجموعة الشبابية التي أرادت الاحتفاء بالثورة التونسية.

اضطـر الشبـاب المنظمون وقتها إلى إلغـاء مسيرة التضامن مع ثـورة تونس على اعتبار أن قضيّـة الأسيـر أهم وألحّ؛ وفي مكان المسيرة كانـت السّلطة وحركة «فتح» قد وفرتا مكبـرات للصوت لتوحيد الهتاف مـن أجل قضية الأسير، وحين قـام أحد الشبان برفع العلـم التونسـي هاجمه عناصـر من الأجهزة الأمنيـة واتهموه بمحاولـة تشتيت الجهد المنصـبّ على نصرة الأسير هيثم، هذا كان الصدام الأول حسب روايات الشباب الذين شاركوا في المسيرة.

أصـدرت المجموعة بياناً يوضح ما حدث في مسيرة الأسير هيثم، ثم دعت إلى اعتصام أمام السّفارة المصرية دعماً للثورة المصرية من خلال الفيسبوك، حينها استدعت الشرطة الناشط فادي قرعان الذي كانت الدعوة باسمه، وضغطت عليه من قبل جهاز المخابرات وجهاز الأمن الوقائي لإلغاء الدعوة، وبعد رفضه في البداية اضطر كما يقول لإلغاء الدعوة بسبب الضغط، لتقوم مجموعة أخرى غير معروفة بالدعوة مرة أخرى للمسيرة ذاتها التي حضرهـا قرابـة ثلاثين شاباً وشابة منعهـم الأمن من الهتاف وأمهلهـم بضع دقائق لإنهاء الاعتصـام الصامت. بعدها نظم شباب آخرون لا يحملون هوية محددة مسيرة ليلاً على

دوار المنـارة لدعم الثورة المصرية فخطفت الأجهـزة شاباً من المسيرة فتحرك الشباب لمركز الشرطة وهناك اعتقل ثلاثة منهم.

فـي 15 آذار 2011،[2] كانت الجهـود المتفرقة للشباب تستعـد لتوجيه جهدها في هذا اليوم من أجل اعتصام مفتوح يطالب بإنهاء الانقسام والدعوة لانتخابات مجلس وطني، وبدأوا بإضراب عن الطعام لمدة ستة أيام، ووجّهوا رسالة للرئيس محمود عباس ورئيس الـوزراء إسماعيل هنيّة دعـوا فيها لإنهاء الانقسـام، وفي ظلّ غيـاب أي استجابة عادوا للإضراب لمدة 14 يوماً، واستمرّ الاعتصام واحداً وخمسين يوماً.

يبـرز في حديث المجموعة عن أيـام الاعتصام والإضراب ما لاقوه من «تلاحم شعبي»؛ فكانـت الأفران القريبة ترسل إليهم المعجّنات، وأمدّتهم المحلات القريبة بالماء. التقى الرئيس محمود عبّاس بأفراد من المجموعـة مرات عدّة، ويبدو أن ثمة جدلاً كان يدور داخل مؤسسات السلطة حول التعامل مع الحراكات؛ ويبدو أن البعض طَرَحَ قمعها، في حيـن طرح آخرون احتواءها، وحين رأوا أنّها أدنى من مستوى التّهديد قرّروا احتواءها. وهذا لم يحدث في غزة، حيث نزل الآلاف إلى الشارع فوجدت «حماس» نفسها أمام تهديد حقيقي فقمعتهم.[3]

تلقى المُعتصمون على المنارة أيّامها وجبات الطّعام من الرئيس أبو مازن، والتزم البعض الحذر فوجّهـوا الرّسائل لمكتب الرئيـس، موضّحين أنّهم يرفضون هـذه المُبادرة، إلا أنّ غيـاب قيـادة حقيقية للحراك حالـت دون اتخاذ موقف واضـح. يضاف إلى ذلك، كمـا يقول الشبان والشابات، «انتشار الكثير من عناصر الأجهزة الأمنية بين المعتصمين بـزي مدني، وقضوا الليالي معهم»، كل هذا حـال دون اتخاذ مواقف حاسمة. وخلال الاعتصـام، وفـي الأيام التي تلته، التقى بعض المعتصمين بشـكل فردي بأفراد من جهاز المخابـرات بطلب من الأجهزة نفسها بغرض السماع لمطالبهم والنقاش حول الوضع السياسي، وهو ما رفضه آخرون.

على صعيد آخر، جرى فـي الخامس من شباط 2011 تحرّك نظمته المؤسسات الأهلية والفصائـل الفلسطينيـة في مدينـة رام الله، رفعت خلالـه شعارات عدة مـن بينها: إنهاء الانقسام، إنهـاء أوسلو، وغيرها، ولم يكن هناك أي تنسيـق لرفع الشّعارات، فلاحظت المجموعـة أن أكثر شعار لقي قبـولاً وقتها كان «إنهاء الانقسام»، فقـررت تبنّيه، فظهر بعدهـا العديد من الصفحات على فيسبوك تطالـب بإنهاء الانقسام، فتواصلت فيما بينها

2 اعتمـدت الورقـة فـي روايـة 14 آذار على لقاءات أجراهـا الباحث مع النشطـاء التالية أسماؤهم: فـادي قرعان، زيد الشعيبي، حرية زيادة، اشيرا الحصري، ديانا الزير، حسن كراجة.

3 من مقابلة مع المحلل السياسي هاني المصري.

واجتمع عدد من أصحابها في رام الله، ونسّقوا مع مجموعة في غزة كانت مصرّة على رفع شعار «إنهاء الانقسام»، وعلى اختيار الخامس عشر من آذار تاريخاً للتحرك.

ظلّت المجموعة في رام الله متخوفة من الاقتصار على شعار «إنهاء الانقسام»، لأنه لا يعبر عن كل طموحاتها، إضافة إلى خوف المجموعة من كون الشعار فضفاضاً ويمكن استغلاله، ولذلك وجدت نفسها ميّالة لإضافة شعار انتخابات المجلس الوطني الذي اعتبروا أنّه يمثل كل الفلسطينيين في جميع أماكن تواجدهم.

قبل ذلك، انطلقت مجموعة أخرى اختارت تاريخ الخامس من حزيران تاريخاً لبداية انطلاقتها،[4] تزامناً مع هزيمة حزيران العام 1967، فعرفت باسم «5 حزيران» قبل أنْ يتغيّر اسمها إلى «الحراك الشّبابي المُستقلّ»، بحيث التحقت المجموعة بيوم 15 آذار، وهناك تعرّفت على المجموعات الأخرى، وتعرفت أيضاً على نفسها، بمعني أن التجمع في أرض ميدان المنارة أتاح لهذه المجموعات وغيرها أن تتعرف على نفسها، حيث العديد منهم كان يتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي فشكل العمل الميداني فرصة ذهبية للتعارف وتركيز المجموعات وتمايزها عن بعضها البعض.

ينحدر أغلب المنتمين لهذه المجموعة من أحزاب يسارية، وبخاصة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وهم جميعهم يحملون توجهات يسارية وينتمون لطبقة وسطى دنيا بأغلبيتهم، ويتنوعون من المدن والمخيمات والقرى.

أصرّت مجموعة الحراك الشبابي المستقل على رفع شعار «عودة المجلس الوطني»، إضافة إلى ثلاثة محاور أخرى للعمل؛ الأوّل إنهاء الانقسام الذي سرعان ما اكتشفوا عدم جدواه، والثّاني قضية الأسرى، والثالث موضوع التّطبيع والتّمويل الخارجي. استطاع الحراك أنْ يُلغي ستّة لقاءات تطبيعية كما يقول ناشطوه. وقرّرت المجموعة بعد إلغاء إحدى الحفلات الغنائية التطبيعية التي كان من المقرر أن تستضيف مغنياً إسرائيلياً، إقامة بديل عنها، فأقاموا حفل رأس السّنة على دوار السّاعة بغناء ملتزم ودخول مجّاني للنشاط. تقول المجموعة أنّها قرّرت عدم الظّهور بالواجهة فتعاوّنت مع مجموعة شبابية أخرى حديثة، أطلقت على نفسها فيما بعد «شباب بنحب البلد»، على دوار الساعة في رأس السّنة تحديداً، وهكذا ولدت مجموعة «شباب بنحب البلد» التي نشطت لفترة ضد موضوع التطبيع وعملت على إحياء قضية الأسرى.

4 اعتمدت الورقة في رواية تجمع «5 حزيران» على لقاءات أجراها الباحث مع كل من النشطاء: أغصان البرغوثي، أنس البرغوثي، مراد جاد الله، محمد مصطفى، مهند العزة.

خلافات بين المجموعات الشبابية

لقد ظهرت خلافات عدة بين مجموعات الشباب، ولم يكن التنسيق فيما بينها في أفضل حال، بل وصل الأمر لحد اتهام بعضها البعض بتهم مختلفة، حيث كانت التهم الأبرز لمجموعة 15 آذار هي علاقتهم بالمنظمات غير الحكومية (NGOs)، ومشاركتهم في مؤتمرات ممولة أجنبياً، والتقاؤهم بشخصيات وصفت بغير الوطنية مثل رجل الأعمال الفلسطيني منيب المصري. فيما كانت أبرز التهم الموجهة لمجموعة 5 حزيران هي أنهم يتلقون تعليماتهم من الجبهة الشعبية، ولا يملكون القرار المستقل. يرجع بعض من قابلتهم الأمر إلى الإشاعات التي سوقتها الأجهزة الأمنية حول دور مزعوم للجبهة الشعبية في اختطاف الحراك الشبابي، فيما يرده آخرون إلى طبيعة الخطاب السياسي المهادن الذي تبناه بعض الشباب، الذين حسب قولهم رأوا في المقاومة الشعبية بديلاً عن الكفاح المسلح.

لقد كانت أيام الاعتصام الممتدة لشهر بعد يوم 15 آذار حافلة بالمجموعات الطارئة التي ظهرت في مدينة رام الله، محاولة الالتحاق بالحراك الشبابي بشقيه، اللذين كانا إما بدفع من حركة «فتح» بهدف تشويش الحالة وإما من المؤسسات الشبابية التي تتلقى دعماً أجنبيا بهدف تمثيل الحالة مثل مجموعة «يلا ننهي الاحتلال». فهذه «المجموعة رفضت العمل مع الحراك العام لأنها كانت ضد الدعوة لانتخابات للمجلس الوطني دون توضيح سبب هذا الرفض، وقامت بتعليق بوستراتها الداعية إلى إنهاء الاحتلال واختفوا بعدها كما يروي المشاركون في مجموعة 15 آذار.

ظهرت في ما بعد بعض المجموعات التي ركزت على قيمة التطوع («العونة») كقيمة أساسية للتحرر من هيمنة التمويل الأجنبي مثل «فريق ساند»،[5] الذي أعلن عن نفسه من خلال إقامة أمسية غنائية ملتزمة رداً على الحفل الذي أعلنت عنه مدينة روابي إحياء لذكرى الشاعر محمود درويش، وفيما بعد تبع هذا النشاط نشاطات ميدانية كزيارة الأراضي المهددة بالمصادرة التي تتعرض لمضايقات المستوطنين، ومساعدة أهلها على الصمود. كانت فكرة المجموعة تشكيل فريق يعتمد روح «العونة» (العمل التطوعي) التي غيبها التمويل الأجنبي في البلد، لتقديم المساندة لكل الأعمال التي تعزز صمود المجتمع الفلسطيني في وجه الاحتلال.

نمط جديد من الحراكات الشبابية

5 رواية فريق ساند تعود لمقابلة أجراها الباحث مع مؤسس الفريق أحمد البيقاوي، وهو شاب يسكن مدينة رام الله جاء إليها من مدينة طولكرم ويعمل في شركة خاصة.

اختفت هذه المجموعات الشبابية جميعها بعد فترة من الزمن لم تتجاوز السنة، إلا أن النشطاء الموجودين فيها ما زالوا يثابرون على المشاركة في النشاطات والمسيرات المختلفة، ليظهروا فيما بعد موحدين تحت اسم «فلسطينيون من أجل الكرامة»، وبذلك أصبحت هذه المجموعة تضم خليطاً من التوجهات الشبابية، جزء منها منحدر من أصول يسارية، وجزء آخر ذو خلفيات ليبرالية، وجزء لا يحمل خلفية محددة، وإنما يتفق مع الشعارات التي ثابر التجمع الجديد على رفعها، وقد اختفت صفة الشبابية من هذه المجموعة رغبة منها في الوصول لشرائح مختلفة من المجتمع، إلا أن ذلك لم ينجح كما يتضح من فعالياتها. وتحت هذا الاسم، خرجت المسيرة المناهضة لزيارة موفاز لمقر المقاطعة، التي تعرضت للقمع من قبل الأجهزة الأمنية، وتبعتها مسيرة أخرى في اليوم التالي قمعت بالطريقة نفسها، فدعا التجمع لمسيرة ثالثة في تحد واضح من أجل الوصول إلى مقر المقاطعة، والهتاف هناك ضد زيارة موفاز، فنجحوا في اليوم الثالث في الوصول.

ثابرت المجموعة الجديدة على تنظيم النشاطات المساندة للأسرى والرافضة للتطبيع والداعية إلى تفعيل انتخابات المجلس الوطني، ورفض الاعتقال السياسي.

ظهرت بعض النشاطات الشبابية التي لم تؤطر نفسها داخل إطار محدد، كإغلاق بعض الفتيات لمدخل مستوطنة «بيت إيل»، وهو الحدث الذي أحدث إرباكاً لجيش الاحتلال وقتها، حيث أنه لم يعتاد على مثل هذا النوع من النشاط، ولاحقاً تكرر الأمر مع مستوطنات أخرى كالتظاهر في سوق «رامي ليفي» في مستوطنة شاعر بنيامين.

وبرز نمط جديد من التحركات الشبابية أخذ شكل إقامة القرى في الأراضي المهددة داخل مناطق E1. وأكثر ما برز كان نموذج قرية «باب الشمس» التي امتازت بحصولها على الدعم الحكومي، حيث أنها، كفكرة، ولدت من رحم اللجنة التنسيقية للمقاومة الشعبية، وبدعم مباشر من وزارة الحكم المحلي، وأثير حولها الكثير من الانتقادات من بعض النشطاء،[6] جراء الاستئناف الذي تم تقديمه للمحكمة العليا الإسرائيلية على قرار الإخلاء الذي تسلموه من الإدارة المدنية، لكنّ هذا المسعى «القانوني» لم ينجح، فقد تم قمع التخييم المكون من 120 شخصاً بكل سهولة ليعودوا بعد يومين في خدعة «زفة العرسان»، حيث مرت الزفة لتشغل الحاجز عن 20 شاباً تسللوا من خلال الجبل لرفع علم فلسطين على قرية باب الشمس، وتنتهي التجربة عند ذلك.

وتبعتها إقامة حي «أحفاد يونس» ملحقاً لتجربة باب الشمس، التي لم تحظ بالبريق

6 انظر/ي على سبيل المثال: محمود عمر. «الأفّورة؟ الفلسطينية: باب الشمس نموذجاً»، موقع شبكة قدس (2013/03/11): http://www.qudsn.ps/article/2267

الإعلامي نفسه لتزامنها مع زيارة أوباما للمنطقة. ولاحقاً، أقيمت قرى بمبادرات مستقلة من الأهالي كقرية «باب الكرامة»، و«كنعان»، وقرية «الصمود والتحدي». وكلها تمت إزالتها أو أزالت نفسها بنفسها خلال مدد قصيرة.

ثانياً. لما أخفقت محاولات إطلاق «الربيع» الفلسطيني؟

سأحاول في هذا الجزء التطرق إلى بعض أسباب إخفاق الربيع الفلسطيني التي تعود بعضها لعوامل داخلية أي للحراك الشبابي نفسه، وبعضها لأسباب موضوعية تتعلق بالوضع الفلسطيني كوضع مختلف ببنيته وتشكله وآليات فعله عن محيطه العربي؟

غياب الدولة وحضور النظام

تكمن خصوصية الوضع الفلسطيني مقارنة ببلدان الربيع العربي، في فرادة الحالة السياسية السلطوية قياساً بالأنظمة العربية. هناك غياب للنظام فلسطينياً بمعناه المؤسساتي والبنيوي المتصل عملياً بنشأة الدولة الحديثة، الذي خرجت الجماهير تطالب بإسقاطه عربياً، فليس ثمة نظام يمايز نفسه عن دولة مستقلة، وأصبح بالإمكان إسقاطه ليحل نظام آخر مكانه، دون أن يمس ذلك بقاء الدولة ذاتها، بل هناك شبه نظام يعمل بمعزل عن دولة كونها غير قائمة، تتحدد إيقاع حركته تقدماً وتأخراً بمنظومة متكاملة من المانحين، ومشدودة بطبيعة الحال بطبيعة (التوتر/اللاتوتر) مع الاستعمار الاستيطاني، هذا كله يجعل خصوصية الحراكات الاحتجاجية فلسطينياً تتمثل في كونها تواجه جسماً غير مكتمل، تنقصه مقومات النظام حتى نحكم عليه بالتشوه، ليصبح بالإمكان إسقاطه في ما بعد.

صفة الشبابية تعمل ضد نفسها

لقد امتازت الحراكات بكونها شبابية متأثرة بالربيع العربي، إلا أن هذه السمة «الشبابية» لم تخدم هذه الحراكات لاحقاً، حيث ستحولها من وصف للروح الفاعلة إلى فئة محصورة، حيث جرى تصوير فئة شبابية لها صفات معينة منعزلة عن فئات المجتمع الأخرى، وقادرة على أن تتحدث عن مشاكل مجتمع خارجها، وكأنها ليست جزءاً منه، وأن لها (أي للفئة الشبابية) دوراً رسولياً ما لإنقاذ هذا المجتمع، ولكن دون التغلغل فيه. ولم تتوانَ الفئة الشبابية عن إنتاج خطاب يعزل نفسه عن محيطه، فعلى سبيل المثال نظم الحراك مسيرة انتصاراً لدماء شهداء المخيم، ثلاثة منهم سقطوا في مخيم قلنديا على يد الاحتلال، وواحد على يد السلطة في مخيم عسكر في 2013/8/28، إلا أن الملاحظ كان هو غياب المخيم عن المشاركة في هذه الفعالية التي تخصه بشكل مباشر، ما يدلل على قصور خطاب الحراكات الشبابية عن كسب ثقة الناس في المخيمات، أو في

ضعف التنسيق معهم، وكل هذا يخفي داخله خطاباً لم ينجح في الوصول لهذا التشكيل الجغرافي المهم. ولقد وجاء هذا الحصر في أجواء تحتفي بالشباب كفئة تتم صناعتها وعزلها عن مجمل التفاعلات السياسية والمجتمعية، بواسطة مؤسسات التمويل الأجنبي، تلك المؤسسات[7] التي ثابرت على إقامة دورات ورحلات وندوات تحت عناوين تقنية تهدف إلى تعزيز القيادة الشبابية وتمكين الشباب، وتحوي مضموناً يفصل السياسة عن مجمل الحياة، حيث أن المطلوب هو إخراج جيل شبابي يحتفي بقضاياه الخاصة المعزولة عن مجمل التفاعلات السياسية والاجتماعية، ويتحدث عنه بلغة تقنية منزوعة السياسية. فيما يتعلق بالسياق الفلسطيني، فإن العمل الشبابي الفلسطيني ارتبط بالأطر السياسية، بل هي التي أوجدته.

لقد سبق الاتحاد العام لطلبة فلسطين نشوء منظمة التحرير الفلسطينية بسنوات عدة، وأنجب الاتحاد العام جسماً أكبر منه (سيلتهمه لاحقاً)، وكذلك الأمر بالنسبة للكتلة الإسلامية، فلقد سبقت نشأة حماس بعشر سنوات تقريباً. وعوداً إلى لحظة الانطلاق، فإن نشأة الحركة الطلابية تعود إلى منتصف العشرينيات، تحديداً العام 1925، بوصفها الفترة التي شهدت تأسيس «جمعيات الخطابة الطلابية»، وهي أول جسم طلابي فلسطيني، لعب لاحقاً دوراً بارزاً في ثورة 1936، وهو العام الذي شهد عقد أول مؤتمر طلابي فلسطيني في يافا، وكان الحس الوطني الطلابي واعياً جداً لتعريف الصراع، فرفع شعاره «محاربة الإنجليز لأنهم رأس الأفعى» بلغة البيان التأسيسي.

وكانت الحركة الطلابية الفلسطينية أول تنظيم قطاعي فلسطيني تشكل بعد النكبة، فتعافى من الصدمة ليعاود تكوين نفسه ليشهد لاحقاً فترات انتعاش ذهبية في قيادة الشارع الفلسطيني منذ النكبة وحتى 1956، حيث شهد العام 1959 تأسيس «الاتحاد العام لطلبة فلسطين» بدعوة من رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة، رافعاً شعار «خلق الإنسان الثوري القادر على العمل والتحرير والتوعية». وكان أول مؤسسة فلسطينية تدعو إلى التجنيد الإجباري. ولذلك، ركز الاتحاد على التدريب العسكري لأعضائه، وشارك بتشكيل فرق المغاوير بعد هزيمة 1967.[8] إلا أن صفة الشبابية تحولت من وصف للروح المبادرة والخلاقة، إلى وصف جماعة فرعية داخل المجتمع، تعمل بمعزل

7 انظر/ي لهذا التقرير الذي يحوي مقابلات مع شباب تلقوا دورات أشرفت عليها هذه المؤسسات، ويبدو جلياً تلك اللغة التقنية التي تفصل السياسة عن مجمل النشاطات الأخرى، فعلى سبيل المثال، يتم تدريب الصحافي على قيم الحيادية حتى لا يصبح هناك فرق بينه وبين كاميراته التي يحملها، في الوقت الذي –في سياق استعماري– لابد لكل المهن، بما فيها الصحافة، أن تلعب دوراً منحازاً: «اللغة التي اغتصبها التمويل»، شبكة قدس الإخبارية http://www.qudsn.ps/article/708:(6/3/2013)

8 انظر/ي: طارق خميس. «حين لا تقول الصناديق شيئاً»، شبكة قدسالإخبارية (2013/06/17): http://www.qudsn.ps/article/2267

عنــه. ولذلك، يكثر سماع عبارات من نوع «الانقسام أثر على الشباب»، وكأن الشباب هي الفئة الطهرانية التي لم تشارك بالانقسام، واكتفت بكونها فئة وقع عليها هذا الفعل.

جرت عملية صناعــة الشباب كمنتج بالتزامن مع دخــول المؤسسات غير الحكومية أو (NGOs)، التــي نشّطت الهويّات الفرعية داخل المجتمع، وجعلتها كموضوع يجري العمــل عليه، وليس كــذات تتفاعل وتخلق صيرورتها المتصلــة والخاصة، وأنشأت لها مؤسسات خاصة، فكان الشباب إحدى هذه الفئات التي وجدت نفسها بعد فترة تحمل خصائص معينة حتى تستحق الصفة التي جرى تصميمها من قبل خطاب المنظمات غير الحكوميــة، الذي لاحقاً سيجعل من فئة الشباب حركة داخل نفسها، تتحدث عن ذاتها وتعيد إنتاج ذاتها دون القدرة على لعب الدور الطليعي الذي لعبته سابقاً.

«الميدان» كنموذج للافعالية

انطلقــت الحراكات الشبابيــة من ساحة (ميدان) المنارة في مدينــة رام الله، مستبطنة في ذلــك نموذجاً أنتجه الربيــع العربي الذي جعل مــن الميادين والشــوارع الرئيسية فضاء لفعله. فقدّمت تونس نموذج «شارع بورقيبة»، فيما طرحت مصر بقوة نموذج «ميدان التحرير»، فكان الاستبطان فلسطينياً باستحضار ساحة المنارة كحيز عام للتحرك الشبابي الجديــد. هــذا الاستحضار لم يكــن واعياً للفــروق الجوهرية التي تميّــزه عن المحيط العربــي. عربياً، يساعد عدد السكان الكبير نسبياً علــى جعل الكم البشري ضرورياً في عمليــة الاحتشــاد، كما أن الميدان بمــا هو تشكيل مديني مرتبط بالمــدن الكبرى ويقع وسطهــا أو فــي مكان حيويتها، يؤدي إغلاقــه لإغلاق المدينة بأكملهــا أو لأجزاء مهمة منهــا، فيما هذه الخصائص لم تكن تشبــه بشيء ساحة دوار المنارة الذي لم يكن إغلاقه ليغلــق البلــد، ولم يكن ليعول علــى حشود جماهيرية في منطقــة جغرافية لا تتجاوز 45 ألــف نسمة، وهو عدد ســكان رام الله، هذا فضلاً عن أن الاحتــلال قام بتقطيع التواصل الجغرافي للمدن مانعاً من توسعها وتواصلها فيما بينها، جاعلاً بذلك من التراكم البشري محصوراً لا عمق له.

الانتشار العمودي والأفقي

عجــزت الحــراكات الشبابيــة على تطويــر خطابها عمودياً، وعلى مد جسمهــا أفقياً، فقــد اكتفت في بعض الأحيــان برفع شعارات ذات طابع سلبــي «لا للمفاوضات»، «لا للانقســام»، وفي الأحيان التي طرحت شعاراً إيجابياً كشعــار «إجراء انتخابات مجلس وطنــي»، لم يحمل الشعار أدوات رافعة له ولا برنامجاً يعززه؛ أي لم تكن للشعار آليات جدية تعزز كونه برنامج عمل.

كمـا أن خطابها العمودي غالبـاً ما امتاز بردة الفعل لا بالمبـادرة للفعل، فقضايا كالأسرى والعـودة للمفاوضات والاعتقال السياسي، كلها تندرج ضمن مراقبة الفعل السياسي والرد عليه باحتجاج مضاد، دون أن يبلغ هذا الاحتجاج درجة تطوير خطاب مضاد متجاوز لشرط إنتاجـه، مع الانتبـاه إلى أن وظيفة الحراك كتيار شعبي لا تحتمـل طرح برنامج أيديولوجي صلب، فهي حالة من الخطاب السياسي التي تعرف ما تريد دون أن تحدد تفاصيله.

لقـد عجـزت الحراكات عـن أن توسع جسمهـا أفقياً، فلـم تصل المخيمـات والقرى كتشكيلات اجتماعية خارج المدينة، كما أنها لم تخرج من رام الله غالباً كمكان لمركز نشاطاتهـا، وحتـى الحراكات التي ظهـرت في مدينة الخليل أو بيـت لحم أو غيرها من المدن، لـم تتطور في شكلها لتصبح عابرة لمكان نشاطها، ولم تشتبك هي الأخرى مع التشكيلات الاجتماعية المحيطة بها.

القطيعة مع الثقافة السياسية

ينحـدر أغلب الملتحقين بالحراكات الشبابية من الطبقة الوسطى العليا والطبقة الوسطى الدنيـا، فيما سياسياً يمكن القول إن أغلبهم جاؤوا مـن خلفيات إما ليبرالية وإما يسارية. هـذا الاختـلاف جعل تيارين رئيسيـن يسيطران على مشهد الحـراك مع وجود حالات استثنـاء كثيرة لم تتحول إلى تيار؛ فأبناء الطبقة الوسطى العليا والميالون للأفكار الليبرالية شكلـوا تياراً، وأبناء الطبقة الوسطى الدنيا والميّالون للأفكار اليسارية شكلوا تياراً آخراً، هذا فضلاً عن أفراد آخرين لم يشعروا أنفسهم منشدين لهذا التجاذب. وغني عن القول إن هـذا التنوع في حراك لـم يتجاوز عدده الـ150 شخصاً يعد تنوعـاً مشرذماً للحالة لا مغنـي لهـا؛ أي أن التنوع يتحول إلى غنى في حالة نجح الحراك في حشد أعداد ضخمة للالتحاق به، حيث التنوع يخدم الكل، بينما في حالة حراك محدود العدد يكون التنوع دافعـاً للشللية والتشرذم وانتشار المحاصصة بشـكل مباشر وواضح، لذلك لم تكن آلية اتخـاذ القرار تقـوم على تحديد حاجيـات المرحلـة أو الرؤية الإستراتيجيـة، ولم يكن الجـدل الداخلـي يدفع بهذا الاتجاه فغالبـاً ما كان يأخذ طابـع الانقسام، بحسب ميول الأفـراد الداخليـة وعلاقاتهم الخاصة، فضلاً عـن أن هذا التنوع لـم يحمل شكل تنوع فكـري واضح على الرغم ممـا يبدو للوهلة الأولى من اختـلاف المشارب الفكرية بين شباب الحراكات، إلا أنه، في المحصلة، لم يخلق نهجاً جديداً للعمل، ولذلك هو امتداد للسائد في الساحة الفلسطينية من أساليب عمل ونهج تفكير.

لقد أدى هذا التنوع في الأفكار والمزاجات الفردية إلى تشرذم الحراك الشبابي، وعجز القائميـن عليه عن خلق جسم ذي قيادة موحدة. هذا مـا يجعلني أقول إنه لم يُقم قطيعة

مع الثقافة السياسية الفلسطينية، وإنما كان امتداداً لها ولأزمتها، حاملاً ما أخذه منها من ظواهر سلبية رافقت الظاهرة السياسية الفلسطينية كالمحاصصة، والانقسام المستمر، وازدواجية اتخاذ القرار بين التيارين البارزين في الحراكات الشبابية (15 آذار، 5 حزيران)، الفردية ... وغير ذلك.

هذه الحالة من الاتصال والانفصال مع الواقع السياسي، لم تكن ذات طابع براغماتيّ مفيد، بمعنى أنها حرمت نفسها من ميزات وتجارب العمل الحزبي وقدراته على التنظيم والانتشار وصياغة الخطاب، ولكنها في الوقت نفسه أعادت إنتاج مأزقه، فمثلاً لم تلتقط الحركات الشبابية قدرة الأحزاب على التوسع في خطابها إلى مختلف المناطق الفلسطينية ومختلف تشكيلاتها الاجتماعية، بغض النظر عن فاعلية هذا التمدد، ولكنها أخذت منها بعض مشاكلها كالمحاصصة، حيث لكل تيار حصة في القرار والحضور. في حالة الأحزاب الفلسطينية، كانت المحاصصة كارثية بالمعنى الوطني والسياسي. إن المحاصصة هي تقسيم الإرادة الوطنية على مجموع المنتصرين في «عض الأصابع». وهذا لا يشبه في شيء الإرادة الوطنية التي هي تفيض عن مجموع القوى الوطنية لتخلق خطاباً وطنياً متجاوزاً للحزبية، مع أن الحزبية هي من دعمته فهو أكبر منها، وهي تشتق منه لا العكس.

العلاقة مع السلطة

لجأت السلطة في الضفة، إلى اتّباع سياسة الاحتواء الناعم، ومن ثم انتقلت للصدام الخشن فيما نسميه لحظة «مسيرة موفاز» التي خرجت اعتراضاً على استضافة شاؤول موفاز في مقر المقاطعة في رام الله (ألغيت لاحقاً). كانت هذه لحظة فارقة في علاقة الحراكات مع السلطة، إلا أنها لم تتطور على مستوى النشاط على الأرض، فيما فضلت سلطة غزّة قمع الحراكات من بداياتها فلم تتح الفرصة لنشوء جسم أو تيار شبابي هناك.

في العلاقة مع السلطة أخذت الحراكات تفحص مفاصل هذا الجسم وتوجه إليها احتجاجها، لتصل بالتناقض بين السلطة وشعبها إلى مداه الأقصى. وهو تناقض سيفرز بدوره الاستنتاج الأكبر في شأن مدى إمكانية بقاء السلطة ذاتها؛ فلم تطرح الحراكات برنامجاً بديلاً، وهو ليس بالأمر المطلوب من أي حراك كان، لأن الحراك الشعبي بحكم التعريف هو التقاء المختلفين مع السلطة وليس المختلفين على السلطة، وإنما تكفلت الحراكات بالعمل الدؤوب على تفكيك مقولات السلطة الكبرى، وهذا ما كان عليها المثابرة في إنجازه، إضافة إلى دورها الطليعي في إحياء قضية الأسرى والدعوة لانتخاب

أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني، وربط الاحتجاجات على الغلاء ذات الطابع الاقتصادي بأصلها السياسي وهو اتفاقية باريس.

إلا أن هذه اللحظات التأزيمية لم يجرِ تطويرها، حيث ظهر الخلاف على تعريف العلاقة مع السلطة داخل الحراك الشبابي؛ هل تتم موضعتها كجزء مكمل للنظام الاستعماري الاستيطاني؟ أم أن الأولوية تبقى لمقارعة الاحتلال دون الالتفات للسلطة كجسم عائق لهذه المقارعة؟ لم يستقر الحراك على إجابة عملية حول هذا التساؤل، وهو ما جعله يضيّع «لحظة موفاز» كلحظة مهمة في مواجهة هذا النظام.

غياب التيار الإسلامي

مما هو معروف أن الحركات الإسلاميّة هي الأكثر قدرة على الحشد الجماهيري بحكم امتداد شعبيتها، إلا أن حالة القمع العنيف الذي تشهده في الضفة، وبخاصة حركة «حماس» بعد الانقسام، حال دون مشاركة أفراد يميلون للحركة الإسلامية في الحراك الشبابي. وعلى الرغم من ذلك، فإن الحراكات الشبابية لم تنجح في الوصول إلى هذه الفئة العريضة. فعلى سبيل المثال، لم يكن يحضر الأفراد الإسلاميون إلى مسيرات مناهضة للاعتقال السياسي الذي كان يمسهم بالدرجة الأولى. كما أن حالة الحراك الشبابي لم تشهد التحاق إسلاميين غادروا الحالة التنظيمية كما حدث في حراكات الربيع العربي إلا في حالات نادرة، وعلى الرغم من أن هذا الغياب يعود في أغلب أسبابه لما هو خارج الحراك ذاته، فإنه من المفيد هنا الإشارة للدعاية التي نجحت الأجهزة الأمنية في تسويقها عن الناشطين كمجموعة منفلتة من الضوابط الاجتماعيّة (ارتياد البارات ... الخ)، وفي ذهن الكثيرين كان يكفي ليصدق هذه الدعاية أن يرى نمط الحياة الاجتماعية المتحررة التي يعيشها أغلب الناشطين، وهذا ما أنتج حاجزاً نفسياً يقف أمام انخراطهم داخل هذه الحالة، وحال دون مشاركة شباب جدد في الحراكات الشبابية أو كسب تأييد شعبي لها.

الحراك الشبابي كهويّة اجتماعيّة

لقد تحول النشاط الشبابي إلى هويّة اجتماعيّة تُميّز حاملها، فحل نموذج «الناشط» مكان نموذج «المناضل»، حيث النموذج الأول يشير إلى نوعية حياة معينة، تحيط به شبكات علاقات معينة، ويثابر على حضور المؤتمرات الداخلية والخارجية، يستخدم صوره الشخصية في المسيرات كرأسمال رمزي، ويقوم في نشرها باستمرار على مواقع التواصل الاجتماعي ... الخ. ولقد شهدت الحراكات هذا النمط في حالة بعض

النشطـاء. فيما يفترض نموذج «المناضل» حالة مـن الإيمان تدفع المنتسب للفكرة أن يعيشهـا ليل نهار، لا كميزة اجتماعية وإنما كإيمـان سياسي محفوف بالمخاطر، تدفعه إلى ممارسة نوع من السريّة.

«نـادراً ما يأخذ الناشطون خطوة للـوراء لتقييم عملهم وإعادة النظر بإستراتيجيتهم؛ فهم يقومون بالنشاط –يمارسون دورهم الاجتماعي– كل الوقت. يشير مؤلف «فلنتخلّ عن النشاط» إلى أن «جزءاً من كون المرء ثورياً يعني معرفة متى يجب التوقّف والانتظار. من المهـم أن نعرف كيف ومتى نضرب لتحقيق الفعاليّة القصـوى، ومن المهم أيضاً معرفة كيـف ومتى لا نضـرب. الناشطون لديهم ذهنيّة «علينا فعل شـيء الآن!» التي يبدو أنها تتغذّى من الشعور بالذنب. هذه الذهنية غير تكتيكيّة أبداً».

بشكلـه الحالي، النشاط هو أداة الناشط المحتـرف للتعبير عن هويته الاجتماعية، وليس أداة لربـح الصراعـات والقضايا. كما فـي أي مهنة تخصّصية أخـرى، يعمل الناشطون على تحسين صورتهـم الشخصية، وبناء سجلّ محترف من النشاط السياسي. يتعاملون مـع النشـاط كأنه مهنة لديها منافع اجتماعيّة وماديّة أكثر ممـا يتعاملون معه على أنه قتال للانتصـار بصراع. العديـد من الناشطين يحصلـون على لقمة عيشهم مـن النشاط عبر التحوّل إلى موظّفين في المنظّمات غير الحكومية المموّلة جيداً».[9]

لقـد تضخمت الصـورة على حساب الواقع، بـل يمكننا الحديث عن إنـكار للواقع في مقابـل الصـورة التي ولدت عنه، لتعيشـ بمعزل عنه فيما بعد بلغـة بودريار.[10] يساعدنا ذلـك في فهم «باب الشمس» كحدث جـرى تضخيمه إعلاميّاً، ليصبح كنموذج معركة نشطاؤهـا أبطال، وساعدت وسائل التواصل الاجتماعي التـي تتيح للمشاركين في هذا الحدث/الصورة أن يرفعوا صورهم باستمرار ليراها الآخرون في بناء هذا النموذج الذي لا يتحدث عن مدى اشتباكه مع الواقع والتغيير، بقدر ما يشير إليه من بعيد، وأحياناً يخفيه ليحل هو محله.

9 طوني صغبيني. «من المناضلين إلى الموظّفين: ظاهرة النشاط المحترف»، موقع نينار (7/9/2013):
http://saghbini.wordpress.com/2013/09/07/professional–activism/

10 انظر/ي: جان، بودريار. المصطنـع والاصطنـاع. ترجمة: جوزيـف عبدالله، بيروت: المنظمـة العربية للترجمة، ط1، 2008.

أفق إستراتيجية تحرك سلمي داخل بنية النظام الاستعماري الاستيطاني

حاولــت هذه الورقة أن تحكي قصة الحــراك الشبابي مستخلصة أسباب تعثره من داخله ومن خارجه أيضاً، ولكنها أجلــت السؤال الرئيسي لانتمائه لمساحة مختلفة عما سبق، وهــو هل أن بنية العمل السلمــي تحمل داخلها بذور فنائها في ظــل استعمار كولونيالي استيطاني؟

لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال دون استنفاذ المحاولات لذاتها، واستخلاص دروسها مــن نفسها، إلا أنه من المهم التنبه إلــى أن بنية النظام الاستعماري المهيمنة على جغرافيا فلسطين التاريخية، قد صممت نفسها بشكل عنيف على ضبط السكان داخلها. أدى هذا الضبــط، مع تواطؤ الوسيط المحلي، إلى تأزيم المقاومة المسلحة، إن لم يكن تفكيكها. لقــد جمعت الشعوب في تجارب تحررها بين أنماط مختلفة من النضال. هذا صحيح، ولكــن الاستنتاج بأن المقاومــة السلمية هي الخيار المتاح بعــد تأزيم/تفكيك المقاومة المسلحة هي مسألة لا تنتمي لذاك التنوّع الخلاق بقدر ما تنتمي لانعدام الخيارات الذي جاء نتيجة إخضاع مارسها المستعمِر على السكان المستعمَرين.[11]

ضمــن هذا السيــاق، يمكن اعتبار أن الحراكات الشبابية فــي الضفة والقطاع، تعبيرٍ عن أزمة من البداية وليس عن عافية، وهو ما يجعل تحميلها الآمال الكبيرة تحميلاً مبالغاً فيه، يقيسها بما حولها دون فهم خصوصية السياق الذي تعمل ضمنه/ضده.

11 انظر/ي للاستزادة حول هذا الموضوع، محاضرة: خالد عودة الله، «في عنف اللاعنف». 27/1/2013:
http://www.youtube.com/watch?v=XkB2a1pZjyE

الحراك الشباب الفلسطيني في قطاع غزة: ثورة لم تنضج بعد

الحراك الشباب الفلسطيني في قطاع غزة: ثورة لم تنضج بعد

إبراهيم عبد الله الشطلي[1]×

تهيئة

عند الحديث عن الشباب الفلسطيني، لا بد من النظر لخصوصية السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي للمجتمع الفلسطيني الحاضن لهذا الشباب. فقد أظهرت نتائج التقرير السنوي عن الشباب تحت عنوان «المستقبل يقرع الباب» الصادر عن منتدى شارك الشبابي العام 2013، ارتفاع معدلات البطالة والفقر بين الشباب، وتعرض العمال منهم للاستغلال والعنصرية في سوق العمل الإسرائيلية، ولغياب العدالة في الأجور وتفشي المحسوبية في سوق العمل الفلسطينية، وانتشار واسع للاقتراض والديون بينهم. كما بيّن التقرير أن وجود غالبية تفضل تأسيس مشاريع خاصة بها. كما بينت نتائج التقرير الطاقات المهدورة في فتوة المجتمع الفلسطيني، وما تشكله صحة الشباب كأحد أركان التنمية البشرية، مؤكدة على وجود مؤشرات صحية غير مطمئنة، وعلاقات أسرية واجتماعية قائمة على مفهوم الوصاية الأبوية، وانخفاض عضوية الشباب في الفصائل السياسية والمنظمات الأهلية، وخيبة أمل بين صفوف الشباب من أدائها، وأصبحت شرعيات الفصائل والمنظمات الأهلية والسلطة موضع تساؤل، وأصبح الشباب يرون أن الدولة باتت بعيدة المنال. وتشير نتائج التقرير إلى تأييد شبابي كاسح للمقاومة كإستراتيجية فلسطينية. والخلاصة أن بوصلة الحراك الشبابي ما زالت بوصلة مشوشة، وتجربتها جنينية.

وفي هذا السياق العام، لا بد من النظر إلى وضع عوامل ومحاور كمحددات لورقة بحثية

1× ناشط شبابي مواليد مدينة غزة، يتنشط في العديد من المؤسسات الأهلية الفلسطينية في قطاع غزة، له العديد من أوراق العمل والأحاث ح،ل موضوعات العمل الشبابي الفلسطيني.

عن الحراك الشبابي السائد في الحال الفلسطيني، وفي قطاع غزة تحديداً، يكون سؤالها المحـوري؛ «لماذا لم تنجح محاولات توليد «ربيع فلسطيني» يقوده الشباب على غرار ما حدث في مصر وأماكن أخرى؟»، علماً أن القارئ يدرك تماماً أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية تزيد من فرص قيام الشباب بثورة تحول في تاريخ القضية الفلسطينية، وتعيد الاعتبار لها بعدما فشلت التجارب السابقة، إن صح لنا الحكم عليها بالفشل.

الشباب وسوق العمل

أشـارت نتائـج التقرير المذكور أعلاه إلـى وجود معدلات عالية مـن البطالة والفقر بين الشبـاب الفلسطيني، إذ أن أكثر من ثلث الشباب الفلسطينـي يعانون من البطالة، ونسبة البطالـة ترتفع بين الشباب الأعلى تعليمـاً، إذ أن حوالي نصف الخريجين (دبلوم فأعلى) عاطلـون عن العمل. كما أن حوالي 40% مـن أفراد المجتمع يعانون من الفقر أو الفقر المدقـع، وحوالي ربع الشباب الفلسطينـي من الفقراء، مع فارق كبير بين معدلات الفقر التي ترتفع في قطاع غزة بشكل كبير.

وأشـارت النتائج إلـى تعرض العمـال الشباب للاستغـلال والعنصرية فـي سوق العمل الإسرائيليـة، ولغياب عدالـة الأجور وحضور المحسوبية في سـوق العمل الفلسطينية، إضافة إلى خضوع نسبة عالية من الشباب العاملين في السوق الفلسطينية إلى عدم تطابق ظـروف عملهم مع شـروط السلامة المهنية، وانعدام العدالة فـي الأجور وتدني قدرتها على سـد الاحتياجات الأساسية (60% من الشباب غيـر راضين عن مستوى دخلهم)، كما لاحظ التقرير التمييز في التوظيف وانتشار الواسطة والمحسوبية أيضاً.

وبالمقارنـة مـع نتائج مسـح القوى العاملـة ضمن تقرير أحـوال السـكان الفلسطينيين المقيميـن في فلسطين 2013، الصادر عن الجهـاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، فقد أشارت نتائج المسح إلى أن نسبة المشاركة في القوى العاملة في فلسطين بلغت 43.4% مـن إجمالي القوة البشرية (الأفراد الذين أعمارهم 15 سنة فأكثر) خلال الربع الأول من العـام 2013 (أي مـن بين كل 10 أفراد أعمارهم 15 سنة فأكثر هنالك 4 أفراد مشاركين فـي القوى العاملـة)؛ بواقع 45.0% فـي الضفة الغربية مقابـل 40.5% في قطاع غزة. وهـو ما يعني ارتفاع نسبة البطالة، ومحدودية فرص العمل المتاحة للشباب الفلسطيني، ما يعرضهم للاستغلال والخضوع للتعايش مع الظروف التشغيلية المعتمدة على مزاجية المشغـل في أحيان كثيرة، ما يحد من قدرته على الإبداع، واعتماده على سياسة التكيف مـع الظروف المعيشية خوفاً من المستقبل المجهول، وبذلـك يصبح يوماً بعد يوم أكثر تكيفاً سلبياً مع ذلك الواقع.

كما لاحظ تقرير «المستقبل يقرع الباب» انتشاراً كبيراً جداً لظاهرة الاقتراض بين الشباب، وشكلت البنوك المصدر الرئيس للإقراض، كوسيلة للتغلب على أزمات الشباب المالية أو لتوفير احتياجات رئيسية أو كمالية، حيث بينت النتائج أن 95% من المستطلعة آراؤهم مقترضون حالياً من جهات متعددة أهمها البنوك ومؤسسات الإقراض التي مثلت –أي البنوك ومؤسسات الإقراض– مصدراً لقروض 46% من الشباب.

ويشير تقرير «الإحصاء» السابق إلى أن نسبة العاطلين عن العمل من بين المشاركين في القوى العاملة في الربع الأول 2013، بلغت 23.9% في فلسطين؛ أي أكثر من خمس المشاركين في القوى العاملة، بواقع 20.3% في الضفة الغربية، و31.0% في قطاع غزة. كما تصل نسبة البطالة بين الإناث المشاركات في القوى العاملة إلى 35.3% مقابل 21.2% بين الذكور في فلسطين.

ويلفت التقرير ذاته إلى أن نسبة البطالة في محافظات قطاع غزة أعلى منها في محافظات الضفة الغربية خلال الربع الأول من العام 2013، فقد احتلت محافظتا خان يونس ورفح النسبة الأعلى للبطالة، حيث بلغت النسبة 33.9% لكل منهما، تليهما محافظة شمال غزة 32.3%، بينما أدنى نسبة للبطالة في قطاع غزة كانت في محافظة غزة، حيث بلغت النسبة فيها 27.4%.

في حين أشار تقرير «المستقبل يقرع الباب» إلى أن غالبية الشباب يفضلون تأسيس مشاريع خاصة بهم إذا توفر لديهم رأس المال اللازم لذلك. وبلغت نسبة الذين فكروا بتأسيس مشاريع خاصة 62%، إلا أن 17% فقط، استطاعوا تحقيق المشروع الذي فكروا به.

وهنا لن أجد كلمات أفضل للتعقيب على كل تلك المؤشرات من الخلاصة التي قدمها تقرير «واقع المستقبل يقرع الباب»، إذ يقول «ما زالت تشير جميع البيانات إلى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة في المجتمع الفلسطيني بشكل عام، ولدى الشباب بشكل خاص، إذ أن أكثر من ثلث الشباب الفلسطيني يعانون من البطالة، ونسبة البطالة ترتفع بين الشباب الأعلى تعليماً، إذ أن حوالي نصف الخريجين (دبلوم فأعلى) عاطلون عن العمل. كما أن حوالي 40% من أفراد المجتمع الفلسطيني يعانون من الفقر أو الفقر المدقع، وحوالي ربع الشباب الفلسطيني من الفقراء، مع فارق كبير بين معدلات الفقر التي ترتفع في قطاع غزة بشكل كبير».

وهنا لا يمكن الاكتفاء بالنظر إلى ما تعكسه البيانات الكمية دون الالتفات إلى دلالاتها وأبعادها المختلفة، فالفقر يحمل في طياته كل معاني استلاب الحرية والفرص، ما يعني

كبح القدرات والطاقات الكامنة لدى الشباب لتحقيق ذواتهم، والمساهمة الفاعلة في مجتمعاتهم، وإلى جانب كبح القدرات الإيجابية لدى الشباب، تقود حالة الإحباط واليأس والإحساس باللاجدوى وانتقاص الكرامة الإنسانية والفاعلية التي يولدها الفقر والبطالة إلى مشاكل اجتماعية وسياسية، ليس أخطرها دفع الشباب إلى الهجرة بحثاً عن لقمة العيش وتحقيق الذات. فهناك العديد من الشواهد والتجارب الدالة على ارتباط الفقر والبطالة بارتفاع معدلات العنف المجتمعي، والجريمة، وتعاطي المخدرات.

حول واقع الشباب الفلسطيني ومشاركتهم السياسية في قطاع غزة

كما أكدت نتائج التقرير الطاقات المهدورة في فتوة المجتمع الفلسطيني؛ إذ بلغت نسبة الشباب ما بين (15–29) سنة 29.8% من إجمالي السكان في الأراضي الفلسطينية، وبذلك فالشباب يوفرون الفرصة لتنمية مجتمعاتهم والنهوض بها عندما تتوفر السياقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية والتربوية والتعليمية الكفيلة باحتضان قدراتهم المختلفة من قبل المجتمع والشباب لتحقيق الأهداف الوطنية والمجتمعية العامة. فعلى المجتمع أن يوفر هذه الحاضنة، والشباب هم من يجب أن يساهم في بنائها، واستثمارها في الوقت نفسه، فالعلاقة هنا تكاملية بين الشباب والمجتمع، وليست مبنية على أن ينتظر الآخر مساهمة الأول، فبمساهمة كل طرف تتسع فرصة كليهما بالتطور، وإحداث التغيير.

وتشكل صحة الشباب ركناً أساسياً من أركان التنمية البشرية، إذ تبين النتائج مؤشرات صحية غير مطمئنة حول الشباب، حيث التزايد في أمراض السكري والضغط والقلب والسرطان والأمراض النفسية والعادات والممارسات غير الصحية، إذ بلغت نسبة المدخنين بين الشباب (18–29 سنة) حوالي 15% (ترتفع النسبة بين الذكور لتصل إلى 28%)، وارتفاع في معدلات تعاطي المخدرات، وبخاصة في القدس وقطاع غزة. فقد اعتبر شباب قطاع غزة أن انتشار بعض المواد المخدرة (مثل الترامدول) تزايد بشكل كارثي بعد الحصار المفروض على القطاع، وأصبح يطال شرائح متعددة من المجتمع كالأطفال والفتيات في المدارس الإعدادية والثانوية، والجامعات.

في حين ما زالت قضية الإعاقة رهناً بنماذج لمؤسسات أهلية خيرية وطبية لم ترتقِ لطرح القضية ومعالجتها من منظور حقوقي، وتركز عملها في إطار تقديم خدمات طبية لذوي الإعاقة، دون تحسين فرص دمجهم في المجتمع واستثمار طاقاتهم بشكل إيجابي لتنمية المجتمع.

وما زالت العلاقات الأسرية والاجتماعية قائمة على مفهوم الوصاية الأبوية التي تمارس

باسم العمر والجنس والطبقة الاجتماعية وباسم العائلية وتحت مسميات التراتبية المؤسسية والحزبية. فعلى سبيل المثال؛ الذي يقرر في تحديد طبيعة التخصص الجامعي الذي سيدرسه الطلاب هم غالباً الآباء، ولا يراعون في ذلك اهتمامات الشباب أنفسهم، والذي يقود جميع التنظيمات والأحزاب السياسية هم الكبار في السن، ولا نجد قيادة شابة تمثل هذا الحجم الكبير من وقود هذه الأحزاب –إن صح التعبير– ألا وهم الشباب.

الشباب والمشاركة السياسية

أشارت نتائج التقرير إلى انخفاض عضوية الشباب في الفصائل السياسية والمنظمات الأهلية، فقد عبّر 73% من غالبية الشباب عن عدم انتمائهم لأيٍّ من الفصائل السياسية، وعن خيبة أملهم وفقدان ثقتهم بهذه الفصائل، وبخاصة لعدم قدرتها على إنهاء حالة الانقسام، وانشغال كل منها في مصالحها الضيقة، وعدم إيلاء المجتمع، وبخاصة الشباب، أولوية في برامجها.

واعتبر الشباب، وبخاصة في القدس، أن انخراطهم في غالبية النشاطات السياسية والمجتمعية يرجع لرغبتهم في مقاومة الاحتلال بغض النظر عن درجة ثقتهم بالمؤسسات التي يعملون من خلالها.

وبالعودة إلى أن 73% من الشباب عبرت عن عدم انتمائها لأيٍّ من الفصائل السياسية، فنفس النتيجة تعني أن 27% من الشباب تنتمي لتنظيمات سياسية، وهذه أيضاً نسبة ليست صغيرة، ولكن في نقاشي في إحدى جلسات النقاش التي نفذتها بمدينة غزة خلال شهر حزيران 2013، مع إحدى المجموعات البؤرية، فقد فسرها أحد هؤلاء الشباب، بأنهم يرغبون في أن يحدثوا تغييراً ما في أحزابهم السياسية التي ينتمون إليها، وهذا هو السبب الذي دعاهم للتمسك بانتمائهم لحد الآن بها، وحرصاً منهم على تاريخ أحزابهم النضالية، فهم نشأوا في كنفها، ويؤمنون في الوقت ذاته بأن الأحزاب السياسية الفلسطينية هي إحدى أدوات التحرر الوطني، وعلى حد تعبيره فهم يناضلون نضالاً مضاعفاً داخل أحزابهم وداخل مجتمعهم.

وهذا ما أكده استطلاع رأي قام به مركز العالم العربي للبحوث والتنمية «أوراد»، نشر في 17 أب/أغسطس 2013. وبين الاستطلاع وجود تراجع كبير في الاهتمام بالنشاط السياسي بين الشباب في غزة بمقدار (20 نقطة) وفي الضفة بمقدار (13 نقطة)، حيث أشار إلى تراجع كبير في النشاط السياسي للشباب (18–30 سنة) في الضفة وغزة بشكل عام. ففي الضفة الغربية، تشير النتائج إلى تراجع بمقدار (13 نقطة)، فمن 35% في استطلاع كانون الثاني/يناير للعام 2013، إلى 22% في الاستطلاع الحالي

(آب 2013). أمـا في قطاع غزة، فـان النتائج تشير إلى تراجع كبير بمقدار (20 نقطة) مـن 47% في كانون الثاني 2013 إلى 27% في الاستطلاع الحالي. ونقصد هنا بتعبير «الاهتمـام بالنشاط السياسي»، متابعة الشباب لقضايـا الرأي العام، والاهتمام من قبلهم بالشؤون السياسية العامة التي تخص البلد، ومدى اهتمامهم بالتعبير عن وجهات نظرهم فـي القضايا العامة، وليس فقـط التعبير، وإنما التحرك لتبني موقف مـا، لإحداث أثر أو تغيير ما في تلك القضايا موضوع الاهتمام.

وقد أشار استطلاع الرأي ذاته إلى تراجع في نشاط الشباب في الأحزاب السياسية كأحد أشـكال المشاركة السياسية، وبخاصة في غزة، حيـث أظهرت النتائج تراجعاً في نشاط الشباب في الأحزاب السياسية، وبخاصة في قطاع غزة أكثر منه في الضفة، حيث تراجع التصريـح بالنشاط في الأحـزاب بين شباب غزة بمقدار (11 نقطة) من 32% في كانون الثانـي 2012 إلـى 21% في آب/ أغسطـس 2013. وفيما يتعلق بالضفـة الغربية، فإن النسبـة بقيـت ثابتة عند (19%) ممـن يصرحون بأنهم ناشطون (بدرجـات متباينة) في الأحـزاب السياسيـة، ما يدلل على حالـة المخاض التي يعيشها الشبـاب الفلسطيني في قطـاع غـزة الذي يسعى إلـى التمرد، وكسر الهالـة النضالية التـي تستخدمها الأحزاب السياسيـة للتأثير والهيمنة على الرأي العـام الفلسطيني، ونلمس في ذلك التباين الواضح بيـن نشاط الشباب الفلسطيني في الضفة عنه في غـزة، حالة الضيق والاحتكاك المباشر مـع حكـم حركتين شكلتا حالة نضاليـة تعتمد على الكفاح المسلـح والمقاومة كشعار للتحـرر، ومن ثم منذ توليهما الحكم وقيـادة السلطة، تغيرت المفاهيم وأصبحت تأخذ أشكالاً أخرى للنضال وفقاً لمصالح تلك الحركتين الذاتية، وليس وفقا للشأن العام، كما أن حالـة التضييق وقمع الحريات لدواع ومبررات أمنية التي تستخدمها حكومة حماس في غزة، تجعل من يمارس العمل الحزبيً عرضة للكثير من التدخلات والمضايقات، قد تصل للتخوين، والاتهام المباشر بالعمل لصالح أجندات خارجية، كما حدث مع ناشطي حركة 15 آذار لإنهاء الانقسام، وأعضاء حركة فتح، كما أن حالة الانقسام السياسي أيضاً أوجدت مناخاً خصباً لحالة الابتعاد وهجرة الأحزاب.

كل ذلـك يعطي مؤشرات يمكـن فهمها وتفسيرها بأنها مقدمة إلـى أن الحراك الشبابي الفلسطينـي، توجهه بوصلـة مشوشة، ويعيشـ تجربة جنينية، ومـا زال بحاجة لبوصلة واضحة الأهداف، والأولويات، وإستراتيجيات العمل.

وبالنظـر إلى خصوصيـة الشباب الفلسطيني فـي قطاع غزة، التي تظهر فـي سياق المقدمة والمؤشرات سابقة الذكر، وتحد من قدرته على التفاعل والبناء والمساهمة في عملية التحرر، فإنها تتمظهر في مجتمع فتي ظروفه الاقتصادية شديدة الصعوبة، مرهونة باقتصاد يئن تحت

وطأة ممارسات الاحتلال وإجراءاته، مبني بالكامل على المعونات الخارجية، والمؤقتة غير طويلة الأمد، كما أنها مرهونة باقتصاد الأنفاق الوهمي، الذي سيساهم على المدى البعيد في تدمير البنية الاقتصادية للمجتمع الفلسطيني في قطاع غزة. مجتمع فتي تشوبه العديد من التشوهات الاجتماعية، نتيجة الضيق وفقدان الأمل، والشعور بالعجز، لعدم القدرة على التفاعل مع الواقع المعاش وتقبّله، هذا إضافة إلى حجم البطالة العالي، والرغبة الجامحة لدى الشباب في الهروب من الظروف المعيشية في قطاع غزة، عبر الهجرة لمن يتمكن من ذلك. والملفت للنظر أن الأمر بدأ لا يقتصر على الشباب العاطل عن العمل أو الذي لا يمتلك فرصاً جيدة لحياة كريمة في قطاع غزة، وإنما طال الطبقة المثقفة التي تمتلك فرصاً تؤهلها لعيش حياة كريمة، ولها مصادر دخل جيدة، وتمتلك من المكانة الاجتماعية ما يحفظ لها احترامها، وذلك نتيجة لضيق الحريات، والتعدي على خصوصية الناس، وشعورها بالقلق على مستقبلها ومستقبل أبنائها، بسبب تدهور الخدمات الصحية نتيجة الحصار، وافتقار الجهات الرسمية للقدرة على سد الاحتياج العالي، ونتيجة غلاء المعيشة أيضاً.

يرى الشباب البالغ عددهم 20 شاباً؛ بينهم طلاب، وعاملون في مؤسسات أهلية وحكومية، وبعضهم عاطل عن العمل الذين قابلتهم بهدف إغناء الورقة والاستماع لآرائهم، أن ثمة سياقاً لا بد من ذكره عند التعرض للحديث عن تجاربهم وخبراتهم الميدانية وانخراطهم في النضال لمصلحة المجتمع وقضاياه.

عند الشباب الفلسطيني في غزة الكثير مما يقولونه للتعبير عن آرائهم ومواقفهم ورفضهم لمشاريع طمس هويتهم على اختلافها؛ كونهم شباناً، أو عمالاً، أو طلاباً، أو حتى عاطلين/ات عن العمل. هذا التنوع في الهوية الفلسطينية الشابة يعبر عن غنى، لكنه غير منظم، وقد تجلى ذلك في الانتفاضة الأولى العام 1987، إذ أثبت الشباب مقدرة كبيرة على مقارعة المحتل، بدليل خضوع دولة الاحتلال لطلب المفاوضات اعتقاداً منها أنها ستخمد هذا البركان الثائر، وبدليل انسحابها من غزة أحادي الجانب العام 2005 أيضاً، على الرغم من عدد الذين استشهدوا أو أسروا. وكان الهدف دوماً فلسطين، والرفض لمحاولات الهيمنة وتغييب القرار الوطني الفلسطيني، وإثبات أن الشباب الفلسطيني حاضر وفاعل ومؤثر في الحياة العامة الفلسطينية.

ونتيجة لفشل الحل السلمي، وتعنت دولة الاحتلال، ومضيها في الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، واستمرار بناء المستوطنات، وتهويد المقدسات، انتفض الشباب الفلسطيني مرة أخرى في العام 2000، فيما عرف لاحقاً بالانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)، وقد كانت سلمية، إلا أن الاحتلال واجه هذا الاحتجاج بمزيد من القمع والقتل والتدمير وسقوط المئات من الشهداء وأعداد كبيرة من الجرحى، الأمر الذي دفع إلى تسليحها.

مجموعات شبابية تتشكل حول قضايا محددة

نظم الفلسطينيون أنفسهم في انتخابات تشريعية ورئاسية ديمقراطية في العامين 2005 و2006، شهدت مشاركة عالية من الشباب دللت على رغبتهم في التغيير والمشاركة. وكان من نتائج الانتخابات وفوز «حماس» في الانتخابات التشريعية مقاطعة الولايات المتحدة وأوروبا ودول أخرى، حكومة «حماس» لعدم اعترافها بدولة «إسرائيل»، ورفضها شروط اللجنة الرباعية لـ «عملية السلام». هذا كله وضع الحكومة العاشرة التي كانت تقودها «حماس» في عزلة دولية، ما عطّل الحياة الديمقراطية، وأشعر المجتمع الفلسطيني أنه رهن التحكم الدولي الخارجي، وأن الديمقراطية الانتخابية تجزأ حسب مصالح الدول العظمى، وليست سبيلاً للحرية، وساهم كل ذلك في تضييق الخناق على موارد السلطة المعتمدة أصلاً على المعونات الخارجية، وأصبح الاستقطاب السياسي لمحاور الدول المجاورة والعظمى هو سيد الموقف، وأصبحت الساحة الفلسطينية مجالا للاستقواء والتجاذب السياسي بين محور أمريكا وحلفائها، ومحور إيران وحلفائها، وأصبحت القضية الفلسطينية رهناً للصراع الأيديولوجي بين القوى المتنازعة بعيداً عن المصالح الفلسطينية، الأمر الذي جاء انعكاساً لسياسة وسلوك التنظيمات السياسية الفلسطينية، وبخاصة أكبر فصيلين في الساحة الفلسطينية («فتح» و «حماس»)، وأصبح المجتمع الفلسطيني رهناً لاحتياجاته المعيشية؛ بمعنى الحاجة للقمة العيش كما تقال بالعامية، فلكي يحصل المواطن الفلسطيني على الأمن والحماية ولقمة العيش، يجب عليه أن يكون مرتبطاً بأحد تلك التنظيمات السياسية، وأصبحت تلك التنظيمات تستخدم وتشيع ثقافة الكوبونة بين عناصرها، وتستخدمها كأداة للاستقطاب الحزبي، مستغلة ضيق الحال الاقتصادي وفقدان فرص العمل، وحاجة الناس للوظيفة، والمعيشة الكريمة. ومع انعدام الخيارات أمام عامة الناس وارتفاع معدلات الفقر، أصبحت حالة الاستقواء والبحث عن جماعات مسلحة غايةً لمن يفتقر للعائلة الممتدة لطلب الحماية، وأصبح من السهل أن تميز العائلات والأفراد في أحيان أخرى من خلال نبرة حديثهم ومنطلقه، وحتى من شكلهم الخارجي، من حيث الملبس، وتفاصيل اللحية، وطريقة تصفيف الشعر، لتدرك إلى أي حزب ينتمون، ما جعل من المشاحنات السياسية عنواناً لمرحلة يقودها الشباب، ويكون وقودها أيضاً الشباب المنتمي والمتعصب حزبياً.

تتابعت الأحداث، ونشطت مجموعة من الشباب الفلسطيني الرافض لكل فصول الاستقواء بالقوى الخارجية واستخدام السلاح والعنف كوسيلة لفض أو حسم الاختلاف بين الطرفين، وكان أولها –حسب معاصرتي لها بمدينة غزة– في أوائل نيسان 2006؛ أي بعد بدء المشاحنات السياسية بين الخصمين المتناحرين على السلطة «فتح وحماس»، ورفض الأولى نتائج الانتخابات، وعدم قدرة الثانية على إدارة الموقف

نظـراً لنقص الخبـرة في الحكم، تحت عناوين ومبادرات مختلفـة، كان أهمها ما سمي حينها بـ «الحملة الشبابية لدعم الوفاق الوطني: فلسطين أكبر منا جميعاً»، التي تشكلت مـن مجموعة من الشباب والشابات (18–35 سنة) الناشطين/ات مجتمعياً في عدد من المؤسسـات الشبابية العاملة في قطاع غـزة، كمنتدى شارك الشبابي، وبرنامج دراسات التنميـة – جامعة بيرزيت، وكان التواصـل حينها عبر لقاءات مباشرة وعبر المجموعات البريدية الإلكترونيـة، والفيسبوك. كان أغلب الشباب من المصنفين –إذا صح التعبير– مـن الفئة المتعلمة والواعيـة فكرياً، وبعضهم مـن الناشطين ثقافياً واجتماعيـاً. أغلبهم كان مـن الرافضين للعنـف ويؤمنون بالسلم الأهلـي، والتعددية، وبضـرورة تقبل نتائج الانتخابـات بغض النظر عن الفائـز فيها، طالما أنها تعبر عـن رأي الناس وعن إرادتهم، وينتشرون جغرافياً من رفح إلى بيت حانون في القطاع.

عملـت هذه المجموعـة– الحملة الشبابيـة لدعم الوفـاق الوطني– انطلاقـاً من وثيقة الأسـرى للوفاق الوطني، ونظمت العديـد من الأنشطة والفعاليـات كالاعتصام اليومي بمشاركـة العشرات من المؤمنين بالقضية الفلسطينية الـذي قادته المجموعة أمام مركز رشـاد الشـوّا بمدينة غزة، أثناء اجتمـاع الأطر والأحزاب السياسيـة لمناقشة آليات نقل الحكـم والسلطة من حركة «فتح» لحركة «حماس»، وضمان النقل السلمي لها، وأيضا أثنـاء اجتماعاتهم للحد من التوتـر الناجم عن العديد من المشاحنـات بين أجهزة الأمن المحكومـة من «فتح»، والقوة التنفيذية التي شكلتهـا «حماس» حينها، وأثناء الاعتصام الـذي نظمته المجموعة في ساحة الجندي المجهـول رفضاً للاعتداءات المتكررة على الأفراد وانتشار ظاهـرة الملثمين في الشوارع، والاختطاف المتبادل بين عناصر «فتح» و«حماس»، رافعة شعار «فلسطين أكبر منا جميعاً».

ويعتبـر ما نشرتـه صحيفة الدستـور الأردنية دليـلاً على نشاط المجموعـة، حيث ورد فيـه اقتباس من أحـد بيانات المجموعة الرافضـ للاقتتال الداخلي، وداعيـاً لحرمة الدم الفلسطينـي، وذلك في تعقيـب للحملة الشبابية علـى حادث إطلاق النـار بالخطأ أثناء اشتبـاكات مسلحة بين طرفي الانقسام على سيارة السفير الأردني بفلسطين حينها، راح ضحيتها سائقه الشخصي خالد الردايدة.

ونشطـت فـي ذلك الوقـت (كانون الأول العـام 2006)، مجموعة أخـرى تحت اسم «حمايـة»، قادتهـا مجموعة من الناشطـات النسويات (ما بين سـن 20–35 عاماً) من طاقـم شئون المرأة، ومركز شؤون المرأة، وائتـلاف النزاهة والشفافية –أمان، والمركز الفلسطينـي للديمقراطيـة وحل النزاعات (قـاد المبادرة حوالي خمسـة عشر شخصا)، كناشطيـن/ات وليسوا كعامليـن/ات، إضافة إلى العديد مـن الناشطين/ات الشباب غير

العاملين في مؤسسات مجتمعية، وغير ناشطين/ات بشكل فاعل في أيٍّ من التنظيمات السياسية، وإن حاولت بعض التنظيمات الالتفاف على المجموعة، واحتساب أنشطتها لصالحها ضد التنظيمات السياسية الأخرى. تركزت أنشطة «حماية» في مدينة غزة، كونها انطلقت على أثر اغتيال الأطفال الثلاثة من أبناء العقيد بهاء بعلوشة (سلام «ستة أعوام»، أحمد «سبعة أعوام»، أسامة «تسعة أعوام» مع سائقهم محمود الهبيل «25 عاماً») على يد مجموعة من المسلحين الملثمين بطريقة بشعة أثناء توجههم إلى مدارسهم، واتهمت حينها حركة «حماس» بمسؤوليتها عن عملية الاغتيال، لكنها نفت ذلك. الحادثة شكلت علامة فارقة في مستوى الفلتان الأمني الذي وصلت إليه مدينة غزة. وكانت مجموعة «حماية» تدعو لنبذ العنف، وضرورة وقف الاقتتال، وتحريم الاحتكام للسلاح في حل النزاعات. تلك الحادثة هزت أركان المجتمع، وحفزت الشباب على الانطلاق وتحمل المسؤولية لأنها شكلت انعطافاً صعباً في مستوى الاحتقان. وعملت المجموعة على نشر بيانات وشكلت مجموعات ضغط من الشخصيات الاعتبارية والمجتمعية للتأثير على طرفي النزاع لوقف استخدام العنف، وطالبت بالكشف عن مرتكبي الجريمة، وتقديمهم للمحاكمة، وإعمال القانون الفلسطيني والاحتكام له، بدلاً من الاحتكام للسلاح.

تفجّر الاحتقان في أحداث حزيران 2007، واشتعل الاقتتال الداخلي بين «حماس» من جهة، و«فتح» والسلطة من جهة أخرى. وهي أحداث استخدم فيها الشباب مرة أخرى؛ سواء بإرادتهم أو رغماً عنهم، في خضم مرحلة انعطاف تاريَخية في حياة الشباب الفلسطيني مع انفجار الاقتتال الداخلي. لم يكن الشباب مجرد مشاركين سلبيين في الصراع، فقد خرجت حينها مسيرة شعبية سلمية شارك فيها مجموعات من الشباب ضد ظاهرة الفلتان الأمني، وراح ضحيتها ثلاثة ناشطين شباب هم: الشهداء تغريد العيلة ناشطة في مركز النشاط النسائي بالدرج، شادي العجلة المتطوع بمنتدى شارك الشبابي بمدينة غزة، محمد عدس طفل بعمر السادسة عشرة من حي الشجاعية شرق مدينة غزة، التحق بالمسيرة منذ بدايتها.

ومع انتهاء الأحداث وسيطرة حركة «حماس» على زمام الأمور في القطاع، بدأت مرحلة جديدة ذات ملامح متميزة شكلت انعطافاً حاداً في تهميش الشباب، وإقصائهم عن المشاركة على أساس الانتماء السياسي. وبدأت مرحلة ممارسة القمع من قبل حكومة غزة وحكومة رام الله تجاه مؤيدي الطرف الآخر. وبدأت مرحلة الاعتقالات على خلفية الانتماء السياسي، والتشهير، والتخوين. كما شكلت كل من الحكومتين استنزافاً للموارد المالية التي هي، في جزء مهم منها، عبارة عن معونات ومنح خارجية، وفي معظمها مقابل مواقف سياسية، وتكرس الانقسام السياسي الفلسطيني الذي وطّد

الانقسام الجغرافي الذي فرضته دولة الاحتلال طوال سنوات الاحتلال السابقة، وتمثلت آخر خطواته بتنفيذ خطة الانسحاب الأحادي الجانب على يد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرئيل شارون، وسوّق وكأنه انتصار وطني، تنافست عليه الأحزاب السياسية، وسوّقه كل فصيل بعيداً عن رؤية وطنية مشتركة. في هذا السياق، كانت منظمة التحرير تختزل ويتم إقصاؤها تارة، وتقديمها واستخدام اسمها تارة أخرى حسب المصلحة الفئوية لكل فصيل، لا المصلحة الوطنية، ما شكل حالة من الإحباط والاستياء العام دفعت الكثير من الشباب للبحث عن فرص حياة ونجاة خارج الوطن، عبر الهجرة واللجوء لعدد من الدول الأجنبية، الأمر الذي ترجم لاحقاً على أنه صدمة اغتراب ذاتي أصابت الشباب، بين أن تحيا في وطن غريب، وبين أن تموت في وطنك.

استمرت محاولات مجموعات من الشباب، كان أبرزها حركة «اصحى» الشبابية، التي نشرت عريضة دفاعاً عن الحريات الشخصية والاجتماعية في قطاع غزة. وكانت هذه الحركة قد انطلقت رفضاً لمحاولات حكومة «حماس»، التي تسيطر على زمام الحكم في قطاع غزة، فرض قيود على الحريات العامة والخاصة، في محاولة منها لفرض ثقافة تسهل تثبيت حكمها، على حساب الحريات العامة، وتجاوزاً لكل الأعراف والقوانين المعمول بها فلسطينياً، التي تكفل حرية التعبير، والتعددية، وحرية التفكير وغيرها من الحقوق.

تشكلت «اصحى» من العديد من المدونين/ات والناشطين/ات في العديد من المؤسسات الشبابية الناشطة في محافظات غزة، وانضم إليها عدد من الأكاديميين/ات والناشطين/ات الحقوقيين/ات، وهو ما ميز تلك الحركة عن غيرها من المجموعات الشبابية. وضمت هذه الحركة في صفوفها فئات عمرية مختلفة (16–45 سنة) بقيادة من الشباب، كما شملت في تكوينها تجمعاً لعدد من المبادرات المجتمعية كانت ناشطة حينها، بهدف حشد وجمع طاقات المجموعات الشبابية، وبخاصة بعد محاولة وزارة الثقافة، بالتعاون مع وزارة الداخلية بغزة، احتواء المجموعات الشبابية – في سياق أنشطتها الهادفة لنشر الوعي عبر نشرات كانت تقوم بتوزيعها يدوياً، ومقالات كان الناشطون فيها يكتبونها وينشرونها عبر صفحاتهم الإلكترونية الاجتماعية، أو المدونات، أو المواقع والصحف المحلية، أو عبر جلسات نقاش الكتب التي كانت تنظيم شهرياً.

الحدث الأبرز لهذه الحركة بدأ التحضير له في أواخر العام 2009، وانطلق بتاريخ 25 كانون الثاني 2010، حيث نظمت الحركة وقفة احتجاجية في ميدان الجندي المجهول الرئيسي مقابل مقر المجلس التشريعي بمدينة غزة، في ذكرى انتهاء الفترة

القانونيــة لعضوية المجلــس التشريعي، وانتهاء ولايــة الرئيس القانونيــة، مطالبين بإنهاء الانقســام وإجراء انتخابات رئاسية وتشريعيــة، وذلك بمشاركة العشرات من الناشطين/ات. وتكمــن ميــزة هــذا الاحتجاج ليــس بالعدد أو بحجــم الحشد الذي شــارك فيه، بل لكونــه شكل علامة فارقة في التحــرك الجماهيري والميدانــي، وخروجه عن سياق الأنشطة العامة التي كانت تنفذ في تلك الفترة في أروقة قاعات المؤتمرات بالفنادق، أو المؤسسات الأهلية، وخروجه للميدان الحقيقي والمباشر مع الناس.

استمــرت محاولات الشباب الفلسطينــي الناشط وبعض مؤسســات المجتمع المدني، وعلــى رأسها شبكــة المنظمات الأهلية، والاتحاد العام للمراكــز الثقافية، وطاقم شؤون المــرأة، ومركز شؤون المرأة، والمركز الفلسطينــي للديمقراطية وحل النزاعات، وعدد من رجــال الأعمال، في حراكهــا لإنهاء الانقســام الفلسطيني، وإعــادة بوصلة النضال مرة أخرى نحو إنهــاء الاحتلال، وإقامة الدولة الفلسطينيــة المستقلة الديمقراطية، وفي الوقــت ذاته لم تكــن سياسيات الاحتلال بعيــدة عن تقويض واقع الشعــب الفلسطيني، وتكوينــه الأغلــب وهم الشباب، الذي عانــى كثيراً من الحصار الاقتصــادي والسياسي لقطــاع غزة، ومن الحواجز بين المــدن الفلسطينية في الضفة الغربيــة والقدس، والعزل الاجتماعــي والسياسي والثقافي عبر الجــدار بين المدن الفلسطينية فــي الضفة الغربية، والقدســ، وقطاع غزة، والمدن الفلسطينيــة في الأراضي المحتلة العام 1948، عدا عن الاجتياحات والاعتداءات المتكررة على المدن الحدودية في قطاع غزة.

لم يكن ما حدث في «ثورة الياسمين» في تونس، وثورة 25 يناير بمصر، اللتين قام بهما الشبــاب التونسي والمصري بعيدة عن مسامع الشبــاب الفلسطيني، وبخاصة في عصر يعتبر فيه العالم حارة صغيرة، وليس كما يقال قرية.

وهنــا استنسخ بعض الشباب الفلسطيني الناقم على الأحــزاب السياسية، الذي فقد الثقة بهــا، والجيل الجديد الــذي كبر ونضج في ظــل التناحر السياسي بيــن قطبي الانقسام، ورأى مــوارده وفرصــه تتقلص، وتنحسر، ومــن زاوية أخرى رأى فــي «الربيع العربي» والحــراك الشبابي فرصة لإنقاذ ما يمكن إنقــاذه، ورأى أن الثورة الشعبية السلمية سبيلاً للخلاص من المعيقات التي تواجه نموه وتطوره الطبيعي، ليكون إنساناً فاعلا قادراً على رسم مستقبله بيده.

وبدأ يرى أن الإيمــان بقضاياه هو الذي يعطي شرعية للدفاع عن قضايا الشعب المطلبية والتحرريــة، وبدأ كشباب فلسطيني يفكر في العقبات التي تحيده عن هدفه الأول؛ وهو إنهاء الاحتلال، فكان لا بد من أن يستعيد الشعب الفلسطيني وحدته ليستطيع العمل على إنهاء الانقسام.

الحالة العربية كانت غنية بالتفاعلات والتحولات الكبيرة في المنطقة، وهذا ألهم الشباب الفلسطيني للخروج إلى الشوارع كقوة اجتماعية كبيرة تعبر عن معارضتها لاستمرار حالة التفرق والضعف، واعتبار أن الانقسام لا يضر بالقضية الفلسطينية فحسب، وإنما يساعد علي تجزئة المجزأ، الذي يقوم به هذه المرة ليس الاحتلال، ولكن قوى سياسية فلسطينية. هذا الخطر كان دافعاً مهماً لعدد ليس بقليل من الشباب الفلسطيني المتضرر من حالة الانقسام، للدعوة، لبدء حراك شبابي شعبي يدعو إلي إنهاء الانقسام العام 2011. الذي تمثل لاحقاً فيما عرف بالحراك الشبابي، والذي كانت نواته حركة 15 آذار. وهو حراك بدأ مباشرة بعد ثورة 25 يناير بمصر، وتشكل من العديد من المجموعات التي كانت قد انتبهت لأهمية عملها المشترك، وتوحيد جهودها.

خرج الشباب الفلسطيني من محافظات غزة كافة نحو مركز المدينة في تاريخ 14 آذار 2011، بعد الانتهاء من مؤتمر صحافي من أمام مبنى برج الشوّا وحصري بشارع الوحدة بمدينة غزة، الذي يعتبر مركز مكاتب وكالات الأنباء والصحافيين. وانطلقوا بالعشرات في بادئ الأمر كخطوة مفاجئة لعناصر الأمن في اعتصامات سلمية في ساحة الجندي المجهول، وباتوا ليلتهم في ساحة الجندي المجهول في خيمة الاعتصام التي كان يستخدمها موظفو السلطة على تفريغات 2005 «الذين عرفوا لاحقاً باسم تفريغات 2005»، للاعتصام للمطالبة بحقوقهم يومها، وتبرعوا بخيمة الاعتصام لصالح الشباب المنتفض ضد الانقسام، في خطوة أولى تبنى فيها بعض قطاعات المجتمع فكرة الحراك. وفي صباح يوم 15 آذار 2011، وبعد أن استيقظ الشباب المعتصمون الذين قرروا المبيت بخيمة الاعتصام، تفاجأوا بأعداد كبيرة من عناصر الجهاز الجماهيري والإعلامي لحركة «حماس» من فئات عمرية صغيرة (16–18 سنة)، تلبس زياً خاصة بالجهاز الجماهيري للحركة وعليه شعارها، تحيط بالمكان، وتقوم بتركيب مسرح ضخم، وبجهاز صوت ضخم، في محاولة للسيطرة على مجريات الأمور، وتجيير الحدث لصالحها، عبر تقديم متحدثيها وقيادتها وكأنها هي من يرغب في إنهاء الانقسام، وأن الآخرين هم من يعطل، وتسيطر على منصة الإذاعة، وتبث ما يصب في مصلحتها. ولذلك، وبعد محاولات عديدة عبر الحوار مع القيادات الشبابية والسياسية لحركة «حماس» من قبل شباب 15 آذار لإقناعها وإقناع جهازها الجماهيري بضرورة إتاحة الفرصة للجميع بالتحدث بحرية، وأن هذه المنصة تشكل عائقاً كبيراً، وحاجزاً معيقاً لحرية التعبير، وضرباً لفكرة الحراك ضد الانقسام، فقرر شباب 15 آذار أن يغادروا ساحة الجندي المجهول، للتمركز في ساحة الكتيبة، ودعوة غير المنتمين للأحزاب والرافضين لهيمنة «حماس» على ساحة الجندي المجهول للالتحاق بهم. وهذا ما حدث، وفي ذروة التجمهر في منتصف النهار، حيث قدر حينها المشاركون والحضور بعشرات الآلاف، ولاحقاً وبعد أن تجمع

المعتصمـون في ساحة الكتيبة رفضاً منهم لمحاولات الاحتـواء والإقصاء من قبل حركة «حماس»، وحركة «فتـح»، وأحزاب اليسـار الفلسطيني، وحركة الجهـاد الإسلامي، فجميعهـا حاول أن يسيطر أو يحتـوي أو يهمّش هذه القوة الشبابية، ويسخرها لصالحه. ومع حلول الظلام، قمعت قوات «حماس» الأمنية التظاهرة والاعتصام الذي تجمع على أرض الكتيبة بمدينة غزة، من خلال الهجوم المباشر على مكان الاعتصام، وحرق الخيم المنصوبـة هنالك، وقطع الطرق علـى الإسعاف، والهجوم بالدراجـات النارية، ودعس المعتصميـن/ات، واعتقـال من يتعارض معهم، وبث الرعـب والخوف في نفوس الناس مـن الشباب ومن غيـر الشباب، بعد أن اطمأنت وتجمهرت مع حلـول الساعة السابعة، حيث بـدأ الهجوم حوالي الساعة التاسعة مساء، واستدعـت العديد من الشباب القائمين علـى الحراك، الذين كانوا معروفي الهوية كونهم كانوا على تواصل مع قيادات الأحزاب السياسية للوصول إلى توافق خلال فترة ما قبل موعد 15 آذار، وهم عدد من الشباب من الفئة العمرية (20–30 سنة)، فكرتهم تتركز على إنهاء الانقسام، ورفضوا الخضوع لأي عباءة حزبية، وأخضعت من استطاعت الإمساك به حينها للتحقيق، وواجه الشباب مرحلة جديدة من القمع والملاحقة الأمنية والاعتقال والتعذيب داخل مراكز حماس الأمنية.

النقد الذاتي للحراك الشبابي في قطاع غزة

يعـود جزء مـن صعوبة الحراك الشبابي إلى جغرافية قطاع غـزة من حيث صغر حجمه، وسهولة التحكم فيه من قبل أجهزة «حماس». كما أن بعض الشباب الفلسطيني الناشط شبـاب مسيّس ومنضو في تنظيمات حزبيـة، وبالتالي معرض للمساءلة والمراقبة، وربما الاعتقال من أجهزة تنظّيمه.

ويمكن تلخيص آراء الشباب (15 شاب وشابة) الذيـن قابلتهم خلال جلسات حوارية فردية وثنائية حول الحراك الشبابي في قطاع غزة، كالتالي:

تعـدد الحراكات وغيـاب الأهـداف المشتركة؛ التدخـلات الفصائلية؛ قمـع السلطة؛ مشكلـة تمويـل النشاطـات الشبابيـة؛ الافتقاد إلـى قيادة موحـدة؛ الافتقاد إلـى رؤية وإستراتيجيـة موحدة؛ فشل تحشيد دعم وتعاطف شعبـي؛ غياب شعار موحد؛ العلاقة مـع الإعلام؛ غياب غطاء شعبي كاف لرفض الانقسام مجاهرة أو كإيمان راسخ بضرورة إنهائه؛ افتقاد الحراك لوسائل أو أدواًت نضال شعبي يكون الشباب هو محركها؛ الشعور بالعجـز والإحباط لعدم قدرة الشباب الفلسطيني في غزة والضفة والقدس على التواصل والاتفـاق علـى رؤية سلمية لحـراك شبابي منظـم، والافتقاد لرؤية متكاملـة بما يخص التنظيـم والبرامـج التالية، بمعنى الهدف الأبعد للحراك، وكيـف نطور كشباب أساليب

نضالنا؟ وكيف يمكن أن نحافظ على استمرارية متوهجة بالأنشطة وبالحرارة والحماس والدافعية تجاه الهدف المناط تحقيقه؟

كما بقيت التحركات محلية ربما لأسباب لها علاقة بالجغرافيا، وبصورة أوسع ترجع للانتماءات الحزبية للشباب، وهذا عامل مؤثر جداً. واعتبر بعض الشباب/الشابات أن عدم وجود جسم شبابي موحد في الأراضي الفلسطينية يوحد الشباب تحت رؤية وأهداف موحدة، يعطل ولادة ربيع فلسطيني. من الإيجابي وجود تعددية في التكتلات والحركات الشبابية في المناطق المختلفة، ولكن من المهم أيضاً توحيد الجهود من خلال رؤية ديمقراطية شاملة. فأغلب التحركات كانت تحركات ضعيفة وغير ناضجة لإحداث التغيير المطلوب، وأغلبها عانى من الخلافات الداخلية والتصارع وعدم الشفافية والمهنية في العمل من قبل بعض الشباب الذين كانوا على رأس مهام أوكلت لهم لإنجاح فعاليات 15 آذار، والبعض من الشباب كان يهمه الوصول إلى منصب وله أطماع شخصية بعيدة كل البعد عن إحداث الربيع الفلسطيني.

من بين العوامل المؤثرة على مسيرة الحركات الشبابية مساعي الحكومات الفلسطينية لإضعاف أي حراك شبابي يهدف إلى إحداث تغيير ديمقراطي شامل في الأراضي الفلسطينية المحتلة العام 1967، كما حدث مع الحراك الشبابي 15 آذار، وكيف تصدت له الحكومة في قطاع غزة. كما اتضح غياب الدور القيادي الواضح لمؤسسات المجتمع المدني من أحزاب سياسية، وعلى رأسها اليسار الفلسطيني، الذي كان يُعوّل عليه في إحداث توازن في العلاقة بين «فتح» و«حماس»، وأن يشكل درعاً منيعاً لحماية المشروع الوطني الفلسطيني، وجدناه شريكاً بشكل أو بآخر في الانقسام. كما عملت الاتحادات والنقابات على تغليب مصالح وجهات نظر وسياسات أحزابها. وسادت ظاهرة ضعف الثقة المتبادلة لدى الشباب في منظمات المجتمع المدني، وبخاصة منظمات حقوق الإنسان، التي أظهرت ضعفاً في القدرة على حمايتهم وحماية حقهم في التظاهر السلمي وحماية حرياتهم العامة في التعبير والتظاهر السلمي. كما لا ينبغي تغييب حرص غالبية الشباب في ظل هذه الأوضاع الأمنية والاقتصادية غير المستقرة على مصالحهم الخاصة، وتجنب الخوض في تجارب شبابية تضر بمصالحهم وحياتهم اليومية.

وتجدر الإشارة إلى أن حراك 15 آذار كشف غياب الالتزام بما اتفق عليه من رفع العلم الفلسطيني، والشعارات الوحدوية فقط. ما حدث كان انقساماً على الأرض، تطور لاعتداءات ثم اشتباك. هذا إضافة إلى محاولات إدارة فعالية 15 آذار من قبل جماعات ليس لها علاقة بالحراك؛ فالكتلة الإسلامية أنشأت صفحات عبر الفيسبوك وشكلت مجموعات تدعو إلى إنهاء الانقسام، والجماعة الإسلامية كذلك، وحركة «فتح» قامت

بالتصـرف نفسـه، واستخدمت هتافـات غير متفـق عليها، واستقدمـت أجهزة صوت وصـدرت بيانـات للإعلام باسـم الحراك تناقضت مـع الإعلان عـن استقلالية التحرك ووقوفه مسافة واحدة من كل الأطراف، ما شكك بمصداقيته.

كمـا يجب الإشارة إلـى ضعف قيادة التحركات الشبابية للميـدان، وغياب النشطاء عن وسائل الإعلام.

كما لا ينبغي أن يغيب ازدياد حدة القمع بعد 15 آذار وسط محاولات لتبرير وشرعنة ما جرى في ذلك اليوم بالتشهير في الشباب والصبايا المشاركات، بإضفاء طابع غير أخلاقي، وربطه بالتحرش ومنع التصوير والتوثيـق، وربط الحراك بأجندات خارجيـة وداخلية، واستمرار الملاحقة والتشويه والاستدعاء والتهديد والضرب لنشطاء الحراك، وتراجع تغطية الأنشطة الشبابية من قبل وسائل الإعلام، ومنعها من التغطية من قبل أجهزة حماس الأمنية.

التخبـط والعفوية التي حدثت بعد 15 آذار، واختلاف المجموعات حول اتخاذ موقف مـن القمع، وصياغة برنامج فعاليـات، وإعلان برنامج فعاليات موحـد، نتج عنه امتناع مشاركـة كل المجوعـات والقـوى الشبابيـة فـي 2011/3/19. كما غـاب عن هذه الفعاليـات الدعـم الجماهيري والتوازي مـع الضفة التي سمح للشبـاب بالاعتصام فيها علـى الرغم من وجـود مضايقات من بعض الأفراد المحسوبيـن على حركة فتح، وكان أشهرهـا حادثة هجوم بعض مناصري وأعضاء شبيبة فتح ليلاً على خيمة الاعتصام بدوار المنـارة، ومضايقة المعتصمين، كمـا أخبرنا بعض الأصدقـاء المعتصمين هناك حينها، ومنع الاعتصام بغزة واعتقال معظم نشطاء التحرك في أنحاء القطاع كافة فترة ما بعد فض الاعتصـام بالكتيبـة؛ أي بعد يوم 15 آذار حتـى 30 آذار. كان معظم الناشطين الشباب رهـن الملاحقة الأمنية، والاستدعاءات لدى جهاز الأمـن الداخلي بغزة، في ظل تراجع دعـم المثقفين والشخصيات الوطنية نتيجة عدم الثقة بالقيـادة الشابة، والإرهاق المالي الشديـد على الشباب نتيجة تحملهم تكلفة عالية، أسهم فـي تراجع القدرة على العمل، والتواصل، وتوفير إمكانات الأنشطة.

رفضـ وزارة داخليـة حركة «حماس» الإشعـارات المقدمة للسمـاح بالفعاليات التي كان شبـاب 15 آذار يقومون بتقديمها لمراكـز الشرطة بغزة تحاشياً للادعاء بأن الشرطة ليس لديها علـم، بحكم أن القانون الفلسطيني يلزم بتقديم إشعار خطي، وليس تصريحاً للفعاليـات، أدى إلى استمرار قمع المسيرات الشبابيـة، وتجلى ذلك بقمع المسيرة من جامعـة الأزهر في ذكرى يوم الأرض، بمشاركة حوالي ألف مشارك، واعتقال عدد من المشاركيـن والاعتداء على الصحافيين عند مفتـرق الطيران خلال أقل من خمس عشرة دقيقة على انطلاقها في يوم 30 آذار 2011.

لقد قامت الأجهزة الأمنية والمكتب الإعلامي الحكومي لحركة «حماس» بالاتصال بوسائل الإعلام لمنع تغطيتها لأي فعالية سوى الفعالية الوحيدة التي أقرتها القوى الوطنية والإسلامية شمال القطاع، وذلك في فترة ما بعد 15 آذار لتستطيع التحكم في طبيعة وموضوع أي خبر يمكن أن يصدر من قطاع غزة، لتوجيه الإعلام نحو ما ترغب فيه، وتراه مناسباً لمصالحها، ومن يخالف ذلك تتم مضايقته ومنعه من ممارسة عمله بحرية.

بعد اغتيال فيتوريو أرغوني في غزة بتاريخ 15 نيسان 2011، صبت المجموعات جهدها في بيت العزاء كمخرج من الضغوط التي مورست لوقف التحركات والتظاهر والتشييع، وبالتالي حيّدت نفسها عن الهدف الأساسي. واتهمت من قبل أجهزة حكومة «حماس» الأمنية بالاهتمام بالظهور في وسائل الإعلام، والتمظهر والاستعراض والالتفات للمظاهر الاحتفالية، وعرض بطولات، وإبراز نجوم إعلام كقيادة للتحركات، وبروز بعض مصادر التمويل لبيت العزاء نسبت لبعض المجموعات على الرغم من عدم علمها بذلك لتغطية فعاليات عزاء فيتوريو. وبالتالي أهمل الإعلام تغطية الحدث، ولم يتجاوب مع المصادر الموثوقة، ونقل فقط ما أرادته حكومة غزة.

ومن الملاحظات النقدية على الحراكات الشبابية، غياب العمل على الصفحة الرسمية للحراك عبر الفيسبوك وبين الناس، واستخدام أساليب متنوعة في عملية التحشيد بدل التركيز على العمل في إطار مجموعات صغيرة نأت بنفسها عن الشارع، واهتمت بترتيب شؤونها والتفاعل مع الإعلام. كما جرى الإعلان عن انتهاء فعاليات الحراك من بعض المجموعات عبر مؤتمرات صحافية، قادها بعض الشباب المحسوبين كناشطين ولكنهم ينتمون لحركة «حماس»، أو من المقربين، أو من الذين مورس عليهم ضغط لفعل ذلك من قبل أجهزة أمن حكومة غزة.

وأخيراً، تجدر ملاحظة التالي:

1. ضعف القيادة الشبابية للتحرك وضعف تحملها مسؤولياتها ارتباطاً بالقدرات والخبرة والالتزام بالتعهدات والمهام التي توكل لكل مجموعة على مدار فترة طويلة من التنسيق والتوحيد.

2. دخول بعض المجموعات في حالة صراع مع مؤسسات المجتمع المدني والقوى الوطنية وبعض الشخصيات ارتباطاً بمواقف خاصة، قاد لحملة ضد التحرك وضعف الاستجابة لنشاطاته.

خاتمة

علـى الرغم مـن التجربة القاسيـة، يرى الشباب أنهـم قادرون على الاستمـرار بالعمل، والمحاولة مرة أخرى، وبخاصة أن عدداً كبيراً منهم كان صغيراً في السن وقليل التجربة حيـن خاضـوا وشاركوا فـي تجربـة 15 آذار 2011، والآن، وفي سيـاق قياس رؤيتهم نحـو مستقبل دورهم، يعتبـر الشباب الفلسطيني إنهاء الانقسـام خطوة على طريق إنهاء الاحتـلال، وبخاصـة بعد الثورات العربيـة التي كان لفلسطين نصيـب من الحضور في ميادينهـا وبياناتها. ولذا، فإن إنشاء جسم أو إطار شبابي سوف يعزز من فرص التواصل مـع الشباب الفلسطيني فـي مناطق الشتات، وهذا أمر ممكـن التحقيق، وهذا ما لمسته شخصياً من مشاركاتي المتعددة في محافل ولقاءات دولية وعربية، كالمنتدى الاجتماعي العالمي لفلسطين حرة بالبرازيل في تشرين الثاني/نوفمبر 2012، والمنتدى الاجتماعي العالمي فـي تونس شباط/فبراير 2013 تحت عنوان «كرامـة». الفرصة ما زالت قائمة لإحداث تغيير على المستـوي التنظيمي، وقياس الأثر الناجم عن جميع التحركات التي يمكن أن تخدم القضية برمتها.

وفـي إطار تحليل المقابلات التي تمت مع الشبـاب الناشط في قطاع غزة، كان واضحاً أن مواقـع التواصل الاجتماعي لعبـت دوراً بارزاً في عملية التحشيـد والتعبئة والمتابعة المستمـرة لمـا يجري على الأرض من تحركات شبابية. وكان لها الأثر العميق في خلق رأي عام حول القضايا التي خرج الشباب للدفاع عنها أو الاحتجاج عليها، بما في تلك التي طالبت بتغيير النظام السياسي.

ورأى الشباب أيضاً أن توفر مصادر معلومات متجددة عن الأوضاع في المنطقة، ساعد علـى انتشار «الربيع العربـي» بشكل كبير للغايـة. فالشباب العربي عاش حالة إحباط وكبـت وخوف شديد قبل تفجر الانتفاضات الشعبية، وجاءت محاولات التغيير للقضاء أولاً علـى الخوف والشعور بالعجز، وثانياً للتعبير عن رفض الانصياع للأوضاع القائمة في بلدانهم. إن الإصرار على إثبات دور الشباب ومقدرته على التصدي والمواجهة مع الأنظمـة المستبدة هـو أمر لا ينبغي التقليل من شأنه أو من أهميته، وهو ما يؤمن به قطاع واسع من الشباب الفلسطيني، الساعي إلى حرية واستقلال شعبه.

كمـا يرى الشباب الفلسطينـي أن عدم وجود ترابط جغرافي يجمع الشباب، هو من أهم العقبـات التي تواجه الحراك الشبابي (الضفة الغربيـة– غزة– مناطق الـ 48 – الشتات– القدس)، إضافة إلى الانقسـام السياسي والتشـرذم الذي تشهده الساحـة الفلسطينية. أضـف إلى ذلك استخدام القوة القمعية تجاه الشباب في كل أراضي فلسطين التاريخية، وهنـا سأقتبس من تعقيب لإحدى الناشطـات الشابات في غزة حول موضوع –مقاطعة

إسرائيـل– في المنطقـة الوسطى من قطاع غزة، إذ تقـول: «بالنسبة لغزة (المكان الذي أعيشـ فيـه) أشعـر أن الغالبية من الشباب مصابـة بالإحباط وتميل أكثـر إلى عدم اتخاذ خطوات عملية لعوامل قد تكون لها أثار اقتصادية (كالبطالة مثلاً) أو اجتماعية أو ثقافية». وتضيف: «نعم هناك أفق لتخطي قيود الجغرافيا عبر وسائل التواصل الاجتماعي، فلهذه دور مهـم لكنه ليس الأهـم. أعتقد أن تبنـي الشباب حملة المقاطعـة الدولية (BDS) والعمـل على فضح السياسات الإسرائيلية ومقاطعتها وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبـات عليهـا، تعتبر واحدة من الوسائـل المهمة، لأنها تقوم علـى أساس ضم الكل الفلسطينـي بنـاء على برنامـج لتحقيق الحقـوق الفلسطينيـة، بغض النظر عـن الحلول السياسية وتضم الحملة بالفعل أشخاصاً من مختلف الأحزاب».

ويخلص الشباب في غـزة إلى القول عن تجربة الشباب في ما يسمي بـ»الربيع العربي»، إن لـدى الشبـاب القدرة على مواجهـة أي سلطة قمعيـة مهما بلغـت سطوتها، ولكننا –كشبـاب– بحاجـة إلى التوحد بعيـداً عـن الأيديولوجيا والأحـزاب، والتصميم على الاستمـرار في العمـل، والاستفادة مـن وسائـل التكنولوجيا الحديثة فـي الاتصالات، والاستفادة من تجارب التحرر الوطني في العالم كتجربتي أيرلندا وجنوب أفريقيا.

الحِراكُ الشَّبابيُّ الفلسطينيُّ في لُبنَانَ؛ نحوَ رؤيةٍ إستراتيجيّة

الحِراكُ الشَّبابيُّ الفلسطينيُّ في لُبنَانَ؛ نحوَ رؤيةٍ إستراتيجيّة

عايدة الشهابي[1]×

حولخصوصية الوضع الفلسطيني

الحـراك الشبابي، مصطلح غزا عالمنا العربي بقـوّة، منذ أن هبّت رياح التغيير في تونس لتقصـي زيـن العابدين بن علي عن الحكـم بعد فترة طويلة من الاستبـداد، تبعها الحراك فـي مصـر وثار شبابهـا وفئات واسعة مـن شعبها في ميـدان التحرير لخلـع نظام مبارك الاستبدادي، ورسم مستقبل جديد لمصر. بعدها انتقلت الشرارة إلى دول عربية أخرى، ومنها فلسطين.

وعلـى الرغم مـن وجـود قواسم ما بيـن الحـراك الشبابي العربـي والحـراك الشبابي الفلسطيني، فإنّ للأخير خصوصيةً وسمات معيّنةً تنبع من خصوصية الحالة الفلسطينية. ومـن أهم هذه السمـات: 1. عدم اكتمالٍ بنـاء الدولة ومؤسساتها، فضـلاً عن تشتت الفلسطينييـن وتوزّعهـم علـى دول مضيفة مختلفة، مـا يستلزم تنـوّع المطالب وتعدّد العناوين/الجهـات التـي ينبغـي أن توجّه لها هـذه المطالب. 2. تضـارب الرؤى بين شرائح المجتمـع الفلسطيني ونخبه السياسية فيما يتعلّق بإستراتيجية النضال الفلسطيني وتكتيكاته، والموقف من حلّ الصراع العربي الصهيوني، وذلك بسبب الانقسام الكبير فـي الحركة الوطنيـة الفلسطينية الذي أفرز نهجين متمايزين فـي الصراع ضدّ إسرائيل، وفي أساليب النضال المعتمدة. 3. مطالب الشباب العربي واضحة ومحدّدة، وهي، في جوهرها، مطالب اجتماعية طبقيّة تتعلّق بتحقيق العدالة الاجتماعية، والتوزيع المنصف

1 ×شابـة فلسطينيـة لاجئة فـي لبنان، من بلدة لوبيا قضاء طبريـا – شمال فلسطين. تخرّجت مـن الجامعة الأمريكية في بيروت – بكالوريوس في إدارة الأعمال.

للثروة، وإنهاء الاستبداد وتحقيق الديمقراطية، وإنهاء سيطرة الدولة على المجتمع، فيما تتوزّع مطالب الشباب الفلسطيني ما بين ضرورة إنجاز مهام مرحلة التحرّر الوطني؛ المتمثّلة في إنهاء الاحتلال وإقامة الدولة ذات السيادة، وبين المطالب الاجتماعية التي هي جزء لا يتجزّأ من مهام مرحلة التحرّر الوطني الديمقراطي؛ المتمثلة في تحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والمشاركة السياسية في صنع القرار، والمطالبة بحقوق الإنسان الأساسية في مختلف أماكن وجودهم. وبخلاف الشباب العربي، يواجه الشباب الفلسطيني تحدّياً مزدوجاً يتمثّل في النضال من أجل إنجاز حقّ تقرير المصير وإقامة الدولة، وكذلك من أجل العيش بكرامة في مجتمعات لا تميّز ضدّهم بسبب هويتهم الوطنيّة.

إطار عام: أوضاع الشباب الفلسطيني في لبنان

بلغ، في العام 2012، عدد اللاجئين الفلسطينيين في لبنان المسجلين لدى الأونروا 465798.[2] وطبقاً للدراسة التي قامت بها الأونروا، بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في بيروت،[3] فإن عدد اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في لبنان يتراوح (العام 2010) بين 260 280– ألفاً، يقيم 62% منهم في 12 مخيماً، و38% منهم يقيمون في التجمعات الفلسطينية كتجمّع القاسمية في الجنوب، أو تجمّع الداعوق في بيروت، أو في المدن والقرى اللبنانية. ويعيش اللاجئون الفلسطينيون في لبنان، ولاسيما سكّان المخيمات، منذ حوالي ستة عقود أوضاعاً معيشيةً بالغة الصعوبة، تتنافى مع أبسط معايير الكرامة الإنسانيّة وحقوق الإنسان الأساسيّة. وبشكل عام، يتعرّض الفلسطينيون في لبنان إلى أشكال عدّة من التهميش، منها التهميش الاقتصادي الذي يفرض قيوداً صارمة على حقّ الفلسطينيين في العمل والضمان الاجتماعي، والتهميش المؤسساتي الذي يستبعد الفلسطينيين من مؤسسات الحياة الاجتماعية والثقافيّة، والتهميش المكاني الذي حوّل المخيّمات الفلسطينية إلى جزر شبه معزولة عن محيطها السكاني، وفرض عليها وظيفة احتواء اللاجئين، معتبرة إياهم مصدر خطر وتهديد للمجتمع اللبناني. وغالباً ما ارتبط هذا التهميش بتاريخ متواصل من العنف والتهجير.[4]

الشباب مُكوّن أساسي من مُكوّنات مجتمع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، ولا يستقيم

2 الأونروا بالأرقام، موقع الأونروا، (يناير/كانون الثاني 2012) http://www.unrwa.org، تم استعادتها بتاريخ 24 شباط 2012.

3 الأونروا، «الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للاجئين الفلسطينيين في لبنان»، 31 كانون الأول/ديسمبر 2010.

4 جابر سليمان. «اللاجئون الفلسطينيون في لبنان بين مأزق الحرمان من الحقوق ووهم الدولة»،شبكة السياسات الفلسطينية، 2012.

الحديث عن واقع الشبـاب الفلسطيني في لبنان وعمّا يواجهونه من مشكلات اقتصادية واجتماعيـة ونفسية، دون الرجوع إلى المجتمـع الفلسطيني الذي يعيش هؤلاء الشباب في كنفه.

الشباب هم من أكثر المتأثرين والمحرومين من أبسط الحقوق، إذ يعيشون في المخيمات أوضاعـاً معيشية وسكنية رديئة كغيرهم من فئات الشعب الفلسطيني فيها، فهم إن أرادوا إصـلاح البنية التحتية للمخيم، اصطدموا بمنع إدخال مواد الأعمار تحت عنوان «رفض التوطيـن»، وإذا أسعـف الحظ أحدهم بدعم مالي من جهـات عائلية لشراء شقة سكنية، واجـه قانون حرمـان الفلسطينيين من الملكيـة العقارية، وإذا دُمّـر المخيم حيث يعيش كمـا في حالة مخيـم نهر البارد، اضطـروا للسكن في «بركسات» حديديـة أشبه بعلب السردين. أما الشباب في التجمعات خارج المخيمات، وهي تضم آلاف اللاجئين، فإن عدم اعتراف وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) بهم، يعني حرمانهم مـن الخدمات المحـدودة التي توفرها. مع العلم أن مساكـن اللاجئين لا تستوفي الحد الأدنـى مـن الحق في سكن لائق ومناسـب وفق مقوّمات العيش الكريـم. وهناك قضية فاقدي الأوراق الثبوتية، ومشاكل بطالة الشباب وهجرتهم المتواصلتين.[5]

الحراكات الشبابية في لبنان

هنـاك بعض الحراكات الشبابية الفلسطينية التي تمّت قبـل العام 2011 في ظلّ سياقات سياسيـة مختلفة، غير أن هذه الورقة ستركّز على الحراكات الشبابية التي تمّت في سياق الربيع العربي؛ أي منذ العام 2011. وفيما يلي أهمّ هذه الحراكات وفق ترتيبها الزمني:

مسيرة العودة 2011

فـي البداية تمت الدعوة إلى مسيرة العودة إلـى فلسطين العام 2011، التي استشهد فيها ستـة مـن الفلسطينيين الشباب علـى الحدود اللبنانيـة الفلسطينية، من شبـاب مستقلّين جامعيين عبر «الفيسبوك»، ثم تحولت إلى عمل تنسيقي بين الشباب ومختلف الفصائل الفلسطينيـة (فتـح – حماس– شعبيـة – ديمقراطية– الجهاد ...)، إضافـة إلى عدد من مؤسسـات المجتمع المدني الفلسطيني. لقد وضـع الشباب على الفيسبوك خطة عمل وأعلنـوا أنّ التحرك يهـدف لتحقيق مشاركة 20 ألفاً في المسيـرة، لكن عدد من وصل فعليـاً إلى الجنوب قُدّر بنحو 55 ألفاً من جميع المخيمـات والتجمعات الفلسطينية في

5 سامـر السيلاوي. «تداعيـات تعطيل دور الحراك الشبابـي الفلسطيني وفشل المراهنة على إنهـاء الانقسام»،موقع الثبات، 2012.

لبنـان، وبقي حوالي 15 ألفاً في المخيمات لعدم توفر أماكن نقل لهم في الحافلات؛ أي أن ربع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان توجهوا إلى الحدود من مختلف الفئات العمرية[6]. لقد كان هذا حراكا شعبياً تمّ بمبادرة شبابية دعمتها الفصائل.

لقـد شكلت المسيـرة محطة مميّزة فـي نضال الحـراك الشبابي ومواجهـة الاحتلال، ووجهـت رسالة لكل من راهن على شطب قضية اللاجئين وحق العودة على مدى عقود طويلـة فـي الخفاء والعلـن. تجلى هذا من خـلال فرض خريطة طريق جديـدة للعودة، مضامينهـا استعداد أجيال لم تولد في فلسطين ولم تشاهـد فلسطين إلاّ من خلال العالم الافتراضـي، لأن تقدم دماءها فـي سبيل العودة إلى قراها، الأمر الـذي وجه رسالة بالغة الدلالـة بفشل المشـروع الصهيوني الذي سعى، ولا يزال، إلـى أن ينسي الصغار ذاكرة فلسطين. وكان إصرار الشباب على تجاوز الشريط الفاصل خيرَ دليل على إيمانه بالعودة ورفضـه واقع اللجوء المرير.[7] ولكن لم يستوعب الجميع هذه الرسالة، وبخاصة الدول العربيـة التي وافقت على المبادرة العربية التي تربط حق العـودة وتقرير المصير بموافقة إسرائيـل، ودولة لبنـان المستضيفة التي كانت، وما زالت، تبـرّر حرمان الفلسطيني من حقوقه كواجب وطني يستدعيه الحفاظ على حق العودة ومنع التوطين.

من مبادرات «الشبكة الشبابية الفلسطينية» (2012 – 2013)

تولـت مجموعة من شبـاب المخيمات الفلسطينية في لبنـان تأسيس «الشبكة الشبابية الفلسطينيـة». وتزامنـت فكـرة «الشبكـة الشبابيـة الفلسطينيـة» مع بـروز عدد من المبـادرات الشبابية فـي معظم المخيمات الفلسطينية في لبنـان، التي من المحتمل أن يكـون للحـراك الشبابي العربي دور محفّـز لها، على الرغم مـن الاختلاف في طبيعة وضـع الشباب الفلسطيني؛ كونـه إمّا تحت الاحتلال، وإما أنـه لاجئ تحكمه قوانين مجحفـة تحرمه من أبسط حقوقـه الإنسانية. وتتألّف الشبكة مـن مجموعات شبابية مؤسسة شملت: شباب الحـراك الشعبي/مخيم البداوي – جمعية أحلام لاجئ/مخيم شاتيـلا – اللقاء الشبابي الفلسطيني/مخيم الميـة ومية – ولاد المخيم/ مخيم الرشيدية ... فـي كل مجموعة حوالي 25 إلى 30 شابـاً وشابة من أبناء المخيمات والتجمّعات الفلسطينية ،بعضهم ما زال يتابع دراسته في المدرسة أو في الجامعة، ومنهم من تخرّج ويعمل مع الجمعيـات المدنية في الوسط الفلسطيني، والبعض الآخر لم يُكمل دراسته أو أكملها ولكنه عاطل عن العمل.

---

6 «مركز الزيتونة يناقش التحركات الشعبية المطالبة بحق العودة ومستقبلها»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، موقع الزيتونة، 2011.

7 علي هويدي. «حصاد حركة العودة في لبنان العام 2011»،مجلة العودة، العدد الحادي والسبعون، 2013.

لقد استهدفت فكرة الشبكة إعادة الحيوية للشباب الفلسطيني وتعميق ثقتهم بأنفسهم، ولتمكينهم من وضع رؤية لمستقبلهم وتحصين إرادتهم. تعمل الشبكة على تشجيع الشباب على المشاركة في صُنع القرار داخل المخيمات، والتنسيق مع قطاع الشباب في التنظيمات ومشاركتهم الفصائل والمسؤولين بشؤون المخيّمات لأخذ القرارات المناسبة لها، وتحمّل المسؤولية والمساهمة في وضع الحلول للمشاكل التي تواجه اللاجئين الفلسطينيين، إضافة إلى مراقبة ومساءلة القيمين على إدارة شؤون اللاجئين من مؤسسات وطنية، ومجتمع مدني، وأونروا. ومن أهم التحركات التي قاموا بها: تنظيم اعتصام تضامني مع الأسرى في مخيّم البدّاوي شارك فيه أهالي المخيم؛ نصب خيمة تضامنية مع مخيم نهر البارد؛ تحسين شوارع مخيم البداوي حيث تمّ ترميم الإسفلت وتوسيعها؛ افتتاح ملاه مجّانية للأطفال في مخيم عين الحلوة، مبادرة «أنا من هناك ولي ذكريات» في مخيم الرشيدية، حيث قام التلاميذ في مدارس المخيم بكتابة أسماء المدن والقرى التي تمّ تهجير أجدادهم منها على جدران المخيم. وتجمع الشبكة شباباً فلسطينياً من مختلف المخيمات والتجمعات الفلسطينية، ولكنها ما زالت مجرّد حراك شبابي يقوم بمبادرات بين الحين والآخر، وليس تتوفر لها القدرة على خلق حركة شعبية موسّعة.

من مبادرات مخيم عين الحلوة (2013)

قام «اللقاء الشبابي الفلسطيني» –وهو مجموعة شبابية ناشطة تضم ما بين 26 – 30 شاباً من عمّال وموظفين وطلاّب مدارس ومعاهد وجامعات يعملون على تسليط الضوء على المشاكل العامة ومشاكل الشباب في مخيم عين الحلوة– بمبادرات عدّة لتحريك الرأي العام من أجل بناء مجتمع فلسطيني أفضل داخل المخيمات وتفعيل دور الشباب واستثمار ما لديهم من قدرات في خدمة المخيم من خلال العمل التطوعي، ومن أجل تحسين صورة المخيمات أمام المجتمع الخارجي. ومن أهم مبادراتهم: مبادرة «إيد بإيد ... هيك مخيمنا أحلى»، وتمثلت هذه بقيام شباب اللقاء بتنظيف شوارع المخيم، إضافة إلى إنجاز رسومات على حيطان الزواريب الضيقة ترمز إلى فلسطين، والقدس، وحنظلة، والمفتاح ... لتذكر هذه الرسومات الجميع بأن المخيم مجرّد محطة في حياة الشعب الفلسطيني، وأن الوطن الكبير ينتظرنا. كما قاموا بمبادرة تنظيف المقبرة وإعادة كتابة أسماء الشهداء وتأمين محطات انتظار لطلاب المدارس في المخيّم، وبمبادرات أخرى. وهذه المبادرات تُنشر على صفحة الفيسبوك تحت عنوان «عاصمة الشتات عين الحلوة». ما زالت هذه المجموعة فاعلة، ولكن دورها ينحصر ضمن حدود مخيم عين الحلوة. ولم تنجح في توسيع

صفوفهـا. ويعود هـذا إلى غياب التواصـل والتنسيق مع الحـراكات والمجموعات الشبابية الأخرى. أمّا بالنسبة لموقف الفصائل في المخيم من المجموعة، فهناك رضا عام عنهـا لأنّها قامت من البدايـة بالتنسيق مع الفصائل والتنظيمـات وإطلاعهم على نشاطاتهم والتعاون معهم فـي تحقيق أهدافها. وكذلك بسبب انتماء قسم من أعضاء المجموعة لبعض تلك الفصائل.

هذه الحراكات والمبـادرات التي ذكرتها هي حراكات هدفها تحسين مستوى المعيشة في المخيمات الفلسطينية، وتعزيز الهوية والثقافة الوطنية، وبخاصة بين أوساط الأجيال الشّابة. هذا بالطبع مطلوب وضروري، ولكن الأهم –برأيي– هو القيام بحراكات لديها طابـع ورؤية سياسية تحررية وطنية، لأنّ نضالنـا الأساسي هو من أجل التحرير والعودة، وليـس البقاء في المخيمات وتحسينها فقـط. لذلك، يوجد على الساحة الفلسطينية في لبنـان مجموعات شبابية مستقلّة تقوم بنشاط سياسـي لأنّ النضال السياسي –من وجهة نظرها– هو الحل الوحيد لقضيتنا.

ومن أهم حراكات المجموعات الشبابية المستقلة:

1. أسبوع التمثيل الفلسطيني (2012)

هـذه مبادرة قام بها مجموعة من الشباب الفلسطيني في المخيمات وشباب الجامعات، وبخاصـة الجامعـة الأمريكية في بيـروت والجامعة العربية، وشارك فـي فعالياتها بعض الباحثين الفلسطينيين. نُظمت في فترة (3 – 7 شباط/فبراير 2012). وكان هذا الأسبوع جزءاً مـن حملة أوسع جرت تحت عنوان «كامل الصـوت»، دعت إلى انتخاب أعضاء المجلـس الوطنـي الفلسطيني، وتنسق جهودها في هذا المجال مـع الحملات الشبابية الأخرى في لبنان وفي فلسطين والشتات. وهدفت هذه الحملة إلى التشديد على أهمية تفعيـل المؤسسات الفلسطينية التي تمثل الشعب الفلسطيني، وزيادة الوعي بشأن أهمية دور المجلس الوطني في هذا السياق. وتمّ إطلاق الأسبوع وفعالياته في مسرح بابل في بيـروت، وتمّ توزيـع برنامجه بين مسرح بابل ومركز معـروف سعد الثقافي في صيدا.[8] وناقـش الشباب الفلسطيني ومجموعة من الأساتذة والباحثين والسياسيين الفلسطينيين، فـي الأسبوع، دور المجلس الوطني، وإمكانية تفعيلـه، وبحثوا في إستراتيجيات إشراك المجتمـع الفلسطيني فـي لبنان في حراك عام يطالـب بالانتخابات، بما يشـكل أساساً لإطـلاق الحملـة. واعتبرت الحملـة أنّ انتخابات المجلس الوطني هـي فرصة لإعادة

8 جهينـة خالديـة. «أسبوع التمثيل الفلسطيني: أين نحن مـن الربيع؟». موقع جريدة السفير الإلكتروني (خاص)، 6 شباط 2012.

إحيـاء روح المشاركـة السياسية والعمل المشترك بيـن كل الفلسطينيين، وبالأخص بين الجيل الشاب الذي سيحمل راية النضال ومن سيسلمها لأبناء الجيل اللاحق، إضافة إلى أنّ انتخابـات المجلس الوطني فرصة لدخـول فئات شبابية متنوعة في العملية السياسية. وعلـى الرغم من أهميّة تحرّك كهذا، فـإنّ النشاط توقّف عند هذه الاجتماعات والورش ولم تكتب له الاستمرارية.

2. مبادرة «كامل التراب الوطني» (2012)

مبـادرة أطلقتهـا «هيئة تنسيق الأندية الثقافيـة الفلسطينية المستقلة فـي لبنان» في شباط 2012، وشملت شاتيلا، والجامعة العربية، والبداوي، والجامعة الأمريكية في بيروت، والجامعـة اللبنانيـة الدوليـة. والمبادرة أطلقت نـداء «إعلان دولـة فلسطين على كامل التراب الفلسطيني»، فـي خطوة احتجاجية على قبول فلسطين دولة غير عضو في الأمم المتحدة على حدود العام 1967.

هـذه المجموعة من اللاجئيـن الذين هم حوالي خمسيـن شاباً وشابـة، يرفضون فكرة «الدولـة المجتزأة»، ومع «إعلان دولة فلسطين من البحـر إلى النهر، ومن رأس الناقورة شمـالاً حتـى أم الرشراش جنوباً». وتقـول دعوتهم: «تحية الوطن السليـب إلى أنصار الحريـة والتحرير ... دعوة إلـى المشاركة في الحراك الشبابي وفـي التغيير وفي إعلان دولـة فلسطين على كامل التـراب الوطني الفلسطينـي». يقول عمّـار يوزباشي؛[9] أحد المنظميـن للمبادرة: «أردنا من المبادرة إعـادة النضال والخطاب إلى المربع الأول، أي فلسطيـن كاملـة من البحر إلى النهـر. والمبادرة ليست موجهة ضـدّ أي تنظيم، بل هي ضـد التنازل وضد التفاوض». ويلفت إلـى رفض الحملة القرارات الباطلة الصادرة عن الهيئـات الدولية والعربية والفلسطينية، التي فيها تفريط بشبر من أرض فلسطين، بدءاً من قـرار تقسيم فلسطين 181، وقراري 242 و338، مـروراً باتفاقية كامب ديفيد ومؤتمر مدريـد وما تبعه. وأضاف يوزباشي «في ذكرى يوم الأرض، تم إعلان بيان رسمي لهذا الحراك. وأكّدنا فيه أنّه ليس لأحد، كائناً من كان، التخلي أو التنازل أو التفريط بشبر من فلسطيننـا المحتلة». وبالنسبة للبيان الذي صدر عـن الشباب تمّ توزيعه في المخيمات والتجمعـات، ولكن بعد هـذا البيان لم تكن هناك استمراريـة أو تحرّك للشباب بالزخم نفسه الذي انطلقوا به».[10]

9 عمّـار يوزباشـي؛ شاب فلسطينـي يعيش في مخيم مار الياس، تخرّج من جامعة بيـروت العربية، ويعمل منسّقاً لبرامج الشباب في جمعية المساعدات الشعبية النرويجية في بيروت.

10 لا يـزال الشبـاب يرسلون رسائل نصيّة قصيرة للشباب الفلسطيني، وكل من شارك في التحرّك على هواتفهم الخليوية، في مناسبات وطنية معيّنة ليؤكّدوا من خلالها على التواصل مع الناس، والتأكيد أيضاً على ثبات مواقفهم.

3. حراك ضدّ تصريحات الرئيس محمود عبّاس (2012)

استاءت مجموعة من الشباب الفلسطيني في لبنان من تصريحات رئيس السلطة الفلسطينية (أبـو مازن) التي اعتبـرت أن الأراضي الفلسطينية المحتلة العـام 1948، بما فيها بلدته (صفد) أراض إسرائيلية، وأنه لن يعود إليها. أثارت هذه التصريحات الغضب، وقام على أثرها شبـابٌ الأندية الثقافيـة الفلسطينية في الجامعات بالحشد لمظاهـرة أمام السفارة الفلسطينية ليعبّروا عن رفضهم لهذه التصريحات التي تفرط بحقّ الشعب الفلسطيني في العودة. المظاهرة حشدت حوالي ستين شخصاً فقط، وهذا إمّا لأن الشباب وصلوا إلى حـدّ اليأس من القيـادات الفلسطينية وأصبحوا متأكدين أنه لن تكـون هناك أذان صاغية لهم، وإمـا لأن بعض الشباب المحزّب لا يستطيع التظاهر بسبب معارضة الفصائل التي تدفع لهم مصروفاً شهرياً بسيطاً ولكنّه مهم بالنسبة لشبابنا العاطل عن العمل.

البيـان الذي أعلنه الشباب المتظاهر لاقى تغطية فـي جميع وسائل الإعلام، وتمّ بثّه على شاشات التلفاز. وتمّ نشر البيان على صفحة الفيسبوك التابعة للحراك التي أنشأها منظمو الحراك، ويتضمّن البيان المطالب التالية:

1. إقالة محمود عباس (أبو مازن) من مهامه كرئيس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير.
2. مطالبـة «فتح» بمحاسبة رئيس الحركة محمود عباس على تصريحاته المتكررة التي تؤدي إلى هدم الروح الوطنية بين أبناء شعبنا الفلسطيني.
3. لضغـط على محمود عباس ليقدم اعتذاراً علنيا لـكل الشعب الفلسطيني واللاجئين خاصة.
4. التأكيـد على حق العودة وعلى مشروعية الكفـاح المسلح كأحد أهم السبل لتحرير فلسطين كاملة التراب من قبل جميع الجهات الفلسطينية الرسمية.
5. الوقـف الفـوري للتنسيق الأمني ورفض التواصل مع العـدو الصهيوني بكل أوجهه السياسية والأمنية والإعلامية.
6. الإفراج الفوري عن كافة المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي والناشطين من سجون السلطتين في الضفة وغزة.
7. توحيد البيت الفلسطيني والسعي الجدي إلى إنهاء الانقسام المذل.
8. التجهيـز بأقصى سرعة لانتخابات مجلس وطنـي جديد يمثل كل الفلسطينيين أينما وجدوا.

9. السعي إلى إعادة إحياء منظمة التحرير الفلسطينية، ومبادئ الميثاق الوطني والاتفاق على إستراتيجية مقاومة وتحرير تتبناها جميع القوى الوطنية.

10. تكريس مبدأ المحاسبة لكل من يخالف الإجماع الفلسطيني أو يصرح بأمور تؤدي إلى ضرب الوحدة الوطنية وإضعاف الروح الفلسطينية، أو تعزز الانشقاق، أو تؤدي إلى التفريط بحقوقنا المشروعة والموروثة.

كل هذه الحراكات مهمّة وذات مضمون سليم. ولكن السؤال هنا: ما مدى تأثيرها على القضية الوطنية؟ وهل لديها ديناميكيّة استمرار؟ أي هل تقدّمنا خطوة أقرب إلى فلسطين أو أنّ هذه الحراكات هي مجرّد مشاعر سياسية وانفعالات وحالات تضامنية آنيّة؟ فقد لاحظنا أن معظم المجموعات والحراكات هي مجموعات حدث عابر وانفعال آني وتفتقد للاستمرارية. إنني لا أقلل من قيمة الحراكات أو البيانات، ولكن ما أريد قوله هو أن الشباب الفلسطيني يشعر بعد تحركات كهذه إمّا باليأس لعدم تجاوب أطياف الشعب الفلسطيني كافة، وإما يشعر بأنّه قد قدّم وأنجز الكثير لقضيتنا مع أنّ الذي قدّمه ليس إلاّ دعماً معنوياً وغضباً آنيّاً. في المناقشات التي تجري، في أحيان كثيرة لتقييم الحدث، يشار إلى أن سبب الفشل في توليد حراك واسع، يعود إلى أن جزءاً كبيراً من الشباب لا يريد المشاركة، إمّا لأنّ تحركات كهذه ليست من أولوياتهم، وإما لأنها تتعارض مع مبادئ التنظيم السياسي الذي ينتمون إليه.

لذلك، وجدت من الضروري التحدّث مع بعض هؤلاء الشباب لنفهم الواقع أكثر. ومن أهم المقابلات التي أجريتها كانت مع شاب فلسطيني عمره 29 عاماً يسكن مخيم مار الياس، مستقلّ لديه خمسة عشر عاماً من الخبرة في العمل مع الشباب الفلسطيني في المخيمات، وأحد أهم رؤساء الأندية الثقافية الفلسطينية في لبنان بشهادة شباب الأندية الذين قاموا بالعمل معه. هذا الشاب، على الرغم من عمله الوطني الطويل، فإنّه في بعض الأحيان يشعر بالأسف على حال الشباب الفلسطيني اليوم، وباليأس أحياناً. فمثلاً؛ عندما سألته لماذا لم تنجح محاولات توليد ربيع فلسطيني يقوده الشباب، كان مضمون إجاباته كالتالي:

- لم نشهد انتفاضة فلسطينية ثالثة لأن الشباب الفلسطيني وصل إلى قمّة الملل واليأس، بدءاً من مرحلة أوسلو إلى ضرب معاني القضية وتحويل النضال إلى مفاوضات وتنازلات.
- الربيع الفلسطيني يجب أن يكون هدفه تحرير فلسطين، نعلم أننا كالدول العربية الأخرى لدينا سلطات فاسدة، ولكن لا يجوز أن نحصر نضالنا وإمكانياتنا بإزاحة

سلطة الضفة أو سلطة غزة، قضيتنا أكبر بكثير من سلطات ومناصب، يمكن أن يكون هدف هذه النوعية من الحراك إزالة المعوّقات التي تواجهنا في طريق تحريرنا لأرضنا ليس أكثر.

- الشعب الفلسطيني شعب مناضل، ولكن التجهيل، الانقسام، ضرب مفهوم التطوّع، تحوّل الفدائي لأمن وقائي، والمناضل لموظّف وناشط ... كل هذه الأمور والتحوّلات أشغلت الشعب الفلسطيني عن النضال الحقيقي.

وعندما تحدّثنا عن الواقع الفلسطيني في لبنان والضغوط التي يواجهها الشباب الفلسطيني من قِبل الدولة اللبنانية أجاب بما يلي:

- لا أرى أنّ الضغط اللبناني يؤثّر على النضال، ولا يُسمح أن يكون مبرراً لتقاعسنا عن العمل النضالي تجاه وطننا. «العبرة هيه أدّيه الواحد عندو إيمان بقضيتو ... وأدّيه قضيتو أهم من أي إشي تاني ... من وظيفة أو بيت ملك ببلد مش بلدنا ... إلي بدو تحرير ما بنطر قرار لا من الدولة اللبنانية ولا غيرها». «وبعض الشباب الفلسطيني بحط الحق مش بس عَ الدولة اللبنانية بإنها بتمنعوا يقدّم إشي للقضية، بس كمان ع القيادات الفلسطينية والفصائل، رغم إني مستقل ومش مآمن هالأيام بفصائلنا، بس ما بشوف المشكلة من الفصائل بس، المشكلة عند الأفراد، عند هدول الشباب إللي اختلفت عندن الأولويات. مثلاً كان الشاب الفلسطيني بشتغل وبطلّع مصاري ليدفع للثورة وليأمّن سلاح، هلق الشباب بروحوا للأحزاب تحت عنوان الثورة ليقبضوا منها آخر الشهر ... للأسف بس هادا هوي الواقع ... ورغم كل هالانحطاط إلي وصلنالو قياداتنا ما عم تتعلّم، بتستمر بتوطاية السقف رغم إنو نحنا صحاب الحق، ما قابلين يفهموا إنو الكيان الصهيوني ما بنفع معو الحوار، هادا بس بدو رصاص يردّ عليه».

بعد ذلك سألته إن كان هناك أفق لبناء إطار شبابي وطني يتخطّى قيود الجغرافيا السياسية، فأجاب كالتالي:

- يحاول شبابنا بناء إطار شبابي وطني ولكنّه لم يستطع أن يتعدّى أبعد من الفيسبوك، وحتّى الإطار» الفيسبوكي» مشتت ومعنوي، أمّا على الأرض لا نجد فعل وتحرّك يليق بقضيتنا.

- نحن بحاجة أن نجد مجموعات شبابية مستقلّة كانت أو منظّمة، ولكن غير مسيّرة، تتفقّ على خط وطني ثابت استشهد من أجله المناضلون الحقيقيون في السابق، عندها فقط يكون هناك أمل لبناء إطار شبابي وطني حقيقي.

- وهنا أريد أن أؤكّد أنّ العمل الشعبي لا يقتصر على الشباب فقط، إعادة الفكر وريادة القضيــة الفلسطينية للواجهــة، بحاجة لعمل ووعي وتنسيق مــن كل شرائح الشعب الفلسطيني.

بعــد هذه المقابلة، استنتجــت أن العجز عن اختراق حالة اللامبــالاة التي تسود الشارع الفلسطينــي لا يتعلّق فقــط بضعف من الشباب وعــدم وجود إستراتيجيــات حشد قوية لديهــم، بــل أساسه هــو نتائج اتفــاق أوسلو الذي حــوّل الشعب الفلسطينــي من حركة تحــرّر وطني إلى مشروع تنمية، فربط المجتمع المدني الفلسطيني الذي كان من أعمدة الانتفاضة الأولى بالتمويل الأجنبي، وافتقد دوره الشعبي في التعبئة والتحريض.[11]

بعد هذا الرأي من شاب فلسطيني مستقلّ الذي يتشابه في المضمون مع المجموعات الشبابيــة المستقلــة التــي اجتمعت بهــا، كان لا بد مــن مناقشة وفتح حــوارات مع مجموعــة من الشبــاب الفلسطينيين الذيــن ينتمون إلى أحــزاب وفصائل فلسطينية، شباب لديهــم مستوى تعليمي متباين، منهم من أكمــل دراسته الجامعية، ومنهم من لــم يكمل التعليم الجامعي ويعمل فــي مكتب التنظيم المنتمي إليه، أو يعمل في مهن مختلفــة مثل تصليح السيــارات؛ أو تصليح الإلكترونيات، وعنــد الانتهاء من العمل يجتمع عدد منهم في مكاتب الأحزاب، إمّا لحضور اجتماعات معيّنة، وإما لتمضية الوقت المتبقّي من النهار.

وخــلال النقاشات التي قمــت بها مع الشبــاب، الفردية منها كالمقابــلات، والجماعية كجلسات الحوار التي جمعت آراء متعدّدة، متشابهة كانت أم متباينة؛ منهم من أكّد على ضرورة الانتماء إلى حزب أو فصيل كخدمة للنضال الوطني، ولكنهم أكّدوا أيضاً تقبّلهم للشباب المستقلّ وضرورة الشراكة معهم، ومنهم من استخفّ بالشباب المستقلّ ونعتهم بالشبــاب المفلســ الذي ليس لديه رؤيــة حقيقية ويعملون بالشعــارات الوطنية المنمّقة والمشاعر الجيّاشة التي لا تحرّر شيئاً. وهنا وجدت تناقضاً كبيراً لأن الشباب المحزّب أيضاً لم يتقــدّم خطوة واحدة تجاه التحرير داخل حزبه أو تنظيمه، بل بالعكس، بعضهم تنازل عن ثوابت فلسطينية أساسية من أجل الولاء للحزب والفصيل؛ مثال: شباب السلطة و«فتح» الذين، كما يبدو، تخلّوا عن أن فلسطين من النهر إلى البحر ويؤيدون تصريحات أبــو مازن عن حل الدولتيــن، وأن حدود فلسطين هي حدود الأراضــي الفلسطينية التي احتلت العام1967.

11 عبيــر قبطــي، «المقاومة الشعبية نجاحات وإخفاقات : باب الشمس نموذجاً»، مجلة الدراسات الفلسطينية – عدد 95 – صيف 2013.

مقابلة مع ناشط شبابي

هنـا أريد أن أورد مقابلة أجريتها مع شاب فلسطيني فـي الثلاثين من عمره يسكن مخيم برج البراجنة، وينتمي إلى أحد الفصائل الفلسطينية، وهو عضو قيادي فيها، ويعمل أيضاً في أحد الجمعيات الأهلية الفلسطينية منسّقاً للمشاريع، وعضو فاعل أيضاً في الحراكات والنشاطـات الثقافية، كمنظّم لبعض الاحتفالات الوطنية التي يحييها الشعب الفلسطيني فـي لبنـان. وقد طرحت عليه بعض الأسئلة التي تتعلّق بالربيـع الفلسطيني والحراكات الشبابية، وبناء إطار شبابي وطني، والوضع الفلسطيني في لبنان ... فيما يلي نص المقابلة:

- لماذا لم تنجح محاولات توليد «ربيع فلسطيني» يقوده الشباب على غرار ما حدث فـي مصر وأماكن أخرى؟ ولماذا بقيت التحـركات موقعية (محلية)، أي لم تتحول إلـى تحركات لتشمـل التجمع؟ هل السبب الانتماءات الحزبيـة للشباب، أم غياب حيز يمكن أن يقوم مقام ميدان التحرير في القاهرة، على سبيل المثال؟

– قبـل الإجابـة عن هـذا السؤال، يجـب العودة إلـى سياق انطـلاق الانتفاضتين السابقتيـن، بالنسبـة للأولى (8–12–1987)، فـإن اتفاقية كامـب ديفيد التي أخرجت مصر (أكبر دولة عربية) من الصراع العربي –الإسرائيلي كانت من أبرز المحفّـزات لانطلاقها، وبالتالـي إيمان الشعب الفلسطينـي أكثر بمبدأ الاعتماد على النفس في مواجهة سياسات العدوان، إضافة إلى اتساع إنشاء المستوطنات الإسرائيليـة على أرض الضفة الغربية وقطاع غزة، كذلك توسيع الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفييتي قبيل انهياره. ولعب دوراً إحساسُ الفلسطينيين أن الأشقاء العـرب تخلـوا عنهم، وتركوهم وحيدين فـي مواجهة إسرائيـل، وفرض سياسة الحصـار والتجويع عليهم. وقبل ذلك كلـه وجود قيادة فلسطينية وطنية موحدة قبـل بدء الانقسام السياسي، وتوجه قيادة المنظمة إلى القبول بالقرارات الدولية، وبالحـل السلمي مـع الاستجابة لـكل المطالب التـي تتقدم بها أمريـكا الدولة الداعمة لإسرائيل.

بالنسبـة للانتفاضـة الثانيـة (28–9–2000)، سـاد شعور عـام بالإحباط لدى الفلسطينييـن بسبـب نتائـج اتفاقيـات أوسلو والمماطلـة الإسرائيليـة، وجمود المفاوضـات بيـن الطرفيـن الفلسطيني والإسرائيلـي بعد مؤتمـر كامب ديفيد، ومحاولـة إسرائيـل، بدعم مـن الولايات المتحـدة الأمريكية، فرض حل على الفلسطينييـن بعيداً عن قرارات الشرعيـة الدولية (قرارات 242 و338 و194)، واستمـرار إسرائيـل في سياسة الاغتيـالات والاعتقـالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية، ورفض الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين، إضافة إلى استمرار

بناء وتوسيع المستوطنات، واستبعاد عودة اللاجئين، واستبعاد الانسحاب لحدود حزيران 1967. وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي، قام أرئيل شارون، بدخول المسجد الأقصى بشكل عبثي، وتجول في ساحاته، ما أثار استفزاز المصليين الفلسطينيين، فاندلعت المواجهات بين المصليين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى وسقط 7 شهداء وجرح 250، وأصيب 13 جندياً إسرائيلياً، وكانت هذه بداية أعمال الانتفاضة. اليوم، وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على الانتفاضة الثانية، وأكثر من خمس وعشرين سنة على الأولى، يجب أن ندرس الوضع الفلسطيني الحالي ومؤهلات اندلا ع انتفاضة جديدة (ثالثة)!

لا شك أن الشعب الفلسطيني مؤهل لذلك. وهناك أسباب عدة توجب قيام انتفاضة ثالثة أكثر من قبل، وقد أثبتت التحركات الجماهيرية في ذكرى النكبة العام 2010، وما حصل في «مسيرة العودة»، والتضحيات الجسيمة، قدرة الشعب الفلسطيني على الثورة والانتفاض على المحتل وممارساته في الوطن والشتات، وبخاصة إذا أعطيت له الفرصة.

- لكن ما هي المعيقات؟

يجمع الكثيرون أن حالة الانقسام الفلسطيني من أبرز الحواجز، بل أكثر من ذلك أن الشعور العام بصعوبة تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية، وارتباط الأطراف الفلسطينية اقتصادياً وأيديولوجيا وحتى هيكلياً بظروف وأوضا ع خارجية، لا يسهل أية محاولات للبدء بحراك حقيقي. فالسلطة الفلسطينية رهينة الوضع الاقتصادي المرتبط بأمريكا وإسرائيل وبعض الدول العربية المموّلة، وحركة حماس أيضاً مرتبطة تمويلياً وهيكلياً بحركة الإخوان المسلمين.

كما أن الأوضا ع الاقتصادية والإنسانية الصعبة، ودفع الفلسطينيين إلى البحث عن لقمة العيش في الدرجة الأولى في الوطن والشتات، وبخاصة في لبنان، هي من أهم المعيقات، إضافة إلى أسباب ومعيقات أخرى ترتبط بشكل أو بآخر بالأزمات العربية، وانشغال الشعوب العربية بترتيب أوضاعها الداخلية خلال الفترة الانتقالية الحالية التي قد تمتد لسنوات، لا أحد يعلم ماذا تخبئ من أحداث ومفاجآت. ويبقى الرهان على قدرة الشعب الفلسطيني، ولاسيما الشباب، على تنظيم نفسه وخلق ظروف تسمح بانتفاضة جديدة قادرة على تحقيق التغيرات المطلوبة، لكن ذلك أيضاً يحتا ج إلى دعم وإرادة وعزم وبناء كوادر شبابية وطنية رائدة.

- مـا هي أبـرز الاستخلاصات من تجربة الحـراكات الشبابية في لبنـان على الصعيد البرنامجـي، التنظيمي، والثقافي؟ وهل من أفق لعمل مستقبلي؟ على كل تجمع أولاً وعلـى صعيد تجمعات متقاربـة (ضفة–غزة، ضفـة و48، الأردن والشتات (لبنان وسوريا)، هل من مداخل لتبادل الخبرات وتنسيق المواقف والتحركات؟

– «إن الإيمان بوحدة المسار والمصير لدى الفلسطينيين بشكل عام، كان منذ العام 48 وحتى اليوم الأساس في جميع الانتفاضات والحراكات الفلسطينية، وهو ما يجب أن يُبنى عليه في المرحلة المقبلة، وبخاصة التلاقي والعمل على عدد من العناوين الجامعة والمؤثرة في كثير من الشؤون الفلسطينية، وأبرزها تحدي إعادة بناء هيئات واتحادات ونقابات منظمة التحرير على أسس ديمقراطية، تضمن المشاركة السياسية لكافة فئات وقطاعـات الشعب الفلسطينـي، وبخاصة في المجلس الوطنـي الفلسطيني. وهناك الكثيـر من المبادرات الفلسطينية الشبابية الجادة في الوطن والشتات. والتحدي هنا أيضاً في تنسيق وتوحيد كل هذه المبادرات والجهود لتحقيق أفضل النتائج الممكنة، وإيجـاد مناخ يضمن التغيير. لا شك أن حالـة الجمود السياسي الفلسطيني المستمر منـذ سنـوات، انعكسـت سلباً على مختلـف المبـادرات والتحـركات الفلسطينية، وأضعفـت الكثير من الإرادات الجادة والصادقة الشبابيـة منها وغير الشبابية في ظل إصرار بعض القيادات على خيار المفاوضات العبثية. ولا بد من ملاحظة أنه لا توجد مبـادرة تخلو من دعم أو مساندة من هيئة سياسية فلسطينية أو غير فلسطينية إلا نادراً، ويجـب عدم النظر إلى هذا الموضوع من زاوية سلبية ضيقة فقط، وتحديداً إذا كانت الأهـداف واضحة ومباشرة في ضمان حقـوق الشعب الفلسطيني في إنهاء الاحتلال والعودة وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس ...».

خلاصة أولية حول الحراكات الشبابية الفلسطينية في لبنان

يتطرق هذا الجزء بشكل سريع إلى نقاط الضعف وأوجه القصور، ونقاط القوّة على ضوء مراجعة تجربة الحراك الشبابي الفلسطيني في لبنان.

نقاط الضعف:

– تتصفّ النشاطات الشبابية الفلسطينية في لبنان بأنّها مجرّد استجابة لظروف محدّدة وآنيّة في الواقع الفلسطيني، ولا تتميّز بالاستمرارية المستندة إلى رؤية واضحة لدور الشباب في الحراك.

– غياب رؤية سياسية كاملة الوضوح وضعف في الواقع السياسي الفلسطيني في لبنان، وغياب المرجعيّة، ما أضعف الشباب وحراكهم.

- ضعـف التواصل بين الشباب الفلسطيني المستقلّ والشباب الفلسطيني المنتمي إلى الفصائل في لبنان وفي مناطق الشتات الأخرى.
- قصر نظر التنظيمات واعتبار الحراك الشبابي يهدّد مكانة التنظيمات وينافس دورها.

نقاط القوّة:

- الكثيـر من الشبـاب الفلسطيني يتصـدّر المشهد السياسي الوطنـي ويثبت للجميع مواقفه الوطنية بعد أن راهنوا على أنّ هذا الجيل الجديد سينسى القضية ويتنازل عن حق العودة.
- الشبـاب الفلسطيني في لبنان يمتلـك وسائل تقنية مهمّة في النضال لم يكن يمتلكها الجيل السابق.
- علـى الرغم من صعوبة الظروف التي يعيشها الشاب الفلسطيني في لبنان، فإنّه قادر علـى أن يخـرج من دائرة الاهتمـام الشخصي وينطلق للعمل في دائـرة الشأن العام والمصلحة الوطنية الفلسطينية.
- الجيل الجديد هو من يصنع المستقبل بالاستناد إلى ما تعلّمه من الأجيال السابقة.

ويمكن إجمال أبرز التحدّيات أمام الشباب الفلسطيني في لبنان، بالتالي:

- أولاً. مساهمـة الشبـاب في رسـم إستراتيجية نضالية موحّدة عبـر إعادة بناء منظمة التحرير بعد غياب طويل للمرجعية الوطنية الجامعة.
- ثانيـاً. الربط بشكل جدلي مـا بين النضال من أجل القضيـة الوطنية والحقوقية وفق خصوصية الساحة اللبنانية وأولوياتها.

ومـن أجل أن يكون هناك أفق للحـراك الشبابي الفلسطيني في لبنان، يجب توافر شروط معيّنة، منها:

- وحدة الأهداف الوطنية العامة التي تُبنى على الثوابت.
- طرح أهداف وآليات عمل محدّدة تتناسب مع خصوصية ساحة النضال الشبابي في لبنان في سياق وحدة الأهداف الوطنية.
- التنسيق بين الشباب الفلسطيني في لبنان والساحات الفلسطينية الأخرى، وبخاصة التنسيق والتواصل مع الحراك الفلسطيني في الداخل. لأنّ تنسيقاً كهذا يُعطي زخماً واستمرارية للحراك ويفتح آفاقاً وطنيّة واسعة.

المراجع والهوامش:

- وكالة معا الإخبارية، 2013/9/15:
(http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=512058

- http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3203

- http://www.unesco.org/new/en/social-and%20human-sciences/themes/youth/youth-definition./

- http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=3203

- وكالة معا الإخبارية، بتاريخ 2013/9/15:
http://www.maannews.net/arb/ViewDetails.aspx?ID=512058

- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ومنتدى شارك الشبابي

- منتـدى شارك الشبابي، تقرير واقـع الشباب الفلسطينـي 2013 «المستقبل يقرع الأبواب»، رام الله، 2013

- هشام البستاني. «اغتيال الربيع العربي: عن غياب النظريّة والتنظيم». جريدة الأخبار اللبنانية، 26 أيلول، 2013.

- صـوت شباب غزة يعلو؛ أصوات من أجل التغيير: دراسة بحثية بالمشاركة». مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، وخدمات الإغاثة الكاثوليكية، كانون الثاني/يناير 2009.

- المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية (مسارات). وقائع ورشة عمل «الشباب يتحدثون». تشرين الأول/أكتوبر 2011، رام الله

- معهـد العالم العربي للبحوث والتنميـة (أوراد)، استطلاع رأي نفذ في أواخر تموز 2103، ونشر في 2013/9/10.

- الشبكـة العربية لدراسة الديمقراطية، الربيع العربي: ثورات الخلاص من الاستبداد، بيروت: دار «شرق الكتاب» للنشر، 2013، ص 14.

- صفحة «شباب التغيير» على موقع التواصل الاجتماعي «الفيسبوك»:
https://www.facebook.com/groups/170478066332329/members/

- نص رسالة الاستقالة التي قدمت للحزب الشيوعي في تاريخ 22.2.2011.

- تدوينة الناشط منهل حايك

- مقابلة مع أمجد شبيطة، سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي

- صفحة المجموعة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/groups/youthforjerusalem/?fref=ts

- مقابلة مع المحلل السياسي هاني المصري

- لقاءات أجراها الباحث مع كل من النشطاء: أغصان البرغوثي، أنس البرغوثي، مراد جاد الله، محمد مصطفى، مهند العزة.

- محمود عمر. «الأفّورة؟ الفلسطينية: باب الشمس نموذجاً»، موقع شبكة قدس (2013/03/11): http://www.qudsn.ps/article/2267

- اللغة التي اغتصبها التمويل»، شبكة قدس الإخبارية (2013/3/6):
http://www.qudsn.ps/article/708

- طارق خميس.»حين لا تقول الصناديق شيئاً»، شبكة قدسالإخبارية (2013/06/17): http://www.qudsn.ps/article/2267

- طوني صغبيني. «من المناضلين إلى الموظفّين: ظاهرة النشاط المحترف»، موقع نينار (2013/9/7):
http://saghbini.wordpress.com/201307/09//professional-activism/

- جان،بودريار.المصطنع والاصطناع. ترجمة:جوزيف عبدالله، بيروت:المنظمة العربية للترجمة،ط1، 2008.

- محاضرة: خالد عودة الله، «في عنف اللاعنف». 2013/1/27:
http://www.youtube.com/watch?v=XkB2a1pZjyE

- موقع الأونروا، (يناير/كانون الثاني 2012) ، تم استعادتها بتاريخ 24 شباط 2012
http://www.unrwa.org

- الأونـروا، «الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للاجئين الفلسطينيين في لبنان»، 31 كانون الأول/ديسمبر 2010.

- جابـر سليمان. «اللاجئـون الفلسطينيون في لبنان بين مـأزق الحرمان من الحقوق ووهم الدولة»،شبكة السياسات الفلسطينية، 2012

- سامر السيلاوي. «تداعيات تعطيل دور الحراك الشبابي الفلسطيني وفشل المراهنة على إنهاء الانقسام»،موقع الثبات، 2012.

- «مركز الزيتونة يناقش التحـركات الشعبية المطالبة بحق العودة ومستقبلها»، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، موقع الزيتونة، 2011

- علـي هويدي. «حصـاد حركة العودة في لبنان العـام 2011»،مجلة العودة، العدد الحادي والسبعون، 2013

- جهينـة خالدية. «أسبوع التمثيل الفلسطيني: أيـن نحن من الربيع؟». موقع جريدة السفير الإلكتروني (خاص)، 6 شباط 2012

- عبيـر قبطي، «المقاومـة الشعبية نجاحـات وإخفاقات : باب الشمـس نموذجاً»، مجلة الدراسات الفلسطينية – عدد 95 – صيف 2013.

المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات و الدراسات الإستراتيجية – مسارات
مقابل بلدية البيرة، عمارة كراكرة، ط2
هاتف: 2973816 02 تلفاكس: 2976789 02

www.masarat.ps